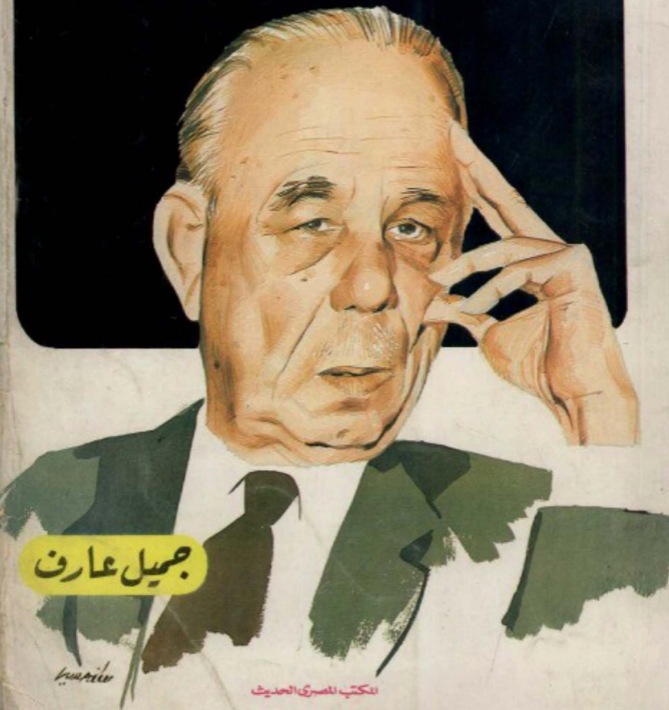


لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة  
<https://palslinebooks.blogspot.com>

صفحات من المذكرات السرية  
لأول أمين عام للجامعة العربية

# عبد الرحمن عزام



جميل عارف

جميل

الكتاب المصري الحديث

جميل عارف

صفحات من المذكرات السريّة  
لأول أمين عام للجامعة العربيّة

عبد الرحمن عزام

الجزء الأول

المكتب المصري الحديث

الناشر: المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر

٢ ش شريف ت : ٥٣١٢٧ القاهرة

٧ ش نوبار ت : ٢٦٦٠٢ الاسكندرية

مذكرات عزام

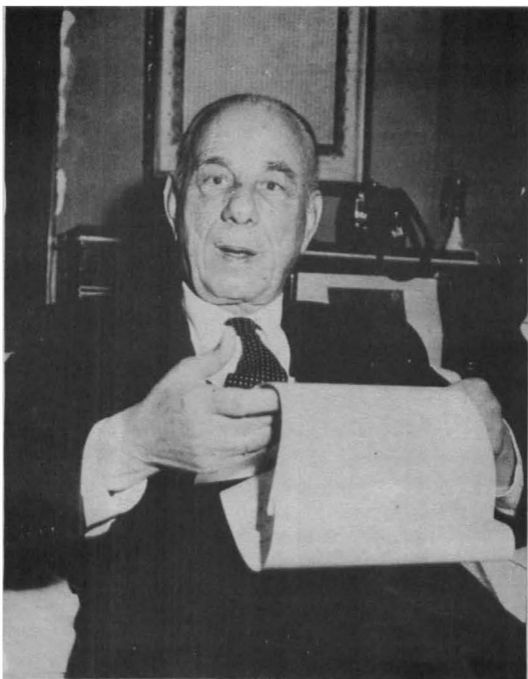
المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر  
٢ ش شريف ت : ٥٣١٢٧ القاهرة  
٧ ش نوبار ت : ٢٦٦٠٢ الاسكندرية

## اهداء

الى أرواح المجاهدين والشهداء الذين سقطوا في معارك الشرف والحرية دفاعا عن أرض الوطن العربي الكبير..

الى الابطال والمقاتلين الذين رفعوا راية الجهاد ، وحاربوا قوى الاستعمار الذى كان يجثم فوق أرض بلادنا العربية ..

الى أبناء الوطن العربى الكبير من الخليج الى المحيط أهدى هذه الصفحات من مذكرات المجاهد العربى .. عبد الرحمن عزام ..



■ المرحوم عبد الرحمن عزام يراجع صفحات مذكراته بنفسه قبل وفاته بعدة أشهر.

# حديث كله ذكريات

بقلم : عبدالنعم الصاوي  
وزير الثقافة والإعلام

كان عبد الرحمن عزام شعلة على طريق القومية العربية ، منذ أن عرف الطريق الى الكفاح ..

في ليبيا حارب مع الثوار ، ليطرد الاحتلال من أرض عربية ، وحكم عليه بالاعدام مرتين ، ومع ذلك ، فقد ظل عزام ينتقل بين البدو والثوار ، في جنح الظلام ، كالضمير السارى في غسق الليل البهيم ، ينادى النيام ليستيقظوا ، وهز الكبرياء العربي لينهض وليدفع عن أرضه العار ..

ومنذ عاد عزام الى أرضه ، وهو ينادى بالقومية العربية ، يوم كان اطلاق هذا النداء ، نوعا من الارهاص بالغييب ..

ودخل عزام مع حزبه ، ومع سعد زغلول في صراع طويل ليقر فكرة القومية العربية في الوجدان السياسي ، وكان يؤكد على الدوام أن العرب المتفرقين ، ضعاف ومتخاذلون ، لكنهم ان اتحدوا صاروا قوة ترهب أعداءهم ، وتفرض عليهم ارادة الحرية والاستقلال ..

والذين يقرأون تاريخ الفترة الماضية ، وموقف الحياد الذي وقفته مصر أثناء الحرب العالمية الثانية ، لا يعرفون أن فضل هذا الموقف يرجع الى اثنين من وزراء حكومة على ماهر: عبد الرحمن عزام وصالح حرب ..

فقد كان مجلس وزراء على ماهر كله ، يؤيد دخول الحرب الى جانب بريطانيا العظمى ، تنفيذا لمعاهدة سنة ١٩٣٦ ، لكن عبد الرحمن عزام انبرى يفند المعاهدة بروحها لينتقد مصر من التورط في حرب لا مصلحة لها فيها ، لأنها ليست موجهة ضدها .. واقتنع مجلس الوزراء ، بعد أن كاد يوافق على دخول الحرب ، بتغيير الموقف كلية ، بفضل عزام وزميله في الوزارة صالح حرب ..

ومواقف كثيرة أخرى سجلها عبد الرحمن عزام في مجلس الوزراء ثم في جامعة الدول العربية ..



وقد يعرف الناس عن عبد الرحمن عزام ، مواقف من القومية العربية لكنى أذكر أن عبد الرحمن كان أول سياسى مصرى ، دعا الى ما يمكن أن نسميه مذهب الوسط بين مختلف الايديولوجيات ..

وكان كلما التقينا - وكثيرا ما كنا نلتقى - يتحدث عن أننا أمة وسط بين الامم ، وكنت أسأله : ماذا تقصد بهذه الامة ؟ .. وكان يقول : هي الأمة التى أخذت بحضارة الاسلام فى المنطقة العربية ، وعلى امتداد العالم الاسلامى .. وكانت وجهة نظره أن هذه الأمة اتسمت بالهدوء وبالتعايش السلمى بين الطبقات وبحل مشكلات التناقض بغير صيغ التصفية أو فرض سلطة الطبقة أو احتكار النفوذ لطائفة .. ومن هنا كان يرى أن الضرورة تحتم نشأة فلسفة سياسية جديدة لا تستورد شعارات من هنا أو من هناك ولا تقيد نفسها بقيد معين وتتعامل مع الجميع على حد سواء ..

ان الرجل قد ذهب الى رحاب الله ، ومن حقه علينا أن نذكر له هذا الاتجاه الفكرى الذى ملأ عليه حياته وحتى آخر سنوات عمره ..

\* \* \*

شئ آخر من الذكريات معه .. فقد كان أول من تبني فكرة الاعداد العسكرية للحرب الشاملة أو المقاومة الشعبية عندما تدعو الضرورة الى ذلك ..

وقد جسد عزام فكرته فى انشاء ما سمي فى آخر الثلاثينات بالجيش المرابط .. وكانت فكرة هذا الجيش انه يتعدى الحدود الموضوعة للجيش النظامى فقد كانت معاهدة ١٩٣٦ تنص على ألا يتجاوز الجيش ١٨ ألف جندي ولكي يكسر هذا القيد دون خروج على المعاهدة استصدر قانونا بانشاء الجيش المرابط لينتشر فى أوسع دائرة داخل البلاد وليتدرب على الأداء العسكرى المهدود وعلى المساهمة فى الخدمات الاجتماعية الأساسية ..

وقد ظل هذا الجيش قائما طيلة وجود عزام فى السلطة فلما ترك السلطة ذبل هذا الجيش حتى انتهى .. وكما قال الأستاذ عبد الرحمن عزام مرة :

- لقد كنت أتوقع دائما صداما مع الاحتلال البريطانى لتحقيق الجلاء وكنت أعد هذا الجيش ليتولى مهمة الحرب الشعبية لتحقيق الجلاء ..

وأدرك رجال الاحتلال ما وراء هذا الجيش فعملوا على تصفيته عندما تقلص نفوذ عزام ..

ان كثيرا من الذكريات عن عزام تتوارد على الخاطر، وعلى رغم ذلك فقد اختلف كثيرون في تقييم سياسته ..

وأيا كان الخلاف حول الرجل فقد كان ظاهرة سياسية مشرقة أجمل ما فيها روح ديمقراطى يؤمن بحرية الانسان ..

عبد المنعم الصاوى



# قصة هذه المذكرات

كنت أقلب في بعض أوراق عندما عثرت على ملف كامل يحتوي على مجموعة من الأوراق القديمة للسيد عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية ..

ان تاريخها يرجع الى سنة ١٩٥٠ عندما نشب الخلاف بينه وبين الملك السابق ادريس السنوسي قبل اعلان استقلال ليبيا ..

كان ادريس السنوسي قد اتهم عزام بأنه يسعى للتريع على عرش ليبيا ..

ورد عزام على هذا الاتهام بأنه لم يفكر في يوم من الأيام في أن يصبح ملكا ..

وقال .. انه لو كان يسعى وراء عرش ليبيا كما قال ادريس السنوسي لما وقفت عقبة في سبيله ..

وفي تلك الأيام كان الشعب الليبي كله يلتف حول عبد الرحمن عزام .. كانت القبائل تعرفه منذ خرج في شبابه ليحارب مع المجاهدين الليبيين ضد الاستعمارين الانجليزى والايطالى ..

وكان هو صاحب فكرة اعلان أول جمهورية عربية قامت على الأرض الليبية أثناء المعارك ضد الايطاليين وهي الجمهورية الطرابلسية ..

وأصبح المجاهد القديم بعد قيام الجامعة العربية في سنة ١٩٤٥ المحامي عن قضية الشعب الليبي في المحافل الدولية والسياسية ..

واستطاع الرجل من موقعه كأول أمين عام للجامعة العربية بعد انشائها أن يوحد كلمة الملوك والرؤساء العرب لمساندة شعب ليبيا في معركته من أجل تحقيق وحدة بلاده واستقلالها ..

وصحيح أن خلافات كثيرة قد نشبت في تلك الأيام بين عبد الرحمن عزام وادريس السنوسي حول أسلوب النضال من أجل تحقيق أهداف الشعب الليبي ، الا أن هذا الخلاف لم يكن لينع المجاهد القديم من أن يواصل جهاده في معركة استقلال ووحدة ليبيا ..

وكان ان فتح بيته في ضاحية ( أبو قير ) في الاسكندرية وبيته في العجوزة وحلوان لتصبح الملتق لكل الليبيين بما فيهم ادريس السنوسى نفسه .

واستطاع عزام بأسلوبه الواضح ان يوحد كلمة المهاددين الليبيين ليكونوا يدا واحدة في مواجهة مؤامرات الدول الكبرى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وكانت تهدف الى تقسيم ليبيا واعادة سيطرة الدول الاستعمارية عليها ..

وكانت مؤامرات الدول الكبرى على جانب كبير من المخطورة ، مما اضطر معه المهادد الكبير عبد الرحمن عزام إلى أن يتكلم .. وكانت هذه الأوراق القديمة التي تروى جانباً من قصة جهاد شعب ليبيا في اخطر مرحلة من تاريخ حياته .

وتحتوى هذه المذكرات السياسية على صفحات أخرى تروى بعض تفاصيل الصراع الرهيب الذى عاشته أمتنا العربية ، وهى تجاهد من أجل أن تتحرر من نير الاستعمار الذى كان يحجم فوق أراضينا .

انه لم يكتبها بمحظ يده ، ولكنه رواها لى بنفسه في عشرات الجلسات عندما كنت أذهب اليه في بيته الذى يطل على النيل بالعجوزة أيام كان أميناً عاماً للجامعة العربية ، وبعد أن أجبروه على الاستقالة ..

وأنا نفسى شاهدت الكثير من الأحداث التي رواها لى عبد الرحمن عزام في هذه الصفحات من مذكراته السياسية ، فقد عملت في بداية حياتى الصحفية - وكان ذلك في نفس الوقت الذى انشئت فيه الجامعة العربية - محرراً للشئون العربية ..

وتوثقت العلاقات بينى وبينه ، وكان رحمه الله يثق بى ، ويعتبرنى أخاً لولديه عمر وعصام ..

انه استاذى الذى تعلمت منه الكثير ، وكنت معجبا بطريقة « شنيخ العرب » .. التى كان يحل بها المشاكل والمنازعات العربية ..

وعندما عاد عبد الرحمن عزام الى القاهرة في زيارة خاطفة بعد ثورة التصحيح ، وبعد غيبة دامت أكثر من ١٥ سنة ، ذهب الىه في البيت الذى كان يقيم فيه في حلوان ..

وتكررت زيارتى له ، وقد انتهزت الفرصة لأراجع معه بعض وقائع الاحداث الكبيرة التى شهدتها أمتنا العربية عندما كان أميناً عاماً للجامعة العربية ..

ولم تكن مفاجأة عندما وجدته رحمه الله ، وقد تجاوز الثمانين من عمره ، يذكر الأحداث بتفاصيلها الدقيقة ، وكان يبدو وهو يراجعها معي متحمسا للعمل الكبير الذي كنت أقوم به .. وكانت سعادته لأنني استطعت على مدى سنوات العمل بالقرب منه أن أسجل بدقة هذه الصفحات من مذكراته السياسية ..

المهم .. جلست الساعات الطويلة أستمع الى المجاهد العربي الكبير ، وهو يراجع معي التفاصيل التي كانت تحتويها أوراقه القديمة ، وما كنت قد سجلته من أحاديث وذكريات استمعت اليها بنفسى منه ، عندما كان أمينا عاما للجامعة العربية .. وبعد أن أجبروه على الاستقالة ..

وفي تلك الأيام .. كان اللورد كيلرن الذي كان مندوبا ساميا ثم سفيراً لبريطانيا في القاهرة قد نشر كتابا عن ذكرياته السياسية أشار فيه الى دور بريطانيا في انشاء جامعة الدول العربية ..

وتحس المجاهد العربي الكبير رحمه الله لتصحيح بعض الوقائع التي جاءت في مذكرات اللورد البريطاني وهو يقول :

- صحيح أن فكرة الجامعة العربية خرجت من لندن ، وصحيح أن الانجليز كانوا يريدون الجامعة لتصحيح أداة تعمل في خدمة مصالحهم الاستعمارية .. الا انني أحمد الله على أننا قد نجحنا برغم كل الدسائس والمؤامرات في أن تصيح الجامعة العربية أداة تعمل في خدمة كل أمة العرب .



كانت رغبة المجاهد العربي الكبير ألا تنشر هذه الحلقات من مذكراته السياسية الا بعد وفاته ..

وكان رأيه دائما .. أن كتابة المذكرات مسؤلية تاريخية ، وقد أراد له القدر أن يتحمل مسؤلية العمل العربي كأمين عام للجامعة العربية في أخطر مرحلة اجتازتها أمتنا العربية بما فيها من سلبيات وإيجابيات .. وكان كل ما يخشاه كما كان يقول بتفكير السياسي الذي عاش وعمل بأخلاقيات الفلاح ابن القرية ، أن يؤدي ذكر الوقائع التاريخية بتفاصيلها الدقيقة الى تعرية الكثيرين من السياسيين الذين عاشوا هذه المرحلة السياسية من حياة أمتنا العربية .. وأن هذه التعرية يمكن أن تكشف عن أخطاء لبعض هؤلاء السياسيين مما

سيضع بعضهم حتماً في صفوف عملاء الاستعمار والخونة .. وبالتالي فقد أراد أن يعنى نفسه من مسئولية فضح حقيقة هؤلاء الخونة تاركا للتاريخ والمؤرخين عبء هذه المسئولية ..

كان هذا هو رأيه ، ولكن بعض الأخطاء التي تضمنتها مذكرات اللورد كيلرن وخاصة ما جاء فيها عن موقفه رحمه الله من معارضة اشتراك مصر في الحرب العالمية الثانية الى جانب بريطانيا ، واصراره على تجنبها ويلات الحرب ، وما ذكره اللورد البريطاني عن ظروف انشاء الجامعة العربية ، قد ساعدني كثيرا على اقتناع المجاهد الكبير بالموافقة على نشر هذه الصفحات من مذكراته السياسية ..

قال رحمة الله : هذه الصفحات تكفي في هذه المرحلة ..

قلت له : وماذا عن بقية ما عندي من ذكرياتك التاريخية ؟

قال رحمة الله :

- انها معك للتاريخ والأيام ..

وأدرت ما كان المجاهد العربي الكبير يعنيه .. كان يريد أن يقول لي :

- أنت تعرف رأيي .. فاذا كنت قد سمحت بنشر هذه الصفحات فعليك أن تحترم رغبتى بتأجيل نشر بقية ما عندك الى وقت آخر !

\*\*\*

أخذت على نفسي عهدا باحترام رغبة المجاهد العربي الكبير ..

وكان أن بادرت باعداد صفحات المذكرات التي وافق رحمه الله على نشرها لإصدارها كجزء أول من المذكرات ..

وقد تم تسليم هذا الجزء من الصفحات الى الصديق الناشر أحمد يحيى مدير المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ..

وكان أملى كبيرا في أن يجرى طبع هذا الجزء من صفحات المذكرات وأصدارها ليقراها المجاهد العربي الكبير بنفسه في حياته ..

ولكن قضاء الله كان أسرع ، فلم يتحقق الأمل الذي ظل براودني حتى اقدم لأستاذي

ومعلمى ما سجلته من صفحات مذكراته السياسية على مدى ٣٠ سنة من العلاقة الوطيدة  
التي ظلت تربطنى به ..

وكان أن صدرت هذه الصفحات التي تضمنها الجزء الأول من مذكرات المجاهد العربى  
الكبير .. ولكن بعد وفاته ..

أما الجزء الثانى من هذه الصفحات ، وهو الذى طلب إلى تأجيل نشره ، وكانت رغبته  
رحمہ الله ألا ينشر الا بعد انتقاله الى جوار ربه .. فاتفى أعمل الآن اجتراما للمعهد الذى  
تقطعته على نفسى ، باعداده وصياغته ..  
وأهم ما يتضمنه هذا الجزء من المذكرات :

- ١ - الاتصالات السرية بين مصر ودول المهور أثناء الحرب العالمية الثانية ..
- ٢ - مؤامرة فى القاهرة على حركة رشيد على الكيلانى فى العراق ..
- ٣ - لماذا فكر عزام فى انشاء الجيش المرابط ؟ ..
- ٤ - مؤامرات نورى السعيد لهدم الجامعة العربية ؟ ..
- ٥ - قوات المتطوعين تدخل فلسطين باسم الجامعة العربية ..
- ٦ - الجامعة العربية وحرب فلسطين ..
- ٧ - خيانات عربية .. كانت وراء كارثة فلسطين !
- ٨ - الجامعة العربية واستقلال اندونيسيا ..
- ٩ - حركة تحرير الجزائر بدأت من بيت عزام ..
- ١٠ - الأسباب الحقيقية للخلاف بين عزام وادريس السنوسى ..
- ١١ - الجامعة العربية وانقلاب اليمن سنة ١٩٤٧ ..
- ١٢ - الجامعة العربية وانقلاب حسنى الزعيم فى سوريا ..
- ١٣ - نصيحة لوجه الله ابلغتها للملك السابق فاروق ..
- ١٤ - وضعنا الخطة لاختطاف الأمير عبد الكرم الخطابى وهو فى طريقه من المنق  
الى باريس ..
- ١٥ - الزعيم التونسى الحبيب بورقيبة ضيف على الجامعة العربية ..
- ١٦ - الجامعة العربية وحركة تحرير شمال أفريقيا ..
- ١٧ - تفاصيل رهبية فى قصة اغتيال الكونت برنادوت ..
- ١٨ - الخلاف بين عبد الرحمن عزام والحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ..
- ١٩ - عبد الرحمن عزام والمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ..



٢٠- عبد الرحمن عزام .. والمغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز ..  
وأسرار أخرى كثيرة ..

كما يتضمن الجزء الثاني من صفحات هذه المذكرات مجموعة من الصور والوثائق التاريخية التي وعدني عمر وعصام ولدا المجاهد العربي الكبير رحمه الله بتزويدي بها حتى تخرج هذه الصفحات التاريخية سجلا حافلا لأحداث أمتنا العربية في أخطر مرحلة من تاريخ حياتها السياسية ..



وكما كان أملي كبيرا في أن يتم طبع واصدار الجزء الأول من هذه المذكرات في حياة المجاهد العربي الكبير رحمه الله .. كانت له عندما جاء الى القاهرة في زيارته الخسافة أمنية ..

كان يقول : أرجو أن يمد الله في عمري حتى تسنح لي الفرصة لزيارة أرض المعارك التي اشتركت فيها مع المتطوعين العرب عندما خرجنا لنجاهد في سبيل الله ونقاتل الانجليز والايطاليين في ليبيا ..

وأراد الله أن يحقق للمجاهد العربي الكبير أمنيته ..

وكان أن وجهت اليه في شهر ابريل سنة ١٩٧٣ دعوة رسمية لزيارة ليبيا .. وسافر عبد الرحمن عزام ، وهو مريض ، الى ليبيا ليستقبله الشعب الليبي بحفاوة بالغة ..

واتهز المجاهد الكبير الفرصة لزيارة المناطق التي قاتل فيها وهو في شبابه مع المجاهدين العرب ، قوات الاستعمارين الانجليزى والايطالى ..

وخرجت القبائل التي حارب معها ترحب به ..

ونحرت له الذبائح في كل مكان ..

وامتلأت عينا عبد الرحمن عزام بالدموع لأول مرة في حياته عندما التقى ببعض المجاهدين القدماء الذين لا يزالون على قيد الحياة ..

وكانت حفاوة شعب ليبيا بالمجاهد العربي الكبير بمثابة حفل تكريم لمجاهد الرجل الذي أفنى حياته وهو يجاهد في سبيل تحقيق وحدة الشعوب العربية واستقلالها .. وكان أول من نادى بالقومية العربية ..

جميل عارف

قالوا عن  
عبد الرحمن عزام  
بعد وفاته



# كان بحام بدولة عربية واحدة ..

بقلم : مصطفى أمين

عرفت عبد الرحمن عزام ، وأنا ولد صغير بينظلون قصر ، على مائدة سعد زغلول ..  
كان سعد يستقيه كثيرا للعداء والعشاء مع أسرته ، وكان عزام يومها شابا ناثرا عرييد  
الاحلام كان أصفر النواب سنا وأكثرهم حماسا .. كان يحكى مغامراته الشائقة في حرب  
البلقان ، وفي المعارك والقتال ضد الانجليز والايطالين دفاعا عن استقلال ليبيا .. وكان  
يبدو لى كبطل من أساطير ألف ليلة . كأنه طرازان يشتغل بالسياسة ، وكان يعارض في  
اجراء مفاوضات مع الانجليز ، ويدعو الى قيام حرب العصابات ويقترح أن يدعو سعد  
زغلول صراحة الى اعلان الجمهورية .. وكان يحلم بدولة عربية واحدة عاصمتها  
القاهرة ، وتمتد من المحيط الهندي الى المحيط الاطلسي .. وكان سعد زغلول يرى أن  
تتحرر البلاد العربية لتتحد وكان عزام يرى أن تتحد البلاد العربية لتتحرر .. وكان سعد  
زغلول يقول له : ان صفرا و صفرا يساوان صفرا ، ويجب أن نعمل على أن يكون كل  
واحد منا واحدا صحيحا ليتمكن اتحادنا أن يكون شيئا قويا .. واذكر أنه عندما قرر  
المليونير أحمد عبود إنشاء جريدة يومية باسم (الكشاف) أن اختار سعد زغلول عبدالرحمن  
عزام مديرا لتحرير الجريدة ليشرف على سياستها، وصدرت الجريدة ونجحت ..  
وتقاضى عزام مرتبا ضخما لم تعرفه الصحافة قبله .. وبعد أسابيع قليلة اختلفت مع  
عبود .. عبود يرى أن تكون الجريدة معتدلة وعزام يصر على أن تكون متطرفة .. ورفض  
عزام أن يغير رأيه وداس على المرتب الضخم ، وترك الجريدة بعد أسابيع قليلة من  
صدورها ، وبعد ذلك بوقت قليل أفلست ( الكشاف ) .. ورأيت عبد الرحمن عزام يقاوم  
اسماعيل صدقي في جبروته والأزمة المالية تأخذ بخناقها والحكومة تضغط على البنوك التي  
أقرضت أسرته لتعلن افلاسها ، وعزام يرفض أن يستسلم ، وأذكر أن الملك فؤاد عرض  
عليه أن يكون وزيرا للحربية لينترعه من المعارضة ، ورفض المنصب ، وطلبوا منه أن  
يفكر وأعطوه مهلة اسبوعا ليرد وحددوا له موعدا في منزل توفيق نسيم باشا رئيس  
الديوان الملكي يومئذ ليبلغه .. واستيقظ عزام في اليوم المحدد في منزله بجلوان ، وليس في  
جيبه أجرة الانتقال الى القاهرة ، ولكنه وصل إلى منزل رئيس الديوان في الحلمية مشيا

على قدميه ليقول « لا » ، ثم بعد ذلك اتجه الى النادي السعدى واقترض من الدكتور أحمد ماهر أجرة القطار الى حلوان .. وعاش فترة على الفول المدمس والطعمية . . ولم يندم على سنوات الفقر والجوع والتشرد . . ثم أصبح سفيرا ووزيرا وأميننا للجامعة العربية مرتبه أكبر من مرتب رئيس الوزراء ورأيته في جناح فخيم في فندق ( بلازا ) في نيويورك وكان يتحدث باعتزاز عن الأيام الحلوة التي كان يمشی فيها على قدميه من حلوان الى القاهرة ويعيش على الفول المدمس والطعمية .

وأظنه مات غير راض لأنه كان يتمنى دائما أن يموت في معركة !

**مصطفى أمين**

# عزام .. وهيل المسؤلية

بقلم : حافظ محمود

الذين كتبوا عن عبد الرحمن عزام نسوا شيئاً هاماً في حياته .. هذا الشيء هو انه كان في يوم ما صحفياً .. ولم تكن الصحافة عنده هواية ولا احترافاً ، انما كانت محاولة للتعبير عن وجهة نظر مستقلة بعد أن اضطربت الأفكار وتعددت الآراء عقب وفاة سعد زغلول ، وكان من آثار هذا الاضطراب الفكرى في السياسة الداخلية فك الارتباط الذى كان قد ربطه سعد زغلول بين حزبه « الوفد » وبين معارضيه « حزب الاحرار الدستوريين » .. وما ترتب على فك هذا الارتباط من تجميد الحياة النيابية لفترة قصد بها طغيان الأغلبية على الأقلية أو العكس ، وإن كان هذا الهدف لم يتحقق في هذه الأثناء .

وفي عام ١٩٢٨ فكر عبد الرحمن عزام في صحافة من لون جديد ، لا هي تناصر هذا الفريق على ذلك ولا العكس ، صحافة تعبر عن الروح القومية وحدها ، على أن تدخل في الروح القومية ارتباطات مصر الطبيعية بالأمة العربية كلها ..

وكانت الصحافة ، كصناعة ، قد بدأت الخروج من دائرة الأعمال « المحدودة » الى دائرة الأعمال التى تحتاج إلى رأس مال .. وفكر عزام في المعول ، وجاءه الرد من صاحب الملايين أحمد عبود « باشا » بأنه على استعداد لأن يمول مشروع جريدة عزامية بشرط أن يكون لها اهتمامات اقتصادية ..

وظهرت الجريدة العزامية باسم جريدة « الكشاف » اليومية وعلى رأسها اسم عبود « باشا » كصاحب امتياز ، واسم عبد الرحمن عزام كرئيس تحرير .. ومع أن عبود باشا ، استطاع أن يطبع هذه الجريدة بطابعه الاقتصادى ، فإن عزاما استطاع في نفس الوقت أن يقدم للقراء - لأول مرة - جريدة مصرية تتلخص سياستها في « القومية العربية » ..

ولولا مصالح أحمد عبود وشركائه مع هذه الجهة أو تلك لعاشت هذه الجريدة طويلاً ، فقد أعطاها عبد الرحمن عزام من جهده كل ما استطاع أن يعطيه من سهر الليالى ، لكنه وجد نفسه فجأة في دوامة من التشابك المتصارع بين النشاط المالى لعبود وبين نشاطه الصحفى السياسى فاستقال من رئاسة تحرير الجريدة ، وأبى عبود باشا أن يجلس على كرسي رئيس التحرير احد غير عزام ، وقرر التنازل عن « امتياز » هذه الجريدة بعد أن

عاشت شهورا طويلا أعطى فيها عزام لحملة الأقلام نموذجاً طيباً من التعبير ..

تصرفاته كزعيم :

كان عبد الرحمن عزام من أقدر الناس على التعبير عما في فكره وضميره .. كان هذا هو أول انطباع له في نفسى عندما التقيت به لأول مرة في جمعية « الرابطة العربية » التي أنشأها الصحفي الراحل « أسعد داغر » في السنة الأخيرة للحرب العالمية الثانية استعداداً للمواجهة العربية عقب نهاية هذه الحرب ..

في اجتماع هذه الجمعية وجه عزام الخطاب الى صغار السن ، من أمثالي اذ ذاك ، وهو يقول لنا :

- هذه الجمعية تمثل سياسة الجيل الجديد في الغد القريب ..

وفي هذا الاجتماع كان هناك إجماع على أن تتعقد رئاسة هذه الجمعية لعبد الرحمن عزام .. فاذا بعزام يقول : لا ..

وأصر على موقفه وهو يقول .. أن ما من شيء يفسد علينا حياتنا العامة قدر التنافس على الرئاسة ..

ثم أضاف : اننى سأزاول نشاطي في هذه الجمعية من خلال صديقي أسعد داغر سكرتير الجمعية .. ولا داعي مطلقاً لأن تكون لنا رئاسات ..

وبعد بضعة أشهر انشئت جامعة الدول العربية ، واختير عزام اميناً عاماً لها .. وكان اختياره مستمداً من « بروتوكول » ملحق بميثاق الجامعة وضعه مؤسسو الجامعة خصيصاً لعبد الرحمن عزام ، ومن هنا أرى أن عزاماً الأمين العام الأول لجامعة الدول العربية لم يعين بالاسلوب الذى عين به من جاءوا بعده من الأمناء .. انما هو - وحده - قد عين بملحق خاص من ملاحق ميثاق الجامعة .. وربما كان هذا مصدراً من مصادر قوته .

ان ما لا شك فيه .. أن عبد الرحمن عزام كان أقوى من تولى منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية ، فقد كان يتصرف ، وهو في منصب الأمين العام كما يتصرف رؤساء الدول .. وكان يجرى الاتصالات مع رؤساء الدول ، كما كان يجرى الاتصالات نيابة عنهم ..

لقد رأيت وسمعت بنفسى وهو يخاطب ملك مصر وملك الأردن في مأدبة أقامها لها بمناسبة

زيارة الملك الأردني « عبد الله » لمصر قائلا: هنا يجلس ملك مصر وهنا يجلس ملك الأردن .. دون أن يضيف الى كلامه عبارة « حضرة صاحب الجلالة الملك » .. ودون ان يستخدم عبارات الجاملة كقوله: فليفضل جلالة الملك.

## عزام .. الفدائي

بهذه الروح كان يتصرف عبد الرحمن عزام بوصفه امينا لجامعة الدول العربية .. وكان يتصرف بوصفه « زعيما » مصريا عربيا سواء أكانت مواقفه تنبع من نصوص ميثاق الجامعة أم لا ..

وانني لن أنسى يوم دعانا، نحن الصحفيين، في ابريل سنة ١٩٤٨، الى اجتماع استأذن في أن يعقده في دار وزارة الخارجية المصرية ليتحرر من قيود نصوص الميثاق .. وحضر معنا هذا الاجتماع الدكتور محمد صلاح الدين ممثلا لوزارة الخارجية المصرية .. وفي هذا الاجتماع تبين لنا أن عزام يقف وراء الحركة الفدائية العربية التي سبقت دخول الجيوش العربية النظامية أرض فلسطين في منتصف شهر مايو ..

وكان عزام يثق في وطنية الصحفيين الحاضرين فاذا به يقول لنا:

- لقد اتفقت مع قيادة الجيش المصرى سرا على أن تزودنا - يقصد الفدائيين الذاهبين الى أرض المعركة - بالأسلحة بطريقة غير رسمية ..

ثم سكت عزام قليلا وأردف قائلا:

- واذا لم يعطونا القدر الكافي من السلاح، فأنا سأذهب الى الصحراء الغربية وأحضر من مخلفات الحرب العالمية الثانية من السلاح ما يكفي الى أن تتدخل جيوشنا رسميا ..

هذا الموقف الذى لن انساه يعطى صورة واضحة عن الروح التى كان يتصرف بها عبد الرحمن عزام وهو أمين عام لجامعة الدول العربية .. صورة الرجل الذى يشعر بكل مسؤولياته كوطنى قبل أن يكون موظفا ..

رحم الله عزاما فقد انطوت بانطواء صفحة حياته صفحة جيل من « المسئولين » .. لكن التاريخ لا بد أن ينشر هذه الصفحة بعد انطوائها لتكون دليلا لعمل الآخرين ..

حافظ محمود





# كاتب خلاصة جيل وتاريخ ..

بقلم: محمد فهد عبد اللطيف

مات عبد الرحمن عزام .. فطويت بموته صفحة تاريخ حافلة بالأبجداد ومواقف الجهاد ، وما كان الرجل الا حقيقة نادرة بارزة من حقائق هذا التاريخ لا يمكن أن تموت أو يطويها المجهود في أطواء النسيان ..

لقد كان عبد الرحمن عزام في حياته التي امتدت مع الزمن ثمانين عاما أو أكثر خلاصة جيل من الرجال الأفاضل الذين صنعوا حياة الوطن العربي من جديد .. وبعثوه بعثا تاريخيا أخذ به مكانه تحت الشمس .. وفي سبيل هذه الغاية العظيمة واجهوا بطش الاستعمار في اصرار وعناد .. وقاوموا سيطرة الاستبداد في ثقة وعزة ورجولة .. وهناك من تحاذل على امتداد الطريق ، واستعظم بلوغ الغاية العظيمة البعيدة المدى .. أما الرجل فقد ظل على طريقه في الكفاح والنضال ثابتا كالطود ، لا يلين ولا ينحرف ، ولا تزحزحه الاهوال عن غايته .. فان الكفاح في الحق لم يكن في تقديره الا دليل العزة والرجولة .. ولم يكن الثبات على الحق في ضميره الا معنى من معاني الاخلاق الكريمة .. ولم تكن التضحية للحق في وجدانه الا نخوة العروبة .. وهكذا عاش الرجل في حياته .. وهو كل ما خلف من مآثر وتراث في هذه الحياة ..

وكان عبد الرحمن عزام في تكوينه طرازا فريدا من الرجال .. فهو لا شك شخصية عربية أصيلة تمثل فيها كل السجايا العربية الأصلية ، وكان بطالعك حين تلقاه من معالم هذه الشخصية وجه العربي المسنون .. وقده السمهري المشوق ، ورشاقته الرياضية البارعة .. فاذا خبرت حقيقته وجدته ينطوى على حقيقة روحانية تملأ قلبه ووجدانه وعصبه وروحه .. وهي الروحانية العربية التي تستهين بكل مظاهر الدنيا في سبيل الشرف والعزة والكرامة ..

بهذه الروح .. أو بهذه الروحانية ترك الشاب عبد الرحمن عزام مقعد الدرس في كلية الطب بالجبلترة وخرج يمتشق السيف ليدفع عدوان الاستعمار الايطالي على ليبيا .. وليحارب في الميدان جنديا ضد استعمار ظالم غاشم .. وهكذا عاش طول حياته جنديا في

المركة .. يناضل في سبيل العروبة .. ويكافح الاستعمار في ليبيا .. وفي مصر وفي كل مكان على امتداد الوطنين العربي والاسلامى ، فا كان الا السيف العربى المسلول في وجه الاستعمار والظفيان ..

وانشئت الجامعة العربية .. وكان انشاؤها فكرة بريطانية ارادت بها بريطانيا ان تجعل من العرب وحدة تعتمد عليها في تحقيق مصالحها ومآربها بعد أن تنتهى الحرب العالمية الثانية .. وجاء دور التصفية للشئون الدولية على ضوء النتائج التى تسفر عنها الحرب .. واستندت امانة الجامعة الى عبد الرحمن عزام ، وكان وضع الرجل في هذا المكان كفيلا باعادة خلق الفكرة البريطانية خلقا عربيا له طابعه وشخصيته وحقيقته ، ووقفت الجامعة منظمة عربية للعرب ، واستطاع الرجل العربى الاصيل أن يجعل من الوليد الناشئ حياة قائمة وقوة تدوى انبازها في العالم ، وتسجل مواقفها في التاريخ ، وفي اندفاعه طيش نحسى الرجل عن مكانه في الجامعة .. ثم استمر الطيش فحرم من ان يكون له مكانه في وطنه .. ولكنه وجد مكانه مع تلك النخوة العربية الاصيلة في الرياض .. وعاش يواصل الكفاح في سبيل القضايا العربية ، واخيرا فتح امامه باب العودة الى الوطن .. ورأبته يوم عاد وقد جاوز الثمانين فوجدته كما رأبته وهو في عنفوان القوة والشباب .. ذلك الفتى العربى الأصيل الذى يتدفق بروح العزة والإباء ..

ليس هذا تاريخ عبد الرحمن عزام ، فان تاريخه العظيم الجليل يملأ الأسفار .. ولا بد أن يروى هذا التاريخ شهادة صدق للابناء والاحفاد .. ولكنها كلمة وفاء واشراقه دمع على ذلك الرجل الذى كان خلاصة جيل من الأحرار الأفضاد .. وعنوان تاريخ حافل من الأجداد ..

محمد فهمى عبد اللطيف

# أخي عبدالرحمن

بقلم: د. عبدالعزيز عزام

كم من معركة في شبابك خضتها ، وما كان بينك وبين الموت الا قاب قوسين أو أدنى ولكن لكل أجل كتاب ( فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) .

ذلك هو شقيق عبد الرحمن عزام .. ذهب يافعا الى دراسة الطب في لندن ، فلما اشتعلت حرب البلقان بين الأتراك ودول البلقان ( قبل الحرب العالمية الأولى ) رأى أن يتطوع ليحارب في صف المسلمين ، فذهب الى تركيا بصفته مكاتبا لاحدى الجرائد الانجليزية واشترك في الجيش التركي ودخل معه أثناء فتحه أدرنة واستردادها من البلغار ..

ولما وضعت الحرب اوزارها ووقعت الحرب العالمية الأولى عاد الى مصر .. ثم مكث سنتين في مدرسة الطب بالقاهرة .. لكنه قطع الدراسة مرة أخرى وسافر من مصر الى الحدود الطرابلسية على ظهر جمل ليحارب الانجليز ، ودخل طرابلس وانضم للجيش التركي الذى يحارب ، وظل في صفه يحارب الانجليز في الجبهة المصرية الطرابلسية طول مدة الحرب الأولى

ولما سلمت الجيوش التركية بعد ما انتهت الحرب الأولى انضم عبد الرحمن عزام ومن معه الى جيش السيد أحمد الشريف السنوسى الذى كان يحارب ايطاليا واستمر في الجهاد مع أهل طرابلس ضد ايطاليا حوالى أربع سنوات ، حتى جرد موسوليني جيشا يزيد على مائة ألف بقيادة القائد المشهور ( جرزبانى ) لمহারبة المقاومة الباقية في طرابلس .. وانتهت المعركة بانسحاب زعماء المقاومة الطرابلسية الى الحدود المصرية ومهم عبد الرحمن عزام الذى توسط لهم عند الحكومة المصرية التى كان يرأسها سعد زغلول .. للسماح لهم بالدخول الى مصر والاقامة فيها وقد كان له ذلك ..

وكان أخى عبد الرحمن عزام سياسيا كثير الاطلاع ، حتى أن سياسيا يابانيا قال له مرة بعد ما سمع حديثه عن اليابان : يا حبذا لو وضعت لنا خطة سياسية تمشى حكومتنا عليها ..

كان صائب الرأي .. حتى إن من هو اكبر منه سنا يسأله رأيه فيما يحمه من أمور .. وأذكر أن سعد زغلول سأله مرة وهو متحير فيمن يختار من أعضاء حزبه ليكون رئيسا للوزارة .. فقال له عبد الرحمن : ليس لديك من أفراد حزبك ( حزب الوفد ) من يصلح لذلك ، ونصحته باختيار عبد الخالق باشا ثروت وهو ليس من حزب الوفد ووافقته سعد زغلول على ذلك الاختيار .

وكان يحص الرأي تحبصا شديدا قبل ان يديه .. فان أبداه لم يرجع عنه ولو كان مخالفا لرأى الكثير من الناس .. لذا كان كل صاحب رأى يلتبس عنده الرأي ، وكان يستشير أكثر الساسة من العرب والأجانب على السواء ...

وقد نصره الله في معارك كثيرة في طرابلس على الايطاليين ، وكان لا ينسى أن يقوى معنويات أصحابه اذا حدثت لهم هزيمة .. وعندما انتصر الأعداء مرة أثناء النهار في احدى المعارك أقام في المساء عرسا فأنسى أصحابه ما كانوا فيه وتأكدوا أنه لولا أن عبد الرحمن واثق من النصر ما أقام هذا العرس وهكذا قويت عزائم أصحابه وفي اليوم التالي خاضوا معركة مع العدو وكان النصر فيها نصرا مبينا ..

قال رحمه الله أيها البطل .. وسيتيق لك كتاب ( بطل الأبطال<sup>(١)</sup> ) ذكرى طيبة .. ففيه وصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. الذي اتخذته مثلك الأعلى في القول والعمل ، والذي يتخذته كذلك كل من أخلص دينه لله -

د . عبد العزيز عزام

---

( ١ ) بطل الأبطال : كتاب عن رسول الله ﷺ ألفه المغفور له عبد الرحمن عزام عندما كان أمينا عاما

للجامعة العربية .

# هوارث لها تاريخ ربطت بين عزام وكفاح حُعب ليبيا

أخذت إيطاليا تمهد لغزو ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر.. وكان أن قامت بفتح عدد من المدارس المجانية فيها، وأنشأت المستشفيات والملاجيء الصحية في مختلف أرجائها..

كما أخذت في إيفاد البعثات العلمية الى الأراضى الليبية..

وكان الهدف الأساسى لهذه البعثات هو دراسة المنطقة، ورسم الخرائط العسكرية تمهيدا للغزو الذى كانت تعد له..

وفى سنة ١٩٠٥ قامت إيطاليا بإنشاء بنك روما فى ليبيا..

وكانت مهمة هذا البنك كما رسمها له الاستعماريون الإيطاليون، هى اغتصاب الأراضى الزراعية من أصحابها..

وكما يقول المؤرخون الإيطاليون أنفسهم.. كان هذا البنك يعمل على اقراض المزارعين ثم يقوم بسلب الاراضى منهم لحساب المستعمرين الإيطاليين..

وفى نفس الوقت أخذت الصحافة الإيطالية تمهد للغزو الإيطالى لأراضى ليبيا، وكان أن امتلأت الصحف والمجلات بالمقالات التى تتحدث عن فشل الادارة العثمانية، وعن ضرورة استغلال ثروات ليبيا المعدنية والزراعية..

ومع اعداد الرأى العام الإيطالى لعملية الغزو الإيطالى، أخذ الإيطاليون يتغنون بمجال ليبيا..

وانتشرت فى تلك الأيام أغنية إيطالية اسمها **Tripolitania Bella** أى طرابلس الجميلة..

وعملت إيطاليا مع استعدادها لغزو الاراضى الليبية على التفاهم مع فرنسا لتضمن وقوفها على الحياد.. وكان ان اعترفت فى سنة ١٨٩٦ بالحمية الفرنسية على تونس..

كما عقدت معها أيضا معاهدة لتنظيم الملاحة والتجارة في البحر المتوسط ..

وفي سنة ١٩٠٠ ازداد التفاهم بين الفرنسيين والاطالين ، بعقد اتفاقيات تقضى صراحة باطلاق يد ايطاليا في ليبيا .. وقد جددت هذه الاتفاقات في سنة ١٩٠٢ .

والثابت أن اعلان الفرنسيين الحماية على تونس ، كان بمثابة ناقوس الخطر الذي أثار انتباه الدولة العثمانية الى أطماع الايطالين في ليبيا ..

وكان ان قامت الدولة العثمانية بتعزيز قواتها في ليبيا ، الا انها اضطرت إلى أن تعود لسحب بعض هذه القوات لاستخدامها في قمع ثورة اليمن التي نشبت في تلك الأيام ..

والثابت تاريخيا أن ايطاليا أخذت تتحرش بالدولة العثمانية .. وكان أن أعلنت الحرب عليها في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ احتجاجا على تعزيز قواتها في ليبيا ..

كانت حجة واهية أرادت بها ايطاليا أن تبرر غزوها العسكري للأراضى الليبية ..

وفي أول الأمر اضطر الشعب الليبي أن يحمل على عاتقه عبء مقاومة الغزاة الايطالين فقد كانت الحماية العثمانية في ليبيا في تلك الأيام من الضعف والقلة بحيث لم يكن في وسعها أن تفعل شيئا ..

وفي سنة ١٩١٢ اشتعلت الحرب البلقانية ، مما اضطرت الدولة العثمانية معه الى عقد الصلح المعروف باسم صلح ( أوشى ) مع الايطالين ، وكان ذلك في شهر أكتوبر سنة ١٩١٢ ..

وفي هذا الصلح اعترفت الدولة العثمانية باستقلال الشعب الليبي استقلالاً داخليا وقامت بتعيين نائب للسلطان العثماني في الأراضى الليبية ، وكانت معروفة في تلك الأيام باسم طرابلس الغرب ..

ونصت هذه الاتفاقية على أن يتقاضى نائب السلطان العثماني راتبه هو ومساعدوه من الموظفين من خزانة ليبيا ، على أن يكون تعيينه لمدة خمس سنوات ..

كما نصت على تعيين قاضى شرعى يتقاضى راتبه من خزانة الدولة العثمانية في استانبول ..



انها لم تكن اتفاقية صلح .. ولكنها كانت اتفاقية لتسليم الأراضى الليبية للغزاة

الايطالين وأرادت الدولة العثمانية ان تؤكد موقفها ، فأوفدت وزير حربيتها وكان اسمه أنور باشا الى ليبيا حيث قام بزيارة السيد أحمد الشريف السنوسي في مقره بواحة جغبون ، وسلم اليه فرمانا عثمانيا بتعيينه نائبا للسلطان ..

وكان هذا فرمان كما يقول المؤرخون ، لا يعنى الا شيئا واحدا .. هو أن الدولة العثمانية قد رفضت يدها تماما من أمر ليبيا ..

وكشف ملك ايطاليا في تلك الأيام عن نيات الايطالين الاستعمارية ، وكان أن اصدر في نفس الوقت الذى عقد فيه اتفاقية الصلح ، منشورا لأهل ليبيا أعلن فيه خضوعهم التام للسيادة الايطالية ..

وتضمن هذا المنشور وعدا بالمحافظة على الشعائر الدينية بما في ذلك السماح للشعب الليبي بذكر اسم السلطان العثماني في خطبة الجمعة بالمساجد ، بوصفه خليفة للمسلمين في تلك الأيام ..

ولم ينتظر الشعب الليبي وخرج على بكرة أبيه يذود عن وطنه ضد الاستعمار الايطالى تحت قيادة السيد أحمد الشريف السنوسي ..

وكانت معارك حامية أوقع فيها الليبيون خسائر فادحة بالايطالين مما قلب مخططاتهم الاستعمارية رأسا على عقب ..

ولم يستسلم الشعب الليبي ، وظل يقاوم الايطالين بشجاعة وقوة ، وقد اعترف بذلك المؤرخون الايطاليون انفسهم .. وقد روى بعضهم كيف كان في تقدير الايطالين ان تتم عملية السيطرة على الأراضى الليبية في اسابيع ، الا انهم لم يتمكنوا من ضبط قبضتهم على البلاد بسبب تلك الخسائر الفادحة الا بعد عشرين سنة كاملة ..

وحاولت ايطاليا لكثرة خسائرها ان تعقد الصلح مع المجاهدين الليبيين ، وكان أن لجأت الى بعض اصدقاء السيد أحمد الشريف السنوسي لاقناعه بوقف القتال ، وكان من هؤلاء الوسطاء الخديو عباس حلمي الذى ارسل في سنة ١٩١٣ وفدا من القاهرة الى السيد أحمد الشريف السنوسي في مقر قيادته بالجبل الاخضر في تلك الأيام لمحاولة اقناعه بعقد الصلح مع الايطالين ..

ولم تغلح وساطة الخديو عباس حلمي ..





ومع اعلان الحرب العالمية الأولى عملت تركيا والمانيا على فتح جبهة غربية في الأراضى الليبية لتخفيف الضغط عن القوات التركية في جبهة سيناء وقناة السويس ..

وكان أن أرسل أنور باشا وزير الحربية التركية رسالة الى السيد احمد الشريف السنوسى يطلب اليه أن تنحرس قواته بالانجليز في الصحراء الغربية ..

والثابت تاريخيا .. أن السيد أحمد الشريف السنوسى قد رفض ذلك بقوة حرصا على مصالح الشعب الليبي ، الا أن الاتراك قاموا بتزوير بعض الأوامر التى بعثوا بها باسمه الى قوات المجاهدين التى كانت تعمل تحت قيادته ، وكان أن هاجمت قوات هؤلاء المجاهدين الانجليز ونجحت فى احتلال مدينتى السلوم ومرسى مطروح .. وكان ذلك فى سنة .. ١٩١٥ ..

وقد بادر الانجليز بالاتصال بالسلطان حسين كامل ، وطلبوا اليه العمل على ابلاغ السيد أحمد الشريف السنوسى بأن يلتزم الحياد والا يتورط فى مشروعات الدولة العثمانية مع الالمان ، وقد قام السلطان حسين كامل بايفاد بعثة الى ليبيا لمقابلة السيد أحمد الشريف السنوسى فى نفس السنة ..

وحملت هذه البعثة معها ثلاث رسائل واحدة من السلطان حسين كامل والثانية من مكماهون رئيس الوزارة الانجليزية والثالثة من قائد جيش الاحتلال الانجليزى فى مصر ..

وفى تلك الأيام كان عبد الرحمن عزام قد انضم الى مجموعة من المصريين تطوعوا لقتال الانجليز مع قوات المجاهدين الليبيين ..

وكانت الدولة العثمانية قد أوفدت نورى باشا شقيق أنور باشا وزير الحربية التركية لقيادة القوات التركية فى ليبيا ..

ونجحت هذه القوات مع قوات المجاهدين الليبيين والمتطوعين المصريين فى احراز انتصارات كثيرة ضد قوات الانجليز فى الصحراء الغربية ..

وحدث فى تلك الأيام أن اعتزل السيد أحمد الشريف السنوسى ليخلفه السيد ادريس السنوسى الا أن الشعب الليبي اكتفى بمبايعة ادريس أميرا على برقة ، ورفض أن يبايعه نائبا عن السلطان العثمانى خلفا للسيد أحمد الشريف السنوسى ..

وقام السيد ادريس السنوسى أثر توليه الأمور فى برقة بالاتصال بالانجليز ..

وسارعت القيادة الانجليزية في القاهرة بايفاد بعثة رسمية الى منطقة السلوم لاجراء مفاوضات معه . وعقدت هذه البعثة عدة اجتماعات مع ادريس السنوسى عاد بعدها الى المقر الذى إتخذة لقيادته في منطقة اشتهرت باسم .. إجدابية ..

وظهرت نتائج هذه الاجتماعات عندما طلب ادريس السنوسى الى القائد التركى نورى باشا سحب قواته ومغادرة الأراضى الليبية ..

ولم يخضع القائد التركى لتعليقات ادريس السنوسى ، بل بادر بالانسحاب الى ناحية الغرب مع قواته وقوات المجاهدين التى كانت تضم عددا كبيرا من المتطوعين المصريين ، وكان من بينهم عبد الرحمن عزام ..

ودارت في تلك الأيام معارك ضارية ضد الايطاليين الذين حاولوا انتهاز فرصة الحرب العالمية للسيطرة على الأراضى الليبية ..

وفي سنة ١٩١٨ نجح الوطنيون الليبيون في اعلان جمهورية عربية تقسم في الأراضى الليبية . وقد اطلقوا عليها اسم « الجمهورية الطرابلسية » ..

ولعب عبد الرحمن عزام في تلك الايام دورا هاما في الاتصالات السياسية بين زعماء القبائل . وكان هو الذى أعد وثيقة اعلان هذه الجمهورية الطرابلسية ..

ولم ييأس الايطاليون .. وكان أن استمروا في مؤامراتهم رغم اعترافهم بالجمهورية التى قامت على أراضى ليبيا ..

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى بادر الايطاليون بتوجيه عدة ضربات قوية الى قوات المجاهدين الليبيين ..

وتحطمت الجمهورية الطرابلسية ليبدأ الايطاليون عملية احتلالهم العسكرى للأراضى الليبية ..

وكان الايطاليون قد عقدوا عدة اتفاقيات مع ادريس السنوسى في برقة ليضمنوا وقوفه على الحياد الا انه خاف بطشهم بعد أن استتب لهم الأمر في الأراضى الليبية ، فبادر بالانسحاب عن طرزيق واحة جغبوب الى مصر في ديسمبر سنة ١٩٢٢ ..

وفي تلك الأيام كان الفاشست قد تولوا شئون الحكم في ايطاليا .. وعلى أثر انسحاب ادريس السنوسى الى مصر أعلن الوالى الايطالى على ليبيا في شهر ابريل ١٩٢٣ بطلان جميع الاتفاقيات التى كان الايطاليون قد عقدها مع السنوسيين ..

وأثار هذا الإعلان مشاعر الشعب الليبي فاستأنف القتال مرة أخرى ضد الإيطاليين ..  
واشتدت المقاومة حتى كانت سنة ١٩٣٠ عندما أقام السفاح الإيطالي جرازباني حاجزا  
في منطقة الحدود بين مصر وليبيا طوله ٣٠٠ كيلو متر ، ثم قام باغلاق الزوايا السنوسية  
ومصادرة ممتلكاتها واعتقل شيخوها ..

واندلعت نيران الثورة مرة أخرى .. وكانت معارك حامية ، وفي يوم ١١ سبتمبر  
١٩٣١ وقع البطل المجاهد عمر المختار في قبضة الإيطاليين ..

كان في التاسعة والستين من عمره ولم يرحم الإيطاليون شيخوخته ، فقاموا باعدامه في  
نفس الأسبوع الذي وقع فيه أسيراً في أيديهم ..  
وكان ذلك في يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١ ..

وفي سنة ١٩٣٧ حاولت إيطاليا التقرب إلى المسلمين ، فقام موسوليني بزيارة ليبيا لأول  
مرة منذ تولى الفاشست شؤون الحكم في إيطاليا ..

وكانت مظاهرة سياسية قدمت له الادارة الإيطالية أثناءها سيفاً من الذهب أطلقت  
عليه اسم سيف الإسلام رمزاً لما وصفته الدعايات الإيطالية بأنه يمثل الصداقة الإيطالية  
الليبية ..

ولكن مجلس الفاشست الأعلى ما لبث في يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ أن اعتبر الأراضي  
الليبية جزءاً من إيطاليا واعتبر أهل ليبيا من الإيطاليين .. وبمعنى آخر منح شعب ليبيا  
كله .. الجنسية الإيطالية .

وأثار قرار المجلس الأعلى للفاشست مشاعر الشعب الليبي مما اضطرت إيطاليا معه أن  
تصدر قانوناً للجنسية أطلقت فيه على الليبيين في برقة اسم الليبيين المسلمين ..  
تصورت أنها يمثل هذا القانون يمكن أن ترضى الوطنيين من أهل البلاد ..

ولكنها سرعان ما عادت في سنة ١٩٣٩ لتصدر قانوناً جديداً اعتبرت بمقتضاه برقة  
وطرابلس جزءاً من المملكة الإيطالية .. وأطلقت على الأراضي الليبية اسم **Quarta**  
**Sponda** .. أى الشاطيء الرابع ..

ولكن الحرب العالمية الثانية سرعان ما قلبت الكثير من مخططات الإيطاليين ..  
وتتكلم الوقائع التاريخية لتقول إن عبد الرحمن عزام قام في يوم ١٩ أكتوبر ١٩٣٩ بعقد

اجتماع في منزله بناحية أبو قير في ضواحي الاسكندرية ضم بعض الزعماء الليبيين للاتفاق على تنظيم حركة المقاومة الليبية ضد الايطاليين ..

ثم توالى اجتماعاته مع هؤلاء الزعماء الليبيين ، ومن بينهم السيد ادريس السنوسى ..  
وفي أغسطس سنة ١٩٤٠ عقد اجتماع في القاهرة أعلن فيه تكوين الجمعية الوطنية الليبية ..

وفي هذا الاجتماع قرر الليبيون مساندة بريطانيا في حربها ضد الايطاليين .. واعلان الامارة السنوسية ، وبيعة ادريس السنوسى أميراً على برقة ..

كما تقرر تكوين جيش لىي يخوض الحرب إلى جانب الحلفاء ضد ايطاليا تحت العلم السنوسى .

وقد اشترك هذا الجيش الذى كان يضم ١٤ ألف جندى و ١٢٠ ضابطاً من الليبيين في الكثير من معارك الحرب العالمية الثانية في منطقة العلمين .. وكان هذا الجيش للأسف الشديد تحت قيادة كولونيل انجليزى اسمه ( بروملو ) ..

وفي تلك الأيام كلف اثنان من المجاهدين الليبيين من أهالى منطقة طرابلس وهما عون بك سوف والشيخ محمد توفيق الغريانى بالاتصال بالفرنسيين عن طريق السفارة الفرنسية في القاهرة للحصول على ترخيص لهما بالسفر إلى الجزائر .

وفي يوم ١٠ يونيو ١٩٤٠ وهو اليوم الذى أعلنت فيه ايطاليا الحرب على الحلفاء سافر الاثنان إلى الجزائر لتجميع قوى المهاجرين الليبيين في تونس والجزائر للحرب ضد الايطاليين في ليبيا ..

وكانت مهمتها هى العمل على فتح جبهة ثانية ضد القوات الايطالية في ناحية فزان ولكن استسلام فرنسا حال دون فتح هذه الجبهة واضطر المجاهدان الليبيان إلى أن يعودا الى القاهرة ..

\*\*\*

اشتركت القوات الليبية في معارك الحرب في منطقة الصحراء الغربية .. وفي شهر فبراير سنة ١٩٤٣ نجحت قوات المارشال مونتنجرى في هزيمة القوات الألمانية والايطالية ..

وقام الانجليز والفرنسيون باحتلال ليبيا . . وبادر الانجليز بإقامة ادارتين عسكريتين واحدة في برقة والثانية في طرابلس . . بينما حكم الفرنسيون منطقة فزان حكماً عسكرياً . .  
وفي سنة ١٩٤٣ أصدر الانجليز عملة في طرابلس أطلق عليها اسم ( المال ) وكان الجنيه الاسترليني يساوي ٤٨٠ مالا . .

أما في فزان فكانت العملة فيها هي الفرنك الفرنسى الذى كان متداولاً في الجزائر . .  
ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية تنازلت ايطاليا عما كانت تدعيه من حقوق في مستعمراتها السابقة بما فيها أراضي الشاطيء الرابع ، أى الأراضي الليبية . .  
وعندما عرضت قضية ليبيا على مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى ثارت منازعات كثيرة . .

ولعبت الجامعة العربية في بداية نشأتها في سنة ١٩٤٥ دوراً كبيراً في الاتصالات السياسية والدولية من أجل اعلان استقلال ليبيا ووحدة أراضيها . .

وكان عبد الرحمن عزام هو أول أمين عام للجامعة العربية بعد نشأتها . . وأراد القدر للرجل الذى حارب مع المجاهدين الليبيين في حروبهم ضد الاستعمارين الانجليزى والاطالى أن يقوم بدور المحامى عن شعب ليبيا . .

واستطاع المجاهد الكبير رغم كل المؤامرات الدولية أن يحقق النصر لشعب ليبيا . .  
وكان أن أعلن استقلال ليبيا في أبريل سنة ١٩٤٩ . .

وكانت الأمم المتحدة قد كلفت لجنة تضم مندوبين عن الدول الكبرى باعداد توصياتها عن مستقبل الأراضي الليبية . .

ولما عرض تقرير هذه اللجنة على الجمعية العمومية للأمم المتحدة قررت في يوم ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ الموافقة على استقلال ليبيا ووحدها على ألا يتأخر تحقيق هذا الاستقلال عن يوم أول فبراير سنة ١٩٥٢ . .

وفي يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٠ اجتمعت الجمعية الوطنية الليبية لتعلن أن ليبيا دولة ديمقراطية اتحادية مستقلة ذات سيادة على أن تكون ملكية دستورية . .

وفجأة نشب خلاف بين ادريس السنوسى وعبد الرحمن عزام الرجل الذى قام بدور  
المهامى فى قضية الشعب الليبى ..

كان خلافاً على الأسس والمبادئ ..

وتمر الأيام بعد أن أصبحت ليبيا دولة مستقلة لتقوم ثورة الفاتح من سبتمبر سنة  
١٩٦٩ .. ومع هذه الثورة قامت على أرض ليبيا للمرة الثانية جمهورية ذات نظام  
ديمقراطى اشتراكى .. وهى الجمهورية العربية الليبية ..



## الفصل الأول

# بدأت حياتي تلميذا في مدرسة الحزب الوطني

تكلم عبد الرحمن عزام ليقول :

- أنا فلاح ابن فلاح من مديرية الجيزة التي أصبحت الآن محافظة ..

وصحيح أن شهادة ميلادي تقول .. أنني ولدت في يوم ٨ مارس سنة ١٨٩٤ ولكن أحداً لم يكن يهتم في الماضي بتسجيل المواليد في نفس اليوم ..

وكان عليهم أن ينتظروا حتى يذهب حلاق الصحة الى البندر لتسجيل المولود الجديد في مكتب الصحة ، ولذلك يحتمل كثيراً أن أكون قد ولدت قبل ذلك التاريخ الذي تحمله شهادة ميلادي الرسمية بأسبوع .. أو بعشرة أيام ..

ولكن الشيء المؤكد .. هو أنني ولدت في البيت الرقيق الذي كان والدي يعيش فيه في قرية الشوبك الغربي بمركز البدرشين ، وهي القرية التي أمضيت فيها طفولتي بين الفلاحين ، وأنا انتقلنا بعد ذلك إلى حلوان لنعيش في بيت اشتراه والدي من أحد الباشوات حتى نكون قرييين من المدرسة الابتدائية التي التحقت بها ..

وفي حلوان لم تنقطع صلاتي بقريتنا ، فقد كنت أذهب إليها في أيام الإجازات الأسبوعية ، وفي فترة الصيف ..

وكل ما أذكره عن حياتي في تلك الأيام .. هو منظر المفتش الانجليزي عندما كان يأتي إلى قريتنا ..

كنت أراه وهو يتجول فوق حضانه بين المزارع ، وعند شاطئ القرعة ، وأحياناً .. كنت ألهمه جالساً ، وهو يشرب الشاي في دوار العمدة ..

وكان مشهد المفتش الانجليزي بعجرفته يثير في نفسي الشعور بالألم والمرارة ، فقد كنت أرى فيه رغم حداثة سني احدي صور الاحتلال الانجليزي الذي كان يجثم على أنفاس بلادي ..



وكنت أرى أيضاً الجنود الانجليز في شوارع القاهرة .. كلما نزلت إلى المدينة من حلوان ، وهم يتجولون في الشوارع ، ولم يكن في وسمى ، وأنا طفل صغير أن أفعل شيئاً ..

وحدث مرة أن اصطحبني والدي لزيارة أحد أقاربنا في القاهرة ..

وشاهدت جماعة من هؤلاء الانجليز بلباسهم العسكرية وقد خلع كل منهم حزامه ، وهو ينهال به ضرباً على مجموعة من الأهالي الوطنيين وكانوا يجلسون على أحد المقاهي .

ولما سألت والدي عما كانوا يفعلونه قال لي ، وهو يحاول أن يسكتني :

- انهم سكارى .. يا ولدي ...

قالها والدي ، ثم أخذ يسب ويلعن هؤلاء الجنود الانجليز ..

\*\*\*

ولم أكن قد تجاوزت الثانية عشرة من عمري عندما سمعت لأول مرة في حياتي ، عن مصطفى كامل زعيم الحزب الوطني ..

كان الناس يتحدثون عنه ، وعن وطنيته ومواقفه في كل مكان ..

ولن أنسى ما حبيت تعليقات الفلاحين في قريتنا « الشوبك » عندما كانوا يسمعون عن مواقفه ..

كانوا يجلسون بعد صلاة العشاء على المصاطب أمام بيوت القرية ، وقد التفوا حول واحد منهم ، وهو يقرأ لهم الصحف أو المجلات القديمة التي كانت تنقل خطبه ومقالاته ..

وكانوا يصفقون ويرقصون عندما يسمعون كلمات الزعيم الشاب وهو يطالب بالاستقلال التام أو الموت الزؤام ..

وفي تلك الأيام ، لم تكن مصر قد عرفت شيئاً اسمه الراديو أو التلفزيون ، ولذلك كانت أخبار مصطفى كامل تسرى بين الشعب من مواطن إلى آخر ..

وحفظت وأنا طفل صغير الكثير مما كان الزعيم الشاب يقوله في خطبه ومقالاته ..

وأعجبنى كلماته وهو يقول : لا بأس مع الحياة .. ولا حياة مع اليأس .. بالدرجة التي جعلتني أردد تلك الكلمات المأثورة على لساني ..

ولا أظننى قد تركت في تلك الأيام حائطاً واحداً في قرية الشوبك الغربى . . أو في بيوت مدرسة حلوان ، دون أن أكتب عليه بالطباشير بعض كلمات الزعيم الوطنى الذى ومض نوره في حياة شعب مصر كالشعاع المضىء في ظلام الاحتلال ، ثم خبا هذا الضوء فجأة بوفاته وهو في ريعان الشباب . .

وهكذا مارست وأنا تلميذ بالمدرسة الابتدائية ، كتابة المنشورات على حوائط بيوت قريتنا وفي مدينة حلوان . . ولكن بالطباشير . .

ومع مرور الأيام أخذت أفكار الحزب الوطنى تتغلغل في نفسى وتثير في قلبى الحماس والحمية الوطنية ، حتى إذا ما ذهبت إلى المدرسة السعيدية في سنة ١٩٠٨ بادرت بالاشتراك مع زملائى طلبة المدرسة في إنشاء جمعية وطنية أطلقنا عليها اسم جمعية « الرابطة الاسلامية » . .

كانت جمعية تنادى بأفكار الحزب الوطنى . . والزعيم الشاب مصطفى كامل . .

وأذكر عندما كنت تلميذاً بالمدرسة السعيدية أن وقعت لى حادثة اهتزت لها نفسى بقوة وعنف ، فقد كانت عادق أن استيقظ في كل يوم عند الفجر لألحق بأول قطار يقوم من حلوان إلى محطة باب اللوق في القاهرة ، ومنها كنت أذهب إلى المدرسة السعيدية في الجزيرة سيراً على قدمى . .

وكانت عندى تذكرة اشتراك أى « أبونيه » في الدرجة الأولى في القطار . . وحدث في أحد الأيام . . أننى ركبت القطار من محطة حلوان ، وكان معى أحد زملائى ، ولما همنا بالدخول إلى أحد صالونات الدرجة الأولى ، فوجئت بأحد العساكر الانجليز ، وكان يجلس بداخله ، وهو يرفع قدميه ليسد بها الباب حتى يمنعنا من الدخول إلى الصالون . .

ولم أتمالك نفسى من الغضب ، وتبادر إلى خاطرى أن أمسك بخناق العسكرى الانجليزى حتى ألقنه درساً في الأدب ، لولا أن منعى زميلى ، وهو يقول لى :

- إحنا رايحين المدرسة ، ولا عاوز نتخانق . .

قلت له ، وأنا في أشد حالات الضيق والانفعال :

- أنت شفت عمل إيه . . ان آخر ما كنت أتصوره أن تصل به الوقاحة إلى هذا

الحد . .

وأخذ زميلي يهدىء من غضبي ، وأنا أحاول التحرش بالعسكري الانجليزي حتى وصل بنا القطار إلى محطة باب اللوق ..

وذهبنا إلى المدرسة السعيدية وأنا في أشد حالات الغيظ ، وكان أول ما فعلته عندما التقيت ببقية زملائي أن رويت لهم حكاية العسكري الانجليزي وأنا أقول لهم :  
- إنهم يحتلون بلادنا ، وقد بلغت بهم العجرفة والعنجهية أن يسد جنودهم الأبواب بأحذيتهم في وجوهنا .. ونحن أبناء البلاد .. !

وبقيت هذه الحادثة عالقة في ذهني ، ولم أستطع أن أنساها ، ويحتمل كثيراً أن يكون السبب ، هو أنني لم أستطع أن ألقن هذا العسكري الانجليزي درساً في الأدب حتى أنتقم لنفسي ، ولكرامة بلدي !

\*\*\*

ومات والدي رحمه الله ، عندما كنت في الحامبية عشرة من عمري ..

وكان نصيبي من تركته لا يزيد على قطعة أرض زراعية في زمام قرية الشوبك الغربي ، ومنزل في حلوان بالإضافة إلى بعض النقود السائلة التي كان والدي يحتفظ بها في بيته كعادة أهل الريف أيام زمان ..

إن والدي لم يكن ثرياً .. وصحيح أن عائلتنا في قرية الشوبك الغربي كبيرة ، وترتبطها بعائلات كثيرة في المنطقة التي حولها صلات النسب والمصاهرة ، إلا أننا لم نكن في يوم من الأيام من الإقطاعيين ..

كنا من هؤلاء الذين يمكن أن ينطبق عليهم القول : مستورين والحمد لله ..

\*\*\*

المهم واصلت دراستي في المدرسة السعيدية بعد وفاة والدي ..

كنت أريد أن أتعلم حتى يتسنى لي خدمة بلدي .. وكان والدي رحمه الله يريدني أيضاً أن أتم دراستي ..

كان يقول لي دائماً : أريدك أن تتعلم وأن تحصل على شهادتك الجامعية حتى يصبح لك شأن في الحياة .

وقد بقيت مواظباً على دراستي حتى حصلت على الشهادة الثانوية في عام ١٩١٢ ..

وبعدها ذهبت إلى أهلى، وطلبت اليهم الموافقة على سفرى إلى لندن ..

قلت لهم : أريد أن أدرس الطب فى كلية سان توماس الانجليزية ..

وحاول بعضهم اقناعى بالعدول عن رأىى ..

قالوا لى : أنت ما تزال صغيراً، ونحن نخشى عليك من السفر إلى لندن وحدك ..

ولكننى أصرت بشدة على رأىى .. وبعد مناقشات طويلة، اضطر أهلى للموافقة على

سفرى إلى لندن ..

والحقيقة التى لا يعرفها كثيرون هى أننى لم أكن أميل إلى دراسة الطب، وقد تأكد لى

ذلك بعد وصولى إلى لندن، والتحاقى بالكلية الانجليزية ..

ولا أظن أننى قد عرفت حتى الآن الأسباب التى دفعتنى إلى الاتجاه لدراسة الطب فى

لندن .. ولكن الاحتمال الأرجح .. أنها كانت مجرد نزوة راودت تفكيرى كشاب كان يريد

أن يخرج من بلده ليتجول فى بلاد العالم .. وليرى ويشاهد ويقامر ..

إلا أن الشيء المؤكد أن أفكاراً كثيرة كانت تراودنى فى تلك الأيام .. حول ما يجب

على أن أفعله من أجل بلدى .. ومن أجل مقاومة الاحتلال الانجليزى ..

كنت أحلم ككل شباب عاش أيام الاحتلال الانجليزى على أرض مصر فى أن يكون له

دور فى الكفاح ضد قوى هذا الاحتلال وأعوانه ..

وكان فى رأىى كلما راودنى هذا التفكير أن الاستقلال التام الذى كان مصطفى كامل

باشا يطالب به، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا شارك كل فرد من أبناء شعبنا الطيب بنصيب

فى معركة الكفاح ضد هذا الاستعمار ..

وكان أهم ما يحتاج إليه بلدى فى تلك المعركة .. هو انقذاه من الأعداء الثلاثة التى

كانت تهدد كيان شعبنا الطيب فى تلك الأيام .. وهى الفقر والجهل والمرض ..

وكان تصورى .. أننى بدراسة الطب يمكن أن أصبح طبيباً، وأن أضع نفسى وعلمى

فى خدمة أبناء بلدى ..

ويحتمل أيضاً أن يكون السبب ما كنت قد قرأته فى تلك الأيام عن دور الطب فى

معارك تحرير الشعوب، فقد كان أول ما ألفه المهاتما غاندى بعد أن أصبح زعيماً للهند هو

كتاب عن الأدوية والطب ..

كما ارتبط اسم المرحوم على « باشا » مبارك بكتاب آخر من تأليفه وكان عن الارشادات الصحية .. !

وفي اعتقادي أن تفكيرى قد قادنى للاتجاه لدراسة الطب حتى أصبح طبيباً تصوراً منى أننى قد أتعرض للنقى أو التشريد من بلدى ، وكان أملى فى تلك الحالة أن أجد لنفسى عملاً اتكسب منه فى أى مكان يستقر به مقامى بعيداً عن بلدى ...

المهم .. كنت أريد أن أفعل شيئاً من أجل مصر ، وقد استقر رأبى على دراسة الطب إيماناً منى بأن هذه الدراسة واجب وطنى فى معركة نضال شعبنا المصرى ضد الاحتلال الانجليزى ..

ولا أريد أن أقول .. أن قدرى هو الذى أخذ يشدنى بقوة للسفر إلى لندن حتى يتسنى لى العمل بحرية أكثر فى الحرب التى أعلنتها بعد ذلك على طريقي الخاصة ضد الاحتلال الانجليزى لبلدى ..

\*\*\*

سافرت إلى لندن لألتحق بكلية سان توماس الانجليزية لدراسة الطب ..

كنت شاباً صغيراً بلا خبرة بالحياة .. وبلا تجارب ..

وصادفتنى أول مشكلة فى نفس الأسبوع الذى وصلت فيه إلى العاصمة الانجليزية ..

اكتشفت فجأة .. أن مستنداقى التى حملتها معى من القاهرة للتقدم بها إلى الكلية الانجليزية كان ينقصها مستند واحد .. وهو شهادة تثبت حسن سيرى وسلوكى أثناء دراسى الثانوية ..

وفى بادىء الأمر .. تصورت أن هذه الشهادة لا تمهم كثيراً ، وكان أن حاولت بسداجة الربقى القادم من قرية الشوبك الغربى إقناعهم بأن مثل هذه الشهادة بحسن السير والسلوك تعتبر شهادة شكلية ، إذ يحتمل كثيراً أن يختلف الناس فى تقديرها ..

ولكنهم لم يقتنعوا برأبى ، وقالوا لى .. إنها على العكس ضرورية وهامة .. وأنه كان مفروضاً على أن أحملها معى من القاهرة ..

وكانت مناقشات طويلة أدركت أثناءها سر حرصهم واصرارهم على أهمية هذه الشهادة ..

كانوا يريدون أن يتعرفوا على رأى الناظر الانجليزي للمدرسة السعيدية التي أتممت فيها دراستى الثانوية فى سلوكى أثناء دراستى بمدرسته قبل أن يسمحوا لى بالالتحاق بكلية الطب ..

ولم أياس ، وبادرت بالكتابة إلى رجل انجليزي كان صديقاً للمرحوم والدى ، وكان يعيش فى القاهرة أطلب مساعدته فى الحصول على الشهادة المطلوبة .. وكان اسمه على ما أذكر .. مستر أنتونى ..

قلت له .. إن هذه الشهادة تقف عثرة فى سبيل التحاق بكلية الطب الانجليزية . ورجوته أن يذهب بنفسه إلى ناظر المدرسة الانجليزي لاستخراج هذه الشهادة . وإرسالها على عنوانى فى لندن حتى يتسنى لى استكمال أوراقى والالتحاق بكلية الطب ..

وقام الرجل بشهامة لم أتعودها فى تلك الأيام من أبناء بلده الانجليز باستخراج الشهادة المطلوبة ، ثم بعث إلى بها فى لندن ، ومعها خطاب توصية إلى واحد من أصدقائه الانجليز ليعمل على مساعدتى ..

وكان مستر أنتونى واحداً من الموظفين الانجليز الذين جاءوا مع الاحتلال البريطانى ليعمل فى نظارة المالية المصرية ، وظل الرجل يتدرج فى المناصب حتى أصبح مديراً لمصلحة الأملاك الأميرية ..

ولما أحيل إلى المعاش رفض أن يعود إلى انجلترا ، ليعيش فى فيلا صغيرة اشتراها فى ناحية المطرية .. وظل الرجل يتقاضى معاش تقاعده من الحكومة المصرية إلى أن مات هو وزوجته ..

\* \* \*

وأنا نفسى كنت طفلاً صغيراً عندما توثقت عرى الصداقة بين الرجل الانجليزي والذى رحمه الله ، وإن كنت قد سمعت من بعض أبناء قريتنا فيما بعد تفاصيل ما حدث بين والدى الرجل الفلاح الذى ارتبط بالأرض والفلاحين وهذا الرجل الانجليزي الذى جاء إلى مصر مع الاحتلال البريطانى ..

قالوا لى إن الصداقة التى توطدت بينها كانت من النوع الذى ينطبق عليه المثل الذى يقول : لاجبة إلا بعد عداوة ..

وكان الرجل الانجليزي قد جاء إلى قريتنا ليقوم بتقدير الضرائب على الأراضى

الزراعية بتكليف من نظارة المالية في تلك الأيام ..

وأثارت فداحة الضرائب التي قام الرجل بربطها على الأهالي غضب والدي ، وكان وقتئذ عضواً في مجلس شورى القوانين عن مديرية الجيزة التي أصبحت الآن محافظة .. ووقعت مشادة بين الرجل ووالدي أثناء معابته للأراضي الزراعية في زمام قرنتنا ..

قال له والدي :

- هذه الضرائب ظلم فادح ، ومحاولة لاثقال كاهل الفلاحين بها ..

ورفض الرجل بعجرفته الانجليزية في تلك الأيام اعتراض والدي قائلاً : إن قراره نهائي ، وأنه لا رجوع فيه ..

ولم يتالك والدي رحمه الله نفسه من الغضب ، فقام « بتشمير » أي رفع أطراف أكتافه على طريقة الفلاحين ثم أمسك الفأس ، وضرب بها الأرض بحدة ، ليخرج منها حفنة من التراب ، ثم أخذ يلوح بها في وجه الرجل الانجليزي محاولاً إقناعه بوجهة نظره ..

وتصور مستر أنتوني - الذي لم يكن قد فهم ما يعنيه والدي - أنه قد هدده بالقتل ، عندما ضرب الأرض بالفأس وأنه كان يريد أن يقول له :

- سأقتلك .. ثم أدفنك في التراب ..

وتطور الموقف بين الاثنين ، لولا أن عرف الرجل الخطأ الذي وقع فيه ، وأدرك أن كل ما كان والدي رحمه الله يريد أن يقوله له عندما ضرب الأرض بالفأس .. هو أن ظاهر الأرض لا يكشف عن باطنها ..

وأنه قد ربط ضرائبه الفادحة على الأرض متصوراً أنها من الأراضي الزراعية ، بينما يوجد تحتها طبقة رملية .. أي أنها أصلاً من الأراضي الرملية التي لا تستحق ما ربطه عليها من ضرائب فادحة ..

واعترف الرجل ، وهو يعترف بأنه قد اشتط كثيراً في تقدير الضرائب التي ربطها على الأرض ..

وتحول الخلاف بسرعة بين والدي رحمه الله والرجل الانجليزي إلى صداقة وطيدة ..

\* \* \*

وفي لندن بدأ اهتمامى بالعمل في السياسة مع التحاق بكلية الطب الانجليزية فقدت بالاشتراك مع مجموعة من الطلبة المصريين الذين كانوا يدرسون في جامعات الانجليز بإنشاء جمعية مصرية أطلقنا عليها اسم: «جمعية أبو الهول» ..

وبدأت هذه الجمعية نشاطها بأن وجهت الدعوة إلى الزعيم الوطني محمد فريد وكان يعيش في سويسرا. لزيارتنا في لندن ..

وجاء الزعيم الكبير ليقم معنا عدة أيام في لندن ..

ولما اعتزم السفر .. تبرع كل واحد منا بما كان معه من نقود، ثم قدمناه إلى الزعيم الكبير مساهمة منا في أعباء الحركة الوطنية التي كان يقودها من سويسرا .. كنا نعرف أنه يعيش في ضنك، وأن حالته المالية سيئة للغاية ..

وامتلأت عيننا الزعيم الكبير بالدموع عندما مددنا إليه يدنا بالمبلغ الذي تبرعنا به ..

كان يعرف أننا جميعاً من الطلبة الذين يدرسون في لندن، وأنا نعيش على ما كانت عائلتنا ترسله إلينا من مصروفات لتنفقها على دراستنا ..

وتصور الزعيم الكبير مصر كلها في تلك الأيام، وهي تمد إلى حركته الوطنية يد المساعدة فأخذ يحدثنا بما كانت تفيض به وطنيته التي بلغت أسمى آيات التضحية، حتى حانت ساعة مغادرته لنا ليسافر إلى سويسرا ..

والشئ الذي لم يعرفه الزعيم الكبير في تلك اللحظة .. هو أن بعضنا قد تبرع له بكل ما كان في جيبه عن طيب خاطر، دون أن يحتفظ معه بشلن واحد ثمناً لعشائه في تلك الليلة ..

وكنت واحداً من هؤلاء الذين أعطوا للزعيم الكبير عند سفره من لندن، كل ما كانوا يحملونه في جيوبهم من نقود ..

\*\*\*

وكان الزعيم الكبير قبل أن يغادر لندن عائداً إلى سويسرا، قد طلب أن أصطحبه مع اثنين من زملائنا لزيارة رجل انجليزي اشتهر بمناهضة الاحتلال الانجليزي لمصر .. واسمه مستر بلين ..

إنه نفس الرجل الذي انبرى للدفاع عن أحمد عرابي باشا وزملائه إثر تقديمهم



للمجاعة العسكرية بعد فشل الثورة العربية واحتلال الانجليز لمصر..

وذهبنا إلى الرجل في بيته، وكان يعيش في منزل صغير في إحدى ضواحي لندن..

كان رجلاً عجوزاً، وقد انتابته الفرحة عندما عرف بزيارة الزعيم محمد فريد له في

بيته..

وكان بينها حديث طويل..

وعند انصرافنا أمسك الرجل بيدي ثم أخذ يشد عليها بقوة، وهو يقول لى:

- يا بني لا تيأسوا وصابروا.. إن قضيتكم عادلة والنصر فيها محقق لكم.. وعليكم أن تقاوموا وأن تتابروا حتى تعود إلى بلادكم حريتها.. وأنا على يقين من أن الانجليز سيخرجون من بلادكم التي احتلوها بغير حق..

\*\*\*

وأوشك العام الدراسي على الانتهاء..

وفجأة اندلعت نيران الحرب في البلقان..

وأخذت الصحف الانجليزية تصف الجرائم الوحشية التي كانت جيوش الجبل الأسود والصرب والبلغار ترتكها في تلك البلاد..

وانتابتني عاصفة نفسية، وأنا أتابع كل ما كانت الصحف الانجليزية تنشره عن مذابح المسلمين..

وجاءت في تلك الأيام بعض الأنباء تقول.. إن المعتدين قد قاموا بتحويل المساجد إلى كنائس وأنهم يرفعون فوقها الصليبان..

وقالت أنباء أخرى.. إن آلاف المسلمين، قد خرجوا من بيوتهم مشردين..

ولم أتمالك نفسى من الغيظ..

وكان أن اتخذت قراراً خطيراً..

قررت أن أترك دراستي للطب، وأن أسافر إلى البلقان للتطوع في صفوف المسلمين في الحرب ضد هؤلاء الطغاة..

ونصحني بعض زملائي بأن أتريث حتى أفرغ من تأدية امتحانات آخر السنة في

كلية الطب..

قالوا لي .. إنه لم يبق على موعد الامتحان أكثر من عدة أسابيع ، وعلى أن أؤدي امتحاناتي وبعدها أستطيع أن أفعل ما أريد .

ووافقت على مضمض ، فقد كانت الفظائع التي ترتكب ضد المسلمين تثير في نفسي القلق ..

وأذكر أنني انتظرت حتى فرغت تماماً من تأدية امتحانات السنة الدراسية ، وبعدها بادرت بالسفر في اليوم التالي إلى البلقان ..

وفي تلك الأيام كان العالم يختلف كثيراً عن عالمنا اليوم ..

وتصوروا .. لقد اخترقت غرب أوروبا ووسطها بالقطارات حتى وصلت إلى ميناء تريستا على بحر الأدرياتيك دون أن يكون معي جواز سفر .. أو تأشيرة واحدة لدخول أية دولة من الدول الأوروبية التي مررت بها ..

وأكثر من ذلك .. لم أكن أحمل حتى بطاقة لاثبات شخصيتي ..

وكنت قبل مغادرتي لندن قد حصلت على خطاب يقدمني لكل من يهمه الأمر على أنني أعمل مراسلاً للجريدة العمالية اسمها « الدبلي ستين » ..

وهذه الجريدة لم تكن معروفة ، ولم يكن يقرؤها إلا عدد محدود من العمال ..

كما أن أحداً لم يكن يسمع عنها في خارج نطاق هذه المجموعة الضيقة من قرائها من العمال ..

وبمعنى آخر .. لم تكن هذه الجريدة مشهورة أو منتشرة ..

وفي تلك الأيام كان حزب العمال البريطاني من الأحزاب المغمورة ، فلم تكن له أي قيمة سياسية .. ولم يكن له في مجلس العموم البريطاني أكثر من نائب واحد ..

وكان أحد أصدقائي الانجليز هو الذي ساعدني في الحصول على الخطاب الذي يعتمدني كمراسل لتلك الجريدة العمالية ..

وهذا الصديق الانجليزي عمل فترة من الوقت في خدمة السلطان عبد الحفيظ سلطان مراكش في تلك الأيام .. ولم يكن مطلوباً مني إلا أن أرسل تحقيقاتي الصحفية عن الموقف في البلقان إلى عنوان صديق له يعمل محرراً بتلك الجريدة على أن يقوم هذا الصديق بتقديمها إلى جريدته ..

ولعلني لا أكون مبالغاً إذا قلت .. إنى لم أقابل هذا المهرر مرة واحدة في حياتى ..

كما أنتى لم أدخل إدارة جريدته وبالتالي لم أكن أعرف عنوانها بالضبط ..

وهكذا سافرت إلى البلقان ولم أكن أحمل فى جيبى أكثر من ذلك الخطاب فضلاً عن سدس صغير، وعدة جنيهات ذهبية كنت قد ادخرتها خصيصاً لتكون رصيدى أثناء مغامرتى فى البلقان ..

وفى تلك الأيام .. لم تكن المعاملات النقدية مضطربة كما هو حالها اليوم، فقد كانت أسعار العملات النقدية ثابتة .. ولم يكن هناك ما يسمونه الآن بالعملات الصعبة والعملات السهلة .. كما لم تكن هناك أيضاً أية مشكلات فى الجمارك ..

ولا أذكر أن أحداً قد سألتنى طول الطريق عن وجهتى أو جنسيتى ..!

\*\*\*

وصلت بالقطار إلى تريستا، ومنها ركبت الباخرة إلى ميناء اسمه « كترو »، وهو نغر صغير بطل على بحر الأدرياتيک ..

كان المنفذ الوحيد إلى مدينة « ستنجه » .. عاصمة مملكة الجبل الأسود فى تلك الأيام .. وقد تلاثت تلك المملكة لتصبح الآن جزءاً من جمهورية يوغوسلافيا ..

ومن ميناء كترو ركبت عربة يجرها حصان لتحملنى إلى مدينة « ستنجه » .. وكان علينا أن نصعد بالعربة إلى قمة جبل شاهق على أن تنحدر بنا بعد ذلك من الناحية الأخرى لتصل إلى المدينة، ولكن حدث أثناء صعود العربة إلى قمة الجبل أن اضطرب الحصان، بحيث أخذت العربة تتراجع لتبهط بمؤخرتها فى الاتجاه الآخر إلى سفح الجبل بدلاً من الصعود فوقه ..

ولم يتالك الحوذى نفسه فأخذ يصرخ فزعاً وهو يرسم على صدره علامات الصليب ..

وكان معى فى العربة عدد من المسافرين لا أعرفهم، كما أن أحداً منهم لم يكن يعرف عنى أو عن المهمة التى جئت من أجلها شيئاً .. وكنت فى نفس الوقت لا أعرف شيئاً عن اللغة التى كانوا يتكلمون بها ..

ولاحظت نظرات الارتباب فى عيونهم، وهم يتلفتون ناحيتى ..

وأخذت من جانبي أبادهم نفس النظرات وعندما أظلم الجبل مع وصول الليل أخذت الوحشة تتناهى وكانت أول مرة أشعر فيها منذ تركت لندن بخطورة المغامرة التي كنت مقدماً عليها ..

\*\*\*

وفي مدينة ستنجه عاصمة الجبل الأسود نزلت في فندق متواضع ..  
كان فندقاً غريباً .. فقد كانت الجياد تشاطر فيه النزلاء غرف النوم ..  
وجلست استريح في ذلك الفندق الذى لم أعد أذكر اسمه ، من مشاق رحلتى الطويلة ..  
وفي صباح اليوم التالى كانت في انتظاري مفاجأة مثيرة ، فقد اكتشفت أن مدينة ستنجه تعج بالأعداء الذين جئت خصيصاً من لندن للتطوع في الحرب ضدهم ..  
وكان الفندق الذى نزلت فيه يمتلئ أيضاً بهؤلاء الأعداء ..  
وأخذ القلق يتناهى ..

ماذا لو عرفوا بحقيقة أمرى ؟ ..

وقررت أن التزم الصمت التام حتى أجد مخرجاً من المصيدة التى وقعت فيها ..  
وبينما كنت جالساً في الفندق أفكر في أمرى لفتت نظرى خريطة كانت على الحائط ..  
فأخذت أنطلع إليها لأدرك لأول مرة حقيقة الخطأ الذى أوقعت نفسى فيه ..  
كان على أن أواصل رحلتى إلى واحدة من المدن الألبانية الاسلامية التى ظلت جيوش الجبل الأسود والصرب تحاصرها لفترة طويلة ، واسمها مدينة «شقودرا» ..  
إن دفاع أهل هذه المدينة عنها كان عظيماً .. وهى لم تستسلم إلا بعد أن انسحبت القوات المدافعة عنها بسلاحها بعد معركة خاضتها تلك القوات دفاعاً عنها بشرف وكرامة ..  
وأثار سقوط هذه المدينة في أيدي الأعداء منازعات سياسية بين مملكة الجبل الأسود والصرب والنمسا ..

كانت كل دولة تريد أن تحتل المدينة بقواتها العسكرية ..

وأثار الخلاف بين القوى المتنازعة أزمة انتهت بالاتفاق على أن تقوم قوة دولية بقيادة  
ادميرال انجليزى باحتلال المدينة !

\* \* \*

لم يكن فى وسعى فى تلك الليلة أن أفعل شيئاً ..  
وكان على أن أتصرف بهدوء حتى لا أثير الارتياح فى نفوس الأعداء الذين كان يمتلئ  
بهم المكان حولى ..

وقد بقيت فى حجرى بالفندق أفكر فيما يجب أن أفعله لأفقت من المصيدة التى وقعت  
فيها حتى غلبنى النوم .. !

وفى صباح اليوم التالى صحت من نومى متعباً شارد الذهن ..  
كانت ورطتى تثير قلقى ..  
ولم أبق فى الفندق طويلاً ، فقد سارعت بالخروج للتجول فى المدينة ..  
وأثار انتباهى أسماء بعض لافتات المتاجر فقد كانت مكتوبة باللغة التركية ..  
ولم أتمالك نفسى من الفرحه ، وبادرت بالدخول إلى أحد هذه المتاجر ..  
وفى تلك الأيام ، لم أكن قد تعلمت اللغة التركية ، ولذلك رفعت يدى بالنحية  
لأصحاب المتجر ، وأنا أحدثهم باللغة الانجليزية ..  
وأخذ أصحاب المتجر يتلفتون حولهم ، والدهشة تملأ عيونهم ..  
كان واضحاً أنهم لم يفهموا كلماتى الانجليزية ، ولذلك وقفت فى مكافى ، وأنا فى أشد  
حالات الحيرة ..

وأدرك أحدهم المأزق الذى وقعت فيه ، فدعانى بإشارة من يده للجلوس على مقعد إلى  
جواره ، ثم همس فى أذن رجل كان يجلس بالقرب منه بعدة كلمات ..  
وخرج الرجل بسرعة من المتجر لينتابنى قلق شديد ، فقد تبادل إلى ذهنى ، أن أصحاب  
المتجر من الأعداء ، وأنهم قد أرسلوا الرجل لاستدعاء أحد رجال الشرطة للقبض  
على ..

ولم تهدأ أعصابي ، إلا عندما رأيت الرجل عائداً بعد عدة دقائق ، وبصحبه شيخ معمم يتكلم اللغة العربية الفصحى ..

كان واحداً من الشيوخ الذين يطلق عليهم الألبان المسلمون اسم « الحفاظ » .. أى حفظة القرآن الكريم ..

ولم أنتظر بعد أن عادت إلى الروح وبادرت بالافضاء الى الشيخ برغبتي في الوصول إلى مدينة شقودرا ..

قلت له : أنا مسلم مثلكم ، وأريد أن تساعدوني في الوصول إلى هذه المدينة ..

وقام الشيخ بترجمة حديثي إلى أصحاب المتجر فأخذوا يرحبون بي ، وخاصة بعد أن عرفوا أنني مصرى ومسلم !!

وأكثر من ذلك أصروا على استضافتي لمدة ثلاثة أيام ...

وبعدها قاموا بتزويدي بكميات كبيرة من الطعام ، ثم كلفوا أحدهم باصطحابي إلى منطقة الحدود في الطريق إلى مدينة شقودرا ..

وكان هؤلاء المسلمون الألبان هم الذين أنقذوني من المصيدة التي وقعت فيها !



## اتهموني بمحاولة اغتيال الخديو عباس!

وصلت إلى مدينة شقودرا ..

وأثارت انتباهى مناظر الدمار الذى حل بالمدينة أثناء المعارك ..

كانت آثار الحرب فى كل مكان ..

وكان أول ما فعلته ، هو أننى نزلت للتجول فى شوارع المدينة ..

تصورت أن فى وسعى أن أجد وسيلة للاتصال بالأرناؤوط الوطنيين وبالمجاهدين ..

وكان على فى نفس الوقت أن أكون على حذر شديد بعد تجربتى فى مدينة ستنتجه ..

وتبادر إلى ذهنى ، وأنا أتفرس فى وجوه الناس ، خاطر غريب ..

ماذا لو ارتاب فى أهل المدينة ؟ ..

تصورت أنهم ما كانوا يترددون لحظة فى قتلى ..

وحاولت أن أطيب خاطرى ، وأنا أقول لنفسى :

- لا أظن أننى أتير الريبة ..

كنت أبدو هزيل الجسم ، ولم أكن قد تجاوزت العشرين من عمرى ..

ولم يكن فى مظهرى ما يوحي بأننى جئت خصيصاً إلى تلك البلاد لأحارب فى صفوف

المجاهدين من أبنائها ..

وذهبت لمقابلة حاكم المدينة الانجليزى ..

كان رجلاً صارم الوجه شديد المراس ..

وحدجنى الرجل بنظرة فاحصة تم عن فظاظته وقسوته عندما دخلت عليه ، ثم سألتى ،



وهو يتطلع إلى من أعلى إلى أسفل وبالعكس :

- من تكون؟ ..

قلت له بثبات ودون أن أهتز في موقف لحظة واحدة :

- إننى مراسل الجريدة .. « الدبلى ستينز » الانجليزية ..

وأطرق المحاكم الانجليزية برهة ، ثم استطرد يسألنى بنفس الصرامة :

- وأين هى ' الدبلى ستينز ' هذه ؟ . إننى لم أسمع عنها من قبل ..

قلت له :

- إنها جريدة تصدر فى لندن ، وقد أوفدتنى هذه الجريدة لموافاتها بتحقيق صحفى عن الحرب الدائرة فى المنطقة التى حولنا ..

قال المحاكم بتهمك : وهل هذه الجريدة غنية إلى الدرجة التى تساعدها على أن توفد مراسلاً خاصاً لها إلى جبهة القتال ؟

قلت له بسرعة :

- بل إنها فقيرة لدرجة أنها أوفدت رجلاً متواضعاً مثلى ، يرضى بالقليل !

وابتسم الرجل لأول مرة عندما سمع ردى عليه ، ثم طلب إلى أن أطلععه على أوراقى ..

ولما أبرزت له خطاب الجريدة ، اكتفى بالاطلاع عليه ، ثم التفت ناحيتى وهو يقول :

- إننى أعتبرك هنا من رعايا بريطانيا ، فأنت تعمل فى خدمة إحدى صحفنا ، ثم أنت

مصرى .. ومصر كما تعرف تحت الحماية البريطانية !

وأثارتنى كلمات المحاكم الانجليزية فقد شعرت عندما أشار إلى حماية بريطانيا لمصر ، وكأنه قد غرس خنجراً فى قلبى ..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أسكت على مضض وأنا أكاد أن أنفجر من الغيظ ..

وعاد الرجل الانجليزية يقول لى :

- وما الذى تريدنى أن أفعله لك الآن ؟ ..

قلت له بسرعة :

- أريد مساعدتي على أن أعبّر منطقة القتال الذي تجدد في الجبهة الأخرى لأصل إلى تركيا ..

وفغر الحاكم الانجليزي فه من الدهشة ثم قال لي :

- ولكن هذا يعنى انتحارك .. وأنا لايمكن أن أوافق على هذا الانتحار .. ولن أعطيك تصريحاً بذلك .. !!

قلت له : إننى أتحمل مسؤولية عملي ..

ولم يوافق الرجل ..

وأخيراً وبعد مناقشة طويلة وافق الحاكم الانجليزي على معاونتي في تحقيق رغبتى ، وهو يقول :

- سأساعدك ، ولكن بشرط أن تكتب إقراراً كتابياً بخط يدك على أن تشير فيه إلى إننى قد نصحتك بالعدول عن ذلك ، وأنتك لم تنتصح ! ..

ولم أنتظر وبادرت بمد يدي إلى المحبرة التي كان يضعها فوق مكتبه ، ثم أمسكت بالقلم لأكتب له الاقرار الذي اقترحه ..

وابتسم الرجل على عكس ما توجست منه بعد أن انتهيت من كتابة هذا الاقرار ..

ثم التفت ناحيتي ، وهو يقول :

- لا شك أنه طيش الشباب .. وأعتقد أن مغامرتك هذه سيكون لها أثر كبير على مستقبلك ..

وفي مدينة «شقودرا» عرف الأرنأووط من الوطنيين والأحرار بوصولى بواسطة بعض المراسلات السرية التي كانوا يتبادلونها مع زملائهم في المدن الأخرى ..

وكما فهمت كانت قد سبقتني إلى المدينة هالة ضخمة من الدعايات عن اتجاهاتي ونزعاتي .. وقد انتشرت هذه الدعايات في المناطق التي يعيش فيها هؤلاء المجاهدون بحيث أخذت في تصويري على أنني رسول العالم الاسلامي الذي جاء لنصرة قضيتهم وللحرب معهم ..

وكان أن استضافني هؤلاء المجاهدون عدة أيام .. كما دعوني للكتابة في جريدة كانوا يصدرونها واسمها « هدى الله » ..

ولم يفارقني هؤلاء المجاهدون حتى غادرت المدينة في طريقى إلى جبهة القتال !

\*\*\*

غادرت المدينة لأدرك لأول مرة أنني قد دفعت بنفسى إلى قلب المعارك ..

كانت أول مرة يراودنى فيها الخوف ..

ودارت في رأسى عشرات الأسئلة .. ماذا يا ترى سيكون حال أهلى في قرية الشوبك عندما يعرفون أنني قد تركت دراستى في كلية الطب ، وأنتى قد غادرت لندن لأعيش شريداً في الجبال ؟ ..

إننى نفسى لم أكن أعرف ماذا سيكون عليه مصيرى ..

وكان مسدسى الذى أحمله قد علاه الصدأ ، فلم أكن قد أطلقت منه رصاصة واحدة !

كما كانت الحقيبة التى أحمل فيها ملابسى تثقل كاهلى ..

واتتابنى شعور بأنها قد ازدادت ثقلاً بحيث أصبح حملها يرهقنى ..

لم أتمالك نفسى ، وبادرت بفتح الحقيبة ، ثم سحبت الملابس التى كانت بداخلها ، وأخذت أرتدى بعضها فوق البعض ، ثم القيت بالحقيبة على قارعة الطريق ..  
وبعدها تنفست الصعداء ، فقد تخلصت من الحمل الذى كان يثقل كاهلى أثناء رحلتى .

وأذكر أنني وضعت يدى فى جيب سترقى لأكتشف فجأة أنني لم أعد أمتلك بنساً واحداً .. وأن كل الجنيهات الذهبية التى كانت معى قد تلاشت ..

وابتسمت لحالى وأخذت أشبه نفسى .. باليهودى التائه ..

المهم .. أخذت أضرب فى الأرض على غير هدى .. وكاد اليأس يخنقنى إلى أن التقيت مصادفة بواحد من المجاهدين الذين كنت قد التقيت بهم فى مدينة « شقودرا » .

ولما عرف الرجل بما أصبحت عليه حالى ، اقترح على أن أرافقه ، وقد ظللت بصحبته فترة من الوقت ، وكان هو الذى ساعدنى على العثور على سفينة صغيرة أقلتنى إلى مدينة برنديزى فى إيطاليا .. ومن برنديزى .. سافرت إلى استانبول !

أثار وصولي إلى تركيا .. علامات استفهام كثيرة ..

وأخذ رجال الحكومة العثمانية يتساءلون فيما بينهم .. ما الذي دفع هذا الشاب المغامر للقدوم إلى استابول؟ ..

وكان من السهل على أن أدرك أن المسؤولين العثمانيين لا ينتظرون إلى وصولي إلى بلادهم بإطمئنان ...

ولعل السبب .. هو أن مدينة استابول كانت في تلك الأيام مسرحاً هاماً لنشاط رجال الحزب الوطني ..

وفي بداية الأمر لم أهتم كثيراً بموقف الحذر والفتور الذي استقبلني به المسؤولون في الحكومة التركية . فقد كنت أشعر باجتهاد شديد ..

وكان طبيعياً أن أسمى لمقابلة رجال الحزب الوطني ، وكانوا قد عرفوا بما فعلته للزعيم محمد فريد في لندن ..

وساءني كثيراً أنهم كانوا ينتظرون إلى على أنني مجرد شاب وطني متحمس وأنتى لا أعدو أن أكون ذلك الطالب النحيل الجسم الذى كان يدرس الطب في لندن ..

ولكنهم عندما عرفوا بما وقع لى .. والسبب الذى جئت من أجله الى استابول ، استقبلوني بمفاوة بالغة ..

ولا أعرف لماذا قررت بعد وصولي إلى تركيا الالتحاق بجامعة استابول ..

لعلنى كنت بعد أن تركت دراستى للطب في لندن أريد أن أطمئن أهلى في مصر على أن اشتغالى بالسياسة لن يجعلنى أهمل دراستى ومستقبلى ..

المهم .. لقد راودتنى فعلاً فكرة الالتحاق بجامعة استابول .. وإن لم تسنح لى فرصة استكمال دراستى بتلك الجامعة ..

وقابلت في تلك الأيام المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش ..

وأكرم الرجل وفادتى ، وقام بتقديمى إلى عدد من الشخصيات العربية والتركية ..

كان يقول لهم .. هذا الشاب شجاع وبطل ..

وكنت أشعر بالهجل عندما كان يتحدث عني ، فقد كان يببالغ كثيراً فيما كان يقوله  
عني ..

وكنت أخشى ألا يصدق أحد ما كان يرويه عن مغامرتي ، بالنسبة لصغر سني ، ولأنني  
كنت أبدو هزيباً وضعيف الجسم لدرجة مثيرة للانتباه !!

\*\*\*

سرعان ما شعرت بالملل من الحياة في مدينة استانبول ..

وكان أن قررت السفر إلى « أدرنة » للالتحاق بالجيش التركي ..

كان على أن أفعل شيئاً ..

وعندما أفضيت برغبتي إلى الشيخ عبد العزيز جاويش أخذ يشجعي على تنفيذ  
ما عزمته عليه ..

قال لي .. أنت قد تركت لندن مدفوعاً بالرغبة في الجهاد .. وهذا هو الجهاد الحق ..

وأدرت ما كان يعنيه ! ..

كان يريد أن يقول لي .. أن التحاقاً بالجيش التركي ، سيتيح لي فرصة الحرب ضد  
البلغار ..

وعمل الشيخ عبد العزيز جاويش على تسهيل مهمتي ..

وكان أن أعطاني خطاب توصية إلى المرحوم أنور باشا .. رئيس هيئة أركان حرب  
الجيش التركي في تلك الأيام ..

وفي أدرنة قابلت أنور باشا الذي رحب بي ، ثم دعاني لتناول الغداء على مائدته ..  
وبعد الغداء استدعى أنور باشا ، ضابطاً عربياً من طرابلس في ليبيا ، وكان اسمه  
طارق ، وكلفه بالاهتمام بي ..

وخرجت مع طارق لأعرف منه خبراً نزل على كالصاعقة ..

أن أنور باشا كان يسعى للصلح مع البلغار .. وأن الفريقين المتنازعين قد شرعا فعلاً  
في كتابة مذكرات الصلح ..

ومادت الأرض تحت قدمي ، فقد كان هذا يعني أن أعود بخي حنين .. وأنه لم يعد

هناك أى داع للتطوع فى الجيش التركى ..

وأخذت أفكر فى الأمر طويلاً .. ثم اتخذت قراراً وهو أن أعود للعمل مراسلاً صحفياً مرة أخرى !

وكان أن قررت تجميع كل البيانات المتعلقة بالحرب بين تركيا والبلغار ..

تصورت أننى أستطيع أن أصبح شاهد عيان على ما جرى فى تلك الحرب من جرائم ومذابح ..

ولم أنتظر ، وبادرت بالذهاب إلى أنور باشا وحصلت منه على إذن بزيارة خطوط القتال ..

وهناك قابلت الضباط والجنود وعرفت منهم تفاصيل كثيرة عن الجرائم البشعة التى ارتكبتها البغار أثناء حصارهم لمدينة أدرنة ..

لقد أحرقوا دور اليونانيين انتقاماً منهم لأن بلادهم تخلت عنهم فى الحرب ..

وشاهدت بعينى .. كيف أن أحياء بأكملها كان يسكن فيها اليونانيون قد تحولت إلى حطام ولم يكن باقياً منها إلا آثار الحريق ..

وروى لى بعضهم .. كيف أن البلغار كانوا يجمعون اليونانيين بالمئات داخل بيوتهم ، ثم يشعلون النيران فيها ! .. وكيف أنهم كانوا يصوبون بنادقهم إلى النوافذ والأبواب ، ليقتلوا كل من كان يحاول الهرب من جهنم التى أشعلوها فى بيوت هؤلاء اليونانيين ..

وقالوا لى إن بعض اليونانيين كانوا يلقون بأنفسهم فى النهر من النوافذ هرباً من النيران .. وأن عمليات الإبادة كانت تجرى فيهم بالجملة ، وقد ذهب ضحية هذه العمليات الآلاف من اليونانيين الذين كانوا يعيشون فى مدينة أدرنة ..

وقد قام الأتراك ، بإخراج جثث الغرقى والقتلى ثم عملوا على نشر صورها فى لندن وباريس مما أثار شعوب أوروبا كلها ضد البلغار ..

\* \* \*

وفى مدينة أدرنة قابلت عدداً من الضباط العرب الذين كانوا يعملون فى الجيش التركى ..

ولفت انتباهي أن غالبية المناصب الرئيسية في هذا الجيش كان يشغلها عدد من الضباط العراقيين .. وأن معظم وظائف أركان الحرب كانت في أيدي الضباط العرب .؟  
ولعني أحسست بالاعتزاز بوطني مصر حينما زرت مؤسسة الهلال الأحمر التركي ، وعرفت أن رئيسها مصري إسمه الدكتور مورو .. انه واحد آخر غير المرحوم الدكتور عبد الوهاب مورو باشا .. وقد تعرفت به عندما ذهبت إليه مريضاً ، ورأيت كيف كانت مؤسسة الهلال الأحمر التركي تحت رئاسة هذا الطبيب المصري تقوم بواجبها الانساني على أكمل وجه ...

### \*\*\*

كانت جولة استطلاعية ناجحة ، عدت بعدها بالقطار إلى مدينة استانبول ..  
وفي الطريق شاهدت من نافذة القطار كيف خربت الحرب بلاداً بأكملها ..  
ورأيت سهولاً واسعة ، وقد هجرها أهلها ..  
وكما سمعت .. كان الأتراك لا يطبقون البقاء في أي بلد يستقط في أيدي أعدائهم ،  
ولذلك كانوا يبادرون بالهجرة منها قبل أن تنسحب منها قواتهم ...  
المهم .. وصلت إلى مدينة استانبول لأقرر السفر إلى لندن ..  
كانت معي تفاصيل وصور كثيرة للفظائع التي ارتكبتها البلغار ضد اليونانيين  
وضد الأرناؤوط الألبان ، وقد رأيت أن من واجبي أن أبادر بالعودة إلى لندن حتى  
أعمل على نشرها في الصحف البريطانية ..  
وكان اتهامى بالدرجة الأولى بنشر الفظائع التي ارتكبت ضد المسلمين الألبان ..  
أما تفاصيل ما حاق باليونانيين من جرائم وحشية ، فقد كان هدي من وراء نشرها هو  
إثارة الرأي العام البريطاني ضد البلغار ..

### \*\*\*

قطعت تذكرة في الدرجة الثانية على أول باخرة غادرت ميناء استانبول ..  
وجاء بعض رجال الحزب الوطني إلى الميناء ليودعوني .. وقد ظلوا معي حتى حسان  
موعد صعودي إلى الباخرة ..

ولكنى ما كدت أستقر فوق سلم الباخرة حتى وقعت مفاجأة ..

كان بعض رجال البوليس التركى فى انتظارى . وقد جاءوا ليطلبوا منى مغادرة الباخرة معهم ..

ولما سألتهم عن السبب .. قالوا لى إننى مقبوض على ثم اصطحبوني إلى أحد مراكز البوليس فى قلب المدينة ..

وهناك وجدت فى انتظارى تهمة لم تخطر على بالى أبداً ..

قالوا لى أن الخديو عباس يزعم السفر على نفس الباخرة ، ولما كانت ميولى غير معروفة تماماً ، فى الوقت الذى تبدو فيه علاقتى برجال الحزب الوطنى واضحة ومعروفة . فقد تقرر القبض على خوفاً من قيامى بمحاولة اغتيال الخديو أثناء سفرى معه على نفس الباخرة .. وصعقت لهذه التهمة ، الباطلة ، وأخذت أصيح فى وجه رجال البوليس التركى :

- أنا أغتال الخديو !! .. ولماذا .. ؟

قالوا لى .. إذن فعليك أن تنتظر باخرة أخرى !! ..

ووافقت على عدم السفر مع الخديو على نفس الباخرة ..

ومع اطلاق سراحي أرسلت إلى حاكم مدينة استانبول ، وكان اسمه جمال « باشا » مذكرة احتجاج على ما لقيته من معاملة رجال البوليس التركى ..

قلت له .. إننى رجل محدود الموارد وقد دفعت فى ثمن تذكرة السفر بالباخرة آخر قرش فى جيبى وأنه لم يبق معى ما يمكن أن أتعيش منه فى مدينة استانبول حتى يحين موعد قيام الباخرة التالية . . وإننى إزاء ذلك أحمله مسئولية ما أصابنى من أضرار نتيجة لتعسف رجال بوليسه التركى ؟

وكان جمال باشا كريماً فأرسل فى طلبى .. ولما ذهبت إليه قال لى :

- لا تحتج ولا تحزن ، فأنت الآن فى ضيافتى .. وهاك تذكرة على الباخرة القادمة بالدرجة الأولى ..

ولما حاولت أن أقول له شيئاً ، قاطعنى ، وهو يقول :

- إننا فقط كنا نعمل على ضمان سلامة حياة الخديو عباس !



ولم يكن في وسعي إلا أن أشكر الرجل .. ثم أنصرف ..

\*\*\*

نسيت أن أقول شيئاً هاماً ..

كان الألبان المسلمون يعيشون بعد الجرائم البشعة التي تعرضوا لها في حالة ضياع ..

وكنت قد التقيت أثناء مغامرتي في بلاد البلقان بالكثيرين من زعمائهم ..

وكانت رغبة هؤلاء الزعماء كما سمعتها منهم ، وكما طلبوا مني إبلاغها إلى العالم

الاسلامى ، هي أن يكون لهم أمير مسلم يجلس على عرش البلاد ..

قالوا لى .. إنهم يريدون أميراً يجمع شملهم ، ويوحد صفوفهم ..

وقد حاولت أكثر من مرة إقناع هؤلاء الزعماء الألبانيين بأننى أصغر كثيراً من حمل

مسئولية هذه الرسالة إلى العالم الاسلامى ، إلا أنهم أصرروا على أن أنوب عنهم في حمل

هذه الرسالة ..

قالوا لى .. إنها أمانة في عنقى !

وعندما ركبت الباخرة التي أقلتني في طريق عودتى إلى لندن أخذت أفكر في رسالة

زعماء الألبان ..

ولم انقطع عن التفكير فيها حتى وصلت إلى لندن !

## رشحت الملك فؤاد لعرش ألبانيا..

رجعت الى لندن في أوائل سنة ١٩١٣ لأبادر بالعودة الى كلية سان توماس  
لدراسة الطب..

كان قرارى أن اتعلم بالنهار، وأن اشتغل بالسياسة بالليل!

وكان تفكيرى ينحصر في تحقيق هدفين: العمل على نشر تفاصيل الفطائع التى ارتكبتها  
البلغار ضد الالبانيين المسلمين.. وثانيا تحقيق رغبة الوطنيين الألبانيين فى ان تكون لهم  
دولة مستقلة يحكمها أمير مسلم..

كانت هذه هى رغبتهم، وقد حملوها لى أمانة فى عنق حقى ابلغها الى العالم الخارجى..  
وخاصة الى زعماء الشعوب الاسلامية!!

وعلى أثر وصولى لندن قمت بالاتصال بجمعية تكونت فى لندن للعمل على تحقيق  
استقلال ألبانيا، وكان اسمها.. ( الجمعية الانجليزية الالبانية ).. وقد دعانى أعضاء هذه  
الجمعية، وكان يرأسها أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى لالقاء محاضرة فى أحد  
اجتماعات الجمعية..

وفى هذه المحاضرة شرحت للحاضرين تفاصيل المذابح التى ارتكبتها البلغار ضد الشعب  
الالبانى المسلم، وعرضت عليهم ماكنت أحمله من وثائق وصور تكشف عن وحشية  
البلغار فى حرهم البربرية ضد الالبان..

وأذكر أننى تلقيت فى اليوم التالى بعد القاء محاضرتى خطابا من سيدة لأعرفها.

كانت تقول لى فيها أنها قد أعجبت كثيرا بمجاستى وبلاغتى واخلصى فى الدفاع عن  
قضية الالبان، ثم اقترحت على أن أقابلها حتى تقوم بتقديمى الى واحد من اللوردات  
الانجليز، واسمه اللورد هادلى..؟

وقالت لى.. ان هذا اللورد الانجليزى قد اعتنق الاسلام، وقد أبدى رغبته فى أن  
يستمع الى وجهة نظرى حول القضية الالبانية..

وذهبت لمقابلة هذه السيدة لأدرك منذ أول وهلة ماكانت تجرى وراءه .

كانت تريد استفلالى فى تنفيذ خطة لمساعدة اللورد هادلى على أن يصبح ملكا على ألبانيا ..

وابتسمت وأنا أسمع هذه السيدة الانجليزية وهى تقول لى .. إن تبرع اللورد الانجليزى على عرش ألبانيا هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق أمنية شعب ألبانيا فى تحقيق استقلاله ، وأن يصبح له ملك مسلم ..

كانت أول مرة يتبادر الى خاطرى اسم هذا اللورد الانجليزى لترشيحه ملكا على ألبانيا ، فقد كان رأى قد استقر على ترشيح أحد الأمراء المصريين للتبرع على عرش المسلمين فى هذه البلاد .. الا أن فكرة ترشيح اللورد هادلى قد أثارتنى قليلا ، لاعتقادى بأن بريطانيا ، وكانت دولة كبرى يمكن أن تساند هذا اللورد الذى اعتنق الاسلام فى أن يصبح ملكا على ألبانيا .. وبالتالي يمكن أن تتحقق أمنية شعب ألبانيا فى أن يحصل على استقلاله ، وأن يكون له ملك مسلم .. !

وكان أن وافقت على الاجتماع مع اللورد هادلى ..

وكانت السيدة الانجليزية قد أوصتنى عندما مهدت أول لقاء بينى وبينه ، بالأأسير فى حديقى معه الى عرش ألبانيا ..

وعملت بنصيحتها ، فأخذت أتحدث معه عن أحوال الشعب الالبانى وعن رغبته فى الاستقلال ..

وأثار اهتمام الرجل بالتفاصيل التى كنت أتحدث معه عنها ، انتباهى ، وخاصة عندما دعانى لتناول العشاء على مائدته ، وهو يهشئ على حماسى لقضية الشعب الالبانى ..

كانت عيناه تلمعان بهريق عجيب ، وكان يبدو أنها ومتعجلا فى أن يصبح ملكا على ألبانيا ، حتى أن خاطرا تبادر الى ذهنى .. وهو أن الرجل لم يعتنق الاسلام الا جريا وراء عرش المسلمين فى ألبانيا ..

واعترف أننى قابلت السيدة عدة مرات ، واننى عملت فعلا من أجل تنصيب ( لورد هادلى ) ملكا على ألبانيا ..

\*\*\*

لم يكن هناك مرشح آخر.. وكل ما كنت أجري وراءه هو أن أجد دولة كبرى كبريطانيا لتؤيد رغبة الالبان في أن يكون لهم ملك مسلم ، ولم يكن يهمني أن يكون ذلك الملك هو اللورد هادلي أو غيره ..

ولكني فجأة .. وبعد أن تبادلت عدة رسائل مع زعماء الالبان في الجبال أعرض عليهم اسم اللورد الانجليزي .. وصل الى لندن الأمير أحمد فؤاد .. الذي أصبح فيما بعد الملك فؤاد الأول ..

ولأعرف بالضبط كيف اتجهت بفكري الى هذا الامير الذي لم أكن أعرفه .. ولم يكن قد سبق أن التقيت به ..

كان أميراً من مصر .. وقد قادني تفكيري الى أنه أحق بعرش ألبانيا من ذلك اللورد الانجليزي هادلي ليتربع على عرش هذه البلاد !!

وزادني تحمسا لهذا الرأي .. انني كنت قد سمعت من صديق انجليزي من أعضاء الجمعية الانجليزية الالبانية أن هناك من يرشح الأمير أحمد فؤاد فعلا لعرش ألبانيا وأن ايطاليا تؤيد هذا الترشيح .. كما أن فرنسا لم تكن تمنع ، وان كانت تفضل أن يكون صاحب عرش ألبانيا فرنسيا .. أما إنجلترا ، فلم تكن حتى تلك اللحظة قد اتخذت أى قرار في أمر هذا الترشيح .. !

ولم أنتظر ، وقررت أن أنصرف تماما عن اللورد هادلي الى الأمير أحمد فؤاد ..

وكان أن سعيت لمقابلته ..

وأذكر أنني ذهبت الى الفندق الذي كان يقيم فيه ، وطلبت تحديد موعد لمقابلة الأمير ..

وتحدد الموعد على الفور ..

ولكن عندما ذهبت في الموعد المحدد ، وكنت قد رتبت في ذهني كل ما كنت أنوى أن أقوله له ، ان قابلي أحد رجال حاشيته ليخبرني بأن الأمير لن يستطيع مقابلي ، وأنه قد كلفه بأن يستمع نيابة عنه الى ماأريد ان أقوله لسموه ..

وأثار ذلك الضيق في نفسي ، ومع ذلك لم أياس ، وبادرت اقول لرسول الأمير :

- ألا يمكن أن أقابل سموه في فرصة أخرى ..

وأخذ الرجل يتأملني طويلا ، ثم أجابني بقوله :

- كلفني سمو الأمير بأن أنوب عنه في الاستماع الى كل ماتريد أن تقوله لسموه .. هذا كل ما عندى !!

ولم يكن أمامى الا أن أقول للرجل كل ماكنت أريد أن أقوله للأمير ..  
قلت له .. ان الشعب الالبانى يرحب بأن يتولى عرش ألبانيا ملك من أسرة محمد على ..

وقلت له .. انه لافائدة من انتظار تأييد الدول الأوربية .. ولاسيا بريطانيا ، لأن لكل واحدة من هذه الدول الأوربية مطامع فى ألبانيا ، كما أن لكل واحدة منها مرشحا للعرش الألبانى ..

واقترحت أن يذهب الأمير الى ألبانيا مباشرة وهناك يمكن تجميع الشعب الالبانى حوله والمناداة به ملكا على ألبانيا ..

وقلت له .. إن هناك أكثر من مائة ألف مسلم على الأقل لا يترددون فى الالتفاف حول أى أمير مسلم من أسرة محمد على .. أو البيت العثمانى . وأن هذه الآلاف من المسلمين تنتظر فقط اشارة تحمل اسم الأمير الذى يوافق على أن يتربع على عرش بلادهم حتى تلتف حوله ، وتنادى به ملكا على بلادها ..

وقلت له .. ان ذهاب الأمير الى ألبانيا ، والمناداة به ملكا يمكن أن يضع الدول الكبرى أمام الامر الواقع .. !

وأثار انتباهى أن الرجل كان يتابع حديثى باهتمام بالغ ، وانه ظل يستمع الى حتى انتهيت من كلامى ، وبعدها التفت ناحيتى وهو يقول :

- هذه أفكار شاب صغير لا يقدر المصاعب والاضطار !

قلت : المهم عندى أن أقابل الأمير ..

وتركنى الرجل ، ثم عاد بعد فترة ليحدد لى موعدا آخر وهو يقول لى :

- ان أفندينا - أى الأمير - يشكرك على اخلاصك .. وقد وافق على مقابلتك : !

\*\*\*

تصورت أننى قد نجحت فى اثارة اهتمام الأمير بعرض ألبانيا ..

وبادرت بكتابة رسالة الى زعماء المسلمين في ألبانيا أشرح لهم اسم الأمير المصرى ..  
كان في تصورى أنه لن يعارض بعد أن يستمع الى وجهة نظرى في أن يصبح ملكا  
على ألبانيا ..

ولكن حدث عندما عدت الى الفندق في الموعد الجديد الذى حدد لى .. ان وجدت  
مفاجأة في انتظارى ..

قالوا لى .. ان الأمير غير موجود .. وانه قد غادر الفندق ، وأنه لايعرف متى  
سيعود .

وتأثرت بشدة حتى أننى فكرت ، وأنا أغادر باب الفندق الذى ينزل فيه الأمير ، ألا  
أعود للتفكير في عرش ألبانيا ..

وقررت أن أتفرغ لدراستى ، وأن أعود من جديد طالبا في كلية الطب .. !  
ولكن العمل السياسى كان يلاحقنى .. فقد اقترح على بعض زملائى من الطلبة  
المصريين في لندن في تلك الايام انشاء جمعية أطلقنا عليها اسم .. جمعية ( أبو الهول )  
للمطالبة باستقلال مصر ..

وتحمست للفكرة ، وكانت مناقشاته طويلة لتحديد أهداف هذه الجمعية ..  
كان من رأى أن يكون احد أغراض إنشاء هذه الجمعية هو المطالبة بالاستقلال  
التام ..

وكان في رأى بعض الاعضاء من زملائنا الطلبة الاستغناء عن كلمة التام ..  
وقررنا الاحتكام الى المرحوم محمد فريد بك .. وكان أن كتبنا اليه في جنيف ..  
وجاء الرد الينا منه .. وكانت مفاجأة عندما وجدناه يقترح علينا هو الآخر .. الغاء  
كلمة التام ..

قال .. انه من الحكمة ألا توضع كلمة التام لانها قد تفضب الأتراك ، وهى في نفس  
الوقت لن تفيد مصر كثيرا في معركتها من أجل تحقيق حريتها واستقلالها .. !  
لكننى وزملائى الذين أيدونى صمنا على النص على كلمة التام .. ولا يمكن أن نكون  
أعضاء في جمعية تطالب بغير هذا الاستقلال التام !

ونجحنا في اقتناع زملائنا الطلبة في اثبات كلمة التام بين أهداف الجمعية ..

\*\*\*

المهم .. مر عام ١٩١٣ .. وكذلك النصف الاول من عام ١٩١٤ .. وكنت في تلك الأيام مشغولا بدراستي ..

وفي شهر يوليو سنة ١٩١٤ ، وجهت الدعوة للطلبة المصريين ممن كانوا يدرسون في مختلف دول أوروبا لعقد مؤتمر عام في جنيف أطلق عليه اسم « مؤتمر الشبيبة المصرية » .. واختارني زملائي الطلبة المصريون في إنجلترا ، مع أربعة آخرين من الزملاء لتمثيلهم في هذا المؤتمر ..

وكان هؤلاء الزملاء هم الدكتور عبد الحليم حلمي وعبد الرؤوف رشدي ومصطفى عمر بك .. والاستاذ زيدان القصبي ..

وفي جنيف عقد مؤتمر الشبيبة المصرية أول اجتماعاته في مقهى صغير

واشترك في هذا الاجتماع حوالي ٢٠٠ طالب جاءوا الى سويسرا من مختلف دول أوروبا .. كما اشترك فيه أيضا المرحوم محمد فريد بك وأمين الرافعي بك وبعض زملائها من أعضاء الحزب الوطني ..

وأذكر عندما بدأنا في اعمال المؤتمر .. أن دخل علينا الدكتور منصور رفعت متأثرا ، وهو يوجه الاتهامات الى أعضاء الحزب الوطني ، ثم قام بمهاجمة المرحوم محمد فريد بك بعنف وهو يتهمه بعدم المحافظة على كرامة مصر والمصريين ..

قال له .. كيف تقبل وأنت الذي تعيش هنا في جنيف أن يعقد المؤتمر المصرى في مثل هذا المكان الحقير ..

وحاول المرحوم محمد فريد بك أن يقول شيئا .. ولكن الدكتور منصور رفعت أخذ يصيح وهو يقسم بشرفه أن يعمل على فض اجتماعات المؤتمر فوراً لأنه لن يسمع بعقدها الا في واحد من أكبر مساح المدينة محافظة على كرامة مصر وشبيبة مصر ..

ولا أريد أن اقول .. ان هذه الثورة أثارته حماسنا كثيرا .. وقد أيدناها وان كنا نعلم أن الحالة كانت كما يقول المثل المصرى .. العين بصيرة واليد قصيرة ..

فقد كان رئيس الحزب الوطنى نفسه يعيش على الاعانات الضئيلة المحدودة التى كان يتلقاها من الطلبة .. وبالتالي لم يكن عندنا المال الذى يكفى لاقامة المؤتمر فى واحد من مسارج المدينة الكبيرة ..

ولم يكن فى وسعى الا أن أقف خطيبا حتى أعمل على تهدئة الموقف ..

واستطعت بلباقة ان اخفف من ثورة الدكتور منصور رفعت ، وكانت تربطنى به صلة قرابة .. كما خففت من الاثر السيئ الذى تركته هذه الثورة فى نفوس رجال الحزب الوطنى بعد الحملة الظالمة التى وجهها الرجل الى المرحوم محمد فريد بك ..

واقترحت فى النهاية تأجيل الاجتماع حتى نجد مكانا مناسباً لعقده فيه ..

ووافق أعضاء المؤتمر على اقتراحى !..

\* \* \*

اجتمع المؤتمر مرة أخرى .. ولكن فى أحد مسارج المدينة الكبيرة ..

وأثناء احدى جلسات المؤتمر ألقى خطاباً باللغة الانجليزية عن فظائع الاحتلال الانجليزى واستبداد اللورد كيتشنر فى مصر ..

وأدهشنى أن أجد ترجمة خطابى وقد نشرتها الصحف السويسرية فى صباح اليوم التالى ..

كما نشرت الصحف الانجليزية النص الكامل لهذا الخطاب ..

وحاولت أن أعرف .. كيف تسرب هذا الخطاب الى الصحف السويسرية والانجليزية ، وكما فهمت كان بعض الصحفيين السويسريين والانجليزى فى جنيف ، قد عرفوا باجتماع الطلبة المصريين فى هذا المؤتمر فأخذوا يتابعون اخباره ..

وقد أثار الخطاب الذى ألقىته اهتمامهم لما ضمنته من وقائع ثابتة تفضح الاستعمار الانجليزى فى مصر !

وحدث بعد انتهاء أعمال هذا المؤتمر أن تلبد الجو السياسى الدولى بالغيوم إثر مصرع الأرشيدوق فرديناند ولى عهد الصرب ..

وفجأة أيضاً اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى مع عمليات حشد الجيوش فى كل الدول التى كانت تحيط بسويسرا ..



وانقطعت المواصلات ، ولم يعد في وسعنا أن نغادر الاراضى السويسرية .. واضطر  
غالبية أعضاء المؤتمر من الطلبة البقاء في جنيف على أمل أن تحصل الهمم أى نقود من  
عائلاتهم في مصر ..

ولكن المراسلات توقفت أيضا ..

كما توقفت البنوك عن العمل ..

ولم يعد في وسع أى واحد من الطلبة المصريين الذين جاءوا الى سويسرا للاشتراك في  
أعمال مؤتمر الشبيبة المصرية أن يتحرك من مكانه ..

كانوا جميعا في حالة افلاس تام ..

وفي تلك الأيام .. جاءتنى صاحبة البنسيون الذى كنت انزل فيه مع بعض زملائي  
لتطلبنا بدفع ماكان علينا من مبالغ متأخرة ..

وأخذت صاحبة البنسيون تسب وتشتتم ، ونحن في أشد حالات الخجل ..

وعرف المرحوم محمد فريد بما حدث لنا مع صاحبة البنسيون فبادر باغاثتنا - وهو الذى  
كان محتاجا الى كل فرنك في جيبه - ببلغ مائة فرنك فدفعتها الى صاحبة البنسيون حتى  
تهدأ ثورتها !

وكنت قد تعلمت كثيرا من مغامرتى الاولى التى وصلت فيها الى تركيا .. ولعل أهم  
ماتعلمته هو أن أحسب حساب الغد ..

وكان أن عملت على اخفاء خمسة جنيهات من النقود التى كانت معى دون أن أخبر بها  
أحدا من زملائي ..

وبهذا المبلغ قررت أن أعود الى مصر لأتصل بعائلات زملائي وللبحث عن وسائل  
لاسمافهم بما كانوا يحتاجون اليه من مساعدات ونقود ..

وكان أن سافرت من جنيف الى برنديزى وهى ميناء ايطالى على بحسر الادرياتيک  
بأرخص درجات السكك الحديدية ..

وفي برنديزى اشتريت تذكرة للركوب على سطح احدى البواخر المسافرة الى بيريه في  
اليونان ..

وكان ثمن التذكرة في تلك الأيام أقل من جنيهين ..

وعندما ذهبت الى الميناء لركوب الباخرة وجدت نفسى وقد أحاط بي حشد كبير من الجماهير التى تدفقت على الميناء لركوب البواخر التى كانت تستعد للانطلاق منها هربا من المدينة إثر انطلاق بعض الاشاعات التى تقول بقرب اجتياح الالمان للمدينة .. !

وكنت قد سلمت حقيبتى الى أحد عمال الزوارق ليحملها الى سطح الباخرة ، وعندما صعدت على السلم أخذت اتلفت حولى بحثا عن الرجل فلم أجده ..

ولم يكن أمامى الا أن أوصل صعودى درجات سلم الباخرة مرغا ، وأنا مدفوع بالكتل البشرية التى كانت تندفق حولى ..

ولما صعدت على ظهر الباخرة رأيت الرجل يقف فى الميناء وهو يحمل حقيبتى ..  
كان يفتش عنى ..

وناديته بأعلى صوتى من فوق سطح الباخرة حتى رأيته .

وأخذ الرجل يصيح ، وهو يلوح بإحدى يديه ، بينما كان يحمل حقيبتى بيده الأخرى كان من المستحيل عليه أن يشق طريقه بين جماهير الناس التى كانت تتحرك بعصبية وذعر شديد ..

وتلفت حولى بحثا عن حبل حتى وجدته .. ومن فوق سطح الباخرة أدليت بالحبل ليربط الرجل الحقيبة به ..

وبسرعة جذبت الحبل لأتلقى الحقيبة بين ذراعى !

الشيء الوحيد الذى أسفت عليه .. أنى لم أتمكن من أن أعطى الرجل البقشيش الذى كان يستحقه ، فقد كان الزحام حول سلم الباخرة شديدا ، وكان من المستحيل على فعلا أن أصل اليه حتى أعطيه هذا البقشيش !

\*\*\*



## الفصل الرابع

# أعلنت بريطانيا الحماية على مصر فأعلنت أنا الحماية عليها !

كان سطح الباخرة يضم خليطا عجيبا من مختلف الجنسيات واللهجات .. وكان هناك شيء واحد يسيطر على تفكير جميع هؤلاء الركاب ، وهو الخوف من الحرب ، ومحاولة اغتنام فرصة حياذ ايطاليا ، وعدم اشتراكها في الحرب للذهاب بعيدا عن أوروبا عن طريق أحد موانئها ..

ولم تكن الرحلة مأمونة ، فقد كان يكفي أن تظهر إحدى البوارج الألمانية في عرض البحر حتى تدوى صفارات الانذار على سطح الباخرة .. وكان هذا يعني أن يشتد الملع بين الركاب ..

ولن أنسى في حياتي ماحدث على ظهر الباخرة بعد أن تحركت بمحوالى أربع ساعات ، عندما ظهر فجأة الى جوارها قطعتان من الاسطول البحرى الالماني .. وكانت احدها هى البارجة الحربية الألمانية ( جوين ) .. والثانية هى الطراد الالماني ( برسلاو ) ..

ارتفع الصراخ ، وأخذ الركاب يهرولون فى جميع الاتجاهات .. وأمرنا قبطان الباخرة أن نرتدى أطواق النجاة ، وقد ظللنا فى أشد حالات الفزع حتى مرت قطعتا الاسطول الالماني بجوارنا ، وانتهت الازمة بسلام ..

وأثناء رحلة الباخرة لم أجد مكانا فوق سطح الباخرة لاستريح فيه ، ولذلك أخذت أنتقل من جهة الى أخرى ..

ولأظن أنني وجدت مكانا أحسن من عنبر الفحم لكى أقضى بداخله بعض أوقات الراحة والنوم !

وأثناء رحلة الباخرة تساوى الركاب جميعا .. الفقراء أمثالى ممن لم يكن فى وسعهم أن يهبطوا بالمال ما يحتاجون اليه من راحة .. والذين يملكون المال ، فلم تكن أموالهم فى مثل تلك الرحلة لتساعدهم على الراحة التى تعودوا عليها ..

وبصورة عامة .. كان كل شيء على ظهر الباخرة يعيش في حالة فوضى ..  
ولم يكن في وسع أى راكب مهبا كان قدره أو مقامه الا أن يتصرف كما يقسول المثل  
البلدى .. بذراعه .. وبمعنى آخر .. كان على كل راكب أن يدبر أمره بنفسه ..!  
وكنت قد أعددت نفسى لكى أعيش أيام رحلتى فوق ظهر الباخرة على ماكنت قد  
حملته معى فى سلة صغيرة من كسرات الخبز والجبن ..  
وكان من نعم الله على .. أن هذه الفوضى مع اختلاط ركاب درجات الباخرة قد  
ساعدتنى كثيرا فى أن أحصل من آن لآخر على كمية من الحساء الساخن التى كانت  
توزع فى أكواب على المسافرين ..  
وفى غمرة الخوف .. من البارجة الالمانية ( جوين ) والطراد ( برسلاو ) ، نسى الركاب  
كل ما فقدوه من أسباب الراحة ..  
وأصبحوا .. لاهمّ لكل راكب على ظهر السفينة الا مراقبة البحر ..  
وظل الرعب يلازمنا جميعا حتى وصلت الباخرة بنا الى ميناء بيريه اليونانى !!  
ونزلت من الباخرة لأستفسر عن موعد اقلاع باخرة رومانية كنت قد حجزت عليها  
تذكرنى الى الاسكندرية فى الدرجة الرابعة .. أى على السطح ..  
وكدت أصاب بالدوار عندما قالوا لى .. ان موعدنا سيتأخر عدة أيام ..  
وأخذت أفكر بسرعة فيما يمكننى أن أفعله ، فقد كنت أعرف أننى فى أشد حالات  
الافلاس فلم يكن معى أكثر من جنيه واحد !!  
وانتابنى خاطر بأن أبعث برقية الى أهل فى مصر لارسال مبلغ من المال الى لمساعدتى  
على العيش حتى موعد وصول الباخرة الرومانية ..  
ولكن ارسال هذه البرقية كان يعنى أن أنفق كل ماتبقى معى من مال .. ولم يكن فى  
وسعى أن أبقي وحيدا فى شوارع بيريه بلا ملهم واحد فى جيبى ..  
وقررت أن أفوض أمرى الى الله ..

\*\*\*

وفى اليوم التالى وقع نظرى فى أحد الشوارع على شيخين معمرين وقد عرفت أحدهما  
لأول وهلة .. وكان المرحوم فضل بك الزمر ..

ولم أنتظر، وبادرت بالتقدم اليه وأنا أحياه ..

وفي بادئ الامر لم يعرفني الرجل ، فقد كنت أضع قبعة على رأسي .. ولما عرفته بنفسى احتضنتى وقبلنى .. ثم عرفنى بزميله .. وكان المرحوم ابراهيم بك أبو رحاب عضو الجمعية التشريعية في تلك الأيام ..

والاثنتان كانا زميلين لأخى المرحوم محمد بك عزام ..

وقال لى المرحوم ابراهيم بك أبو رحاب إن أخى قلق على وفى حيرة شديدة لأنه يعلم أننى فى أشد الحاجة الى المال : . وهو فى نفس الوقت لايعرف مكانى حتى يبادر الى مساعدتى ..

وقال لى الزمر بك : لا بد أنك يابنى فى ضيق لأن أخاك محمد بك فى قلق شديد عليك . وأراد الرجل أن يقدم لى مبلغا من المال .. ولأعرف لماذا ترددت فى قبوله ؟

لقد تملكنى شعور غريب لأعرف كيف أفسره ، ووجدت نفسى أعتذر عن قبول هذا المبلغ ، مدعيا أن معى مايكفينى من مال !

وأثناء الحديث عرفت منها السبب فى مجيئها ميناء بيريه اليونانى ..

قالا لى .. انها جاءا مع وفد من كبار الاعيان المصريين لتهنئة الخديو عباس حلمى بنجانه من محاولة أئيمة للاعتداء على حياته ..

وعرفت منها تفاصيل هذا الحادث .. قالا لى .. ان الجانى كان اسمه مظهر وانه تلميذ ، بالمدرسة البحرية ، وقد قتل أثناء محاولته اغتيال الخديو ..

\*\*\*

مرة أخرى حاول الزمر بك اعطائى مبلغا من المال وهو يقول لى :

أنا أعرف انك لا بد أن تكون فى حاجة الى أى مبلغ من المال .. ونحس أقارب ومن عائلة واحدة .. كما أننا (بلديات) .. وأنا بمثابة والدك :

وتملكنى الخجل مرة أخرى وأنا أؤكد له أن معى كفايتى من النقود ، وأنه لاجاجة لى لأى مال ..

وحتى أؤكد له ذلك .. أطلعته على تذكرة سفرى على الباخرة الرومانية ..

وسكت الرجل على مضض ، وقد ظللت ألامه مع زميله حتى علمت أن باخرة يونانية ستغادر ميناء بيريه في نفس اليوم ..

وقالكت نفسى وأنا أقول لفضل بك .. انى أفضل السفر على هذه الباخرة حتى أبكر بالوصول الى الاسكندرية لطمأنة أهل بعد الذى عرفته عن قلق أخى وحيرته بشأنى ..

وقال لى الرجل : وماذا عن تذكرة سفرك على الباخرة الرومانية ؟ ..

قلت له : استسمحك أن تشتري لى تذكرة سفر على الباخرة اليونانية .. وسأترك لك تذكرتى على الباخرة الرومانية عسى أن يستفيد بها أحد !!

ووافق الرجل على شراء تذكرة سفر لى على الباخرة اليونانية التى غادرت ميناء بيريه فى نفس اليوم ..

\* \* \*

وصلت الى ميناء الاسكندرية لأنزل ضيفا على منزل صديق والدى المرحوم محمود فهمى باشا رئيس مجلس شورى القوانين ..

لقد كان ترحيبه بى كبيرا .. وبعد أن أمضيت معه يوما رحلت الى القاهرة ، وفيها بادرت بالاتصال برجال الحزب الوطنى ، وعلى الاخص المرحوم اسماعيل صدق والدكتور سالم هندواى وزكى على باشا وعبد المقصود متولى بك .. وغيرهم ..

وكانت اجتماعات طويلة تدارسنا فيها احتمالات اشتراك تركيا فى الحرب التى كانت ناشبة فى أوروبا .. فلما أعلنت تركيا الحرب ضد الفرنسيين والانجليز قررنا العمل للاستعانة بالاتراك على تخليص مصر من نير الاحتلال البريطانى !

ولكن الانجليز كانوا أسرع منا ، فقد بادروا باعلان الحماية على مصر ..

وبكىنا من الام عندما سمعنا باعلان الحماية على بلدنا بالدرجة التى كنا نعزى فيها بعضنا البعض ..

وكان شعورى بعد اعلان الحماية على مصر بأننى مقيد ، وأن بقائى فى مصر تحت ظل هذه الحماية عديم الفائدة ، ولا طائل وراه ، ولذلك صممت على مغادرة مصر للاتحاق بالجيش التركى ، وللاشتراك فى الحرب ضد الانجليز !!

وفى قريتى بمحنت بين أهلى وعشيرتى عن رجل يشترك معى فى الجهاد ..

ووقع اختياري على رجل قوى شجاع كان قد عمل فترة من الوقت جنديا في الجيش  
المصرى ..

ولما فاتحته بما عزمت عليه رحب بسرعة على الخروج معى للحرب ضد الانجليز ..  
وكان عهدا بيننا على الموت دفاعا عن حرية وطننا العزيز مصر ..

\* \* \*

ذهبت الى محافظة مصر ومعى أوراق للحصول على إذن بالسفر ..  
قلت اننى عائد الى انجلترا لاستئناف دراستى فى كلية الطب ..  
وكما فهمت .. أرسلت أوراقى الى القسم السرى ، وكان يرأسه انجليزى اسمه  
( فليبيدس ) ..

وحجز الرجل أوراقى عنده عدة أيام ، وبعدها فوجئت بأحدهم يستدعيني لمقابلة زسل  
باشا .. وكان يعمل فى تلك الأيام وكيلا لحكمدار القاهرة ..

ولما ذهبت اليه ، أخذ الرجل الانجليزى ينظر الى الشرر يكاد يتطاير من عينيه ، ثم  
صرخ فى وجهى وهو يقول :

- لن تخرج من مصر حتى تنتهى الحرب !

وكانت مقابلة قصيرة للغاية ، خرجت بعدها من مكتبه .. !

وفى الطريق الى خارج مبنى حكمدارية القاهرة أخذت أتعثر فى مشيقتى والالم يكاد  
يعصر قلبي ..

وحدا لله على أننى لم أقدم أوراقى زميلى ، وكنت قد تصورت أن فى وسعنى أن أدعى  
أنه خادمى الخاص ..

وكان على أن اتدبر الامر ، فقد كانت نفسى ممثلة تصميا على الخروج من مصر  
للمساهمة فى الجهاد الذى كنت أريد أن أشارك فيه ضد الانجليز .. أعداء مصر الذين  
أعلنوا الحماية عليها ..

ولم أياس ، وبادرت على الفور بكتابة رسالة الى مدير كلية الطب التى كنت ملتحقا بها  
فى لندن ..



قلت له .. اننى أجد صعوبة فى العودة الى لندن بسبب الحرب ، ورجوته الا يعد  
انقطاعى عن الدراسة نهائيا ..

وكان الرجل رقيقا ، فرد على بخطاب يطلب الى فيه أن أعود ، وأخذ يطمئنى على أن  
الحالة فى لندن طيبة ..

وكان واضحا فى رده .. انه قد تصور أن الخوف مما يمكن أن تحدثه الحرب فى لندن هو  
الذى يمنعنى من العودة الى دراستى ..

ولم أنتظر ، وحملت خطاب المدير الانجليزى الى محافظة القاهرة لأعرضه على رسل باشا  
عسى أن يسمح لى بالسفر الى لندن ..

ولكن الرجل أصر على موقفه ..

قلت له .. إن الاصرار على بقائى فى مصر يضر بى ضررا بالغا ، لأن يحرمنى من اتمام  
دراستى مدة لا نهاية لها .. و خاصة أن أحدا لا يعرف متى يمكن أن تضع الحرب  
أوزارها !!

ولمت عينا رسل باشا ببريق عجيب ثم التفت ناحيتى وهو يقول :

- إذا كانت الدراسة هى التى تهلك .. أذن فأنا على استعداد لأن أصدر أمرا بقبولك  
طالبا بمدرسة الطب المصرية ..

ثم طلب إلى أن أذهب لمقابلة مديرها وكان اسمه الدكتور « كيتينج » فى حالة إذا ما كنت  
على اصرارى لمواصلة دراستى للطب ..

\*\*\*

ولم يكن أمامى .. إلا أن التحق بمدرسة الطب المصرية فى انتظار أول فرصة تسنح لى  
للذهاب فى المهمة التى وهبت نفسى لها ..

وكانت توصيات رسل باشا قد سبقتنى إلى الدكتور كيتينج ، فقد كان الرجل يستدعنى  
بين الآونة والاخرى إلى مكتبه لينصحنى بألا أشتغل بالسياسة !

ولكننى لم أترك العمل بالسياسة لحظة واحدة ..

وأذكر أن الدكتور كيتينج استدعانى مرة لمقابلته ، فلما ذهبت اليه فوجئت به يقول لى :

- أنت جرئومة فى هذه المدرسة .. وأحب أن أحذرك بأن صديق الجنرال مكسويل ،

قد فكر أكثر من مرة في شنتك أو القائك في السجن ، ولكنى كنت في كل مرة أحميك ..  
والجنرال مكسويل هو الرجل الذى كان يعمل قائدا عاما للقوات البريطانية في مصر  
في تلك الأيام ..

وأذكر أيضا أننى لم أملك نفسى عندما سمعت هذه الكلمات من المدير الانجليزى ، ..  
وانى بادرت أقول له :

- ان الامبراطوية البريطانية تستطيع أن تشنقى أو تسجننى ظلما إذا أرادت لأنها تملك  
القوة التى تمكنها من أن تفعل ما تشاء ، ولكنى لم أت عملا استحق عليه هذا التهديد !!  
قال المدير : أنت مفسد

ثم فتح أحد أدراج مكتبه ، وأخرج منه ملفا كان يضم مجموعة مقالاتى في الصحف  
البريطانية .

وكان يحتوى أيضا على النص الكامل لخطبى في جنيف التى هاجمت فيها الاحتلال  
البريطانى واستبداد اللورد كيتشنر!

ولمعت عينا الرجل ، وقد تصور أنه قد أمسك بتلابيى ، ثم أخذ يصيح :

- أليست هذه مقالاتك وخطبك ..  
قلت له بهدوء :

- كل هذا حدث قبل الحرب .. أما الآن فإننى لا أعمل شيئا .. لا أخطب ..  
ولا أكتب !!

وسكت الرجل ولم يقل شيئا !

وفى رأبى أن الدكتور كيتنج كان بالرغم من كل ما كان يبدو عليه من شدة وقسوة  
رجلا رحيا وطيب القلب ..

وكما عرفت لقد تدخل فعلا عدة مرات لهمايى من رجال القسم السياسى ، وكانت أية  
تهمة تكنى فى ذلك الوقت الرهيب الذى كانت البلاد خاضعة فيه للأحكام العرفية ..  
لإلقاء أى مواطن فى السجن إلى ما شاء الله !!

وفى تلك الأيام .. تعددت حوادث الاعتداء على المغفور له السلطان حسين كامل وعلى  
المرحوم ابراهيم فتحى باشا وزير الحربية المصرية وقتئذ ..

وأخذ رجال الشرطة السريون يتعقبونني في كل مكان ..  
وكنت أعرف ذلك ، ولذلك كنت أجد متعة في تضليلهم ..

والحقيقة .. انني كنت على علم بتفاصيل هذه الحوادث .. بل انني كنت أعرف الكثير  
منها قبل وقوعها .. ولكن ضميري وتدني كان يمنعني دائما من الاشتراك فيها بالرغم من  
حماسي الوطنية ..

ولم تطاوعني نفسي مطلقا على المساهمة في أية عملية للاغتيال أو الغدر!

\*\*\*

المهم بقيت أنتظر في صمت وصبر اللحظة المناسبة للخروج من مصر سرا حتى يتسنى  
لي التطوع مع الاتراك في الحرب ضد الانجليز ..

ومرت عدة أشهر ، ثم جاءت الفرصة المناسبة عندما نشب القتال بين الانجليز  
والاتراك عند قناة السويس ، وامتلاً مستشفى قصر العيني بالجرحى الاتراك الذين أصيبوا  
أثناء المعارك ..

ووجدت نفسي بحكم عملي في مدرسة الطب أعمل ممرضاً للجنود الذين كنت أتمنى أن  
أكون محارباً معهم ..

وأذكر أنني عثرت بين هؤلاء الجنود على شاب مصري كان متطوعاً للقتال مع  
الاتراك ..

كان اسمه ( قفطان ) ، وهو من الإسكندرية ، وقد كان في الأسنانة عندما نشبت الحرب  
فبادر بالتطوع للقتال ضد الانجليز مع الاتراك ..

وعرفت من هذا الشاب أن نوري باشا شقيق انور باشا قد سافر إلى طرابلس في  
ليبيا ، ومعه مجموعة من الضباط الاتراك ..

قال لي .. انهم حملوا معهم كميات من المؤن والذخائر .. وأنه مكلف بأن يعد مع  
السنوسيين جيشاً على حدود مصر لغزوها من ناحية الغرب ..

وكانت هذه المعلومات كافية لأن اتخذ أخطر قرار في حياتي .. وهو الهرب من مصر  
عبر الصحراء الغربية للاتحاق بهذا الجيش ومحاولة الاستعانة به في تحرير مصر من  
الاحتلال البريطاني ! . . . . !

## بداية المغامرة في ليبيا

اتجهت بفكرى إلى الفرار عن طريق الحدود الغربية والانضمام إلى المجاهدين .. كنت أريد محاربة الانجليز، والعمل على طردهم من بلادى ..

وكان أن اتصلت بأحد مشايخ العرب، واسمه الشيخ « عبد العزيز أبو مصباح » .. وكانت تربط بينه وبين عشيرتى صلة نسب ..

اتفقت معه على أن يعمل على تسهيل عملية فرارى عبر الصحراء الغربية إلى ليبيا .. قلت له .. أريد واحدا من البدو الخبيرين بمسالك الصحراء لمصاحبتى فى رحلتى .. ووافق شيخ العرب على أن يعد لى ما يمكن أن أحتاج اليه فى تلك الرحلة ، وأن يتفق مع الرجل الذى سيرافقتى فى رحلتى ..

ودفعت للرجل عشرين جنهما لتكاليف الرحلة بما فى ذلك ثمن الجمل الذى كان قد وعد بإعاداه لأركبه فى رحلتى إلى الحدود الليبية ..

ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل بعد أن أعددت كل شئ للقيام برحلتى ، فقد أخذ شيخ العرب يتلکأ فى تنفيذ ما كان مطلوبا منه حتى يشتت تماما منه ..

وقد تبين لى فيما بعد أن الرجل كان يجارى فى أفكارى حتى لا يعرضنى لأخطار الرحلة التى قررت القيام بها ..

تصور أنها مجرد نزوة شاب يريد أن يقوم بمغامرة .. ولم يكن يتصور أبداً أنى لن أراجع عن القيام بالمهمة التى وهبت نفسى لها ..

ووصل إلى القاهرة فى تلك الأيام ضابط بالجيش التركى من أصل مصرى اسمه ( شكرى ) وكان قد جاء إلى مصر متخفياً للتجنس وللعمل على اشعال نيران الثورة ضد الانجليز ..

وفى القاهرة قام بالاتصال بعدد من زعماء الحزب الوطنى ، وقد تعرفت به عن طريقهم ..

وأراد القدر أن يلعب دوره حتى يتسنى لى تحقيق الحلم الذى كان يراودنى بالهرب إلى ليبيا، والانضمام إلى الجيش التركى الذى كان يجرى إعداده لغزوة مصر من ناحية حدودها الغربية .

وكان ان كلفت بالعمل على تهيئة إقامة هذا الضابط التركى واخفائه وتهريبه من مكان لآخر . .

وأخيرا . . اتفقنا على أن يبقى الضابط فى مصر حتى يواصل تنفيذ مهمته . . وأن أحمل أنا ما جمعه من معلومات إلى طرابلس . .

وأهم من ذلك كان على أن أحمل معى إلى قيادة الأتراك فى ليبيا ( أطلس ) يحتوى على مجموعة من خرائط المساحة المصرية ، وكل ما وصلت اليه أيدي رجال الحزب الوطنى مما قد يفيد الجيش التركى عندما تبدأ عمليات غزوه لمصر من ناحية حدودها الغربية .

\* \* \*

المهم . . اختفيت فى شهر ديسمبر عدة أيام فى القاهرة مع ابن قريشى الذى عاهدنى على القتال معى ووافق على أن يرافقتنى فى رحلتى . . ثم سافرنا معا إلى الاسكندرية خلسة حيث قت بالاتصال برجل اصطحبنا إلى دمنهور ، ومنها انتقلنا إلى بيت يمتلكه أحد أعراب الصحراء فى ناحية الكوم الأخضر فى مديرية البحيرة التى أصبحت الآن محافظة .

وفى بيت هذا الرجل العربى انضم الينا اثنان من البدو الذين عرفوا بخبرتهم بمسالك الصحراء الغربية ، وكان أحدهما اسمه خالد . . والآخر لا أذكر اسمه تماما . .

ومن الكوم الأخضر بدأنا رحلتنا فى أخطر مغامرة يمكن أن يقوم بها إنسان . .

لقد خرجنا من البلدة الصغيرة قبيل الغروب لنصل إلى بلدة اسمها ( كوم الحنش ) . . وكان علينا أن نتصل بضابط نقطة الشرطة فى هذه البلدة . إنه ضابط شاب رقيق وكان ينتسب إلى الحزب الوطنى وكثيرا ما كان يتصل بأعضائه .

وفى كوم الحنش سألنا عن هذا الضابط . فلم نجد . كان فى راحته الأسبوعية . .

ولم ننتظر ، وقررنا مواصلة السير إلى رأس ترعة النوبارية ، فوصلنا إليها فى ساعة متأخرة من الليل . .

وكان الظلام دامسا . . والبرد قارسا للغاية . . وفى تلك الأيام كانت الأحكام العرفية

تقضى باطلاق الرصاص على كل من يحاول تجاوز هذه المنطقة إلى الغرب بدون ترخيص رسمي .. وكنا نعرف أن الحراسة مشددة للغاية في المنطقة ما بين رأس النوبارية وبحيرة مريوط .. ولذلك قررنا أن نغتنق حتى منتصف الليل ، على أن نترقب غفلة الحراسة والدوريات لنواصل رحلتنا في اتجاه الصحراء ..

وأخيرا سنحت الفرصة فتحركنا في الظلام .. وكنا نسمع أثناء سيرنا أصوات رجال الدوريات المسلحة في حركاتهم .. حتى إذا ما طلع النهار علينا وجدنا أنفسنا قد اخترقنا منطقة الخطر .

كانت الأرض أمامنا سهلة ، وممتدة إلى مالا نهاية .

ولم نتوقف وواصلنا السير حتى بلغنا عند الظهر منطقة آبار عند هضبة إلى الجنوب من السكك الحديدية عند محطة بهيج ، ويطلق عليها أهل المنطقة اسم .. آثار ( أبو سنة ) .. وعند هذه المنطقة تركنى الأعرابيان مع زميلي ثم توجهنا إلى بلدة بهيج لاجتماع الجمل ، وما يمكن أن نحتاج إليه في رحلتنا من أطعمة وقرب الماء ..

\*\*\*

بقيت مع زميلي في ذلك المكان وحدنا طول النهار .. ومرت بنا الساعات طويلة ، وقد امتلأت بالاحتمالات المختلفة ..

ولأول مرة بدأت أشعر بالضيق ، وأنا اختفى في ذلك المكان المهجور ، فقد كنت مع زميلي بلا طعام . ولأننى لم أكن أعرف ما يمكن أن نخبئه لنا الأيام ..

وكنت انتطلع حولي ، فلا أرى شيئاً على مدى البصر حتى انى تصورت نفسى وقد تركنى الاعرابيان نائماً في قبر ..

ولما غابت الشمس وأسدل الليل ظلامه ، أخذت الهواجس تنتابنى .

تصوت أن شيئاً قد حدث للاعرابيين ، وفجأة وبينما كنت في أشد حالات القلق والانزعاج رأيت بعض الأشباح تدنو من بعيد ..

ولمحت بين تلك الأشباح الجمل وهو يتحرك في الظلام ..

وانفرجت أسارىرى لأول مرة وأنا أهول ناحية تلك الأشباح تاركا المكان الذى كنت مختبئاً فيه ..

وكانت مفاجأة عندما رأيت شيخا مسنا قد انضم إلى الاعرابيين ..  
وجلسنا نتحدث عن السبب في تأخرهم .. قلت لهم أنتي تصورت أن أمرهم قد  
انكشف للسلطات العسكرية، ولذلك أمضيت يومي في قلق شديد ..  
وقام أحد الاعرابيين فأوقد نارا ثم صنع «شايًا» على طريقة البدو ..  
كانت أول مرة اتذوق فيها هذا الشاي .. ولا أريد أن أقول أن نفسي عافته من شدة  
مراراته ..

ولم أكن أدري في ذلك اليوم أن هذا الشاي الأسود سيصبح فيما بعد شرابي المفضل !  
وتكلم الشيخ المسن وكان اسمه الشيخ مفتاح، لأول مرة .. فأخذ يوصيني بالصبر  
والشجاعة .. ثم قال لي :  
ان كل ما أرجوه منك هو أن تسأل السيد أحمد الشريف السنوسي منذ وصولك أن  
يدعو لي .. وان تأتيني من الاتراك بندقية جديدة ..  
فوعده بذلك !

والنفت الرجل إلى الاعرابيين، وقد عرفت فيما بعد أن أحدها ابنه .. والثاني ابن  
أخيه ثم قال لهما :

- إذا مات هذان الرجلان، ولم تومتا مثلها فلستما مني .. !  
وأثارت كلمات الرجل الطمأنينة في نفسي ..  
وأذكر أننا أكلنا خبزا وجبنا وزيتونا .. وبعدها ودعنا الرجل ثم عاد من حيث أتى !

\*\*\*

وتحركنا لنطوى الليل، وكان البرد قارسا، حتى الصباح .. ولا أريد أن أقول .. إنني  
كنت في أواخر الليل أنام وأحلم فاستيقظ فأجد نفسي ما أزال ماشيا، فاستمر في  
سيرى ..

ولم أعرف قبل تلك الليلة .. أن في وسع الإنسان أن ينام ويمشي في نفس الوقت !  
وكان ركوب الجمل متعذرا، فقد كان يحمل الزاد وقرب الماء .  
وعند الظهر رأينا طائرة تحلق في السماء وكانت تقترب من ناحيتنا، فتصورت أنها

تراقبنا .. ولكن الطائرة ارتفعت من جديد ، ثم عادت أدراجها إلى ناحية يطلقون عليها اسم « آبار المغيرة » ..

وكانت هذه المنطقة تلوح لنا من بعيد ، ومع ذلك لم نتجه ناحيتها خشية أن نجد عندها احدى دوريات الهجانة التي كانت تنتشر في أودية الصحراء في تلك الأيام ..

وصحيح أنني كنت متخفياً في ملابس البدو .. الا أنني كنت على يقين من أن مظهرى الذى لم يكن يدل على أنني بدوى يمكن أن يفضحنى ..

وبالتالى ، فقد كان الابتعاد عن الطرق التي تسلكها دوريات الهجانة أسلم بكثير ..

ولما جاء الليل .. اقترحت على رفاقى في الرحلة أن ننام ..

قلت لهم .. انه لم تعد لى قدرة على مواصلة السير ..

وكانوا جميعا في حالة يرثى لها من الاجهاد والتعب ، ولذلك وافقونى على رأى اى ..

ولم أنتظر وبادرت بالقاء نفسى على الأرض في العراء ..

\*\*\*

نهضنا عند الفجر لتتحرك من جديد ..

وكان الاعرابيان على جانب كبير من الذكاء .. فلم يسلكا طريقا مألوفا ؛ ولم يسيرا في طريق مستقيم . فقد كانا يتجهان بنا في اتجاه الجنوب ثم إلى الشمال .. وكانا يتحركان بالقفالة إلى الغرب ثم يعودان مرة أخرى إلى الشرق ، قبل أن نواصل رحلتنا فوق رمال الصحراء التي كانت تمتد أمامنا ..

وبمعنى آخر .. كنا نتحرك بطريقة لولبية ..

كانا يتحاشيان المرور على مخيمات البدو .. أو الاقتراب من المسالك التي تمر بها دوريات الهجانة ..

وقد واصلنا رحلتنا على هذه الحالة يوما بعد يوم ، حتى بلغنا مشارف مدينة مرسى مطروح بعد سبعة أو ثمانية أيام ..

إننى لا أذكر بالضبط عدد الأيام التي قطعنا فيها هذه الرحلة حتى مرسى مطروح ..



فقد كنا نسير .. وننام .. وكان الليل والنهار يتعاقبان علينا ، فلم تسنح لنا الفرصة لمعرفة عدد الأيام بالضبط التي استغرقتها رحلتنا ..

ولكن من حسن حظنا أننا كنا في الشتاء ، فقد هطلت الأمطار أثناء رحلتنا ، ولذلك كنا نجد حاجتنا من الماء دون أن نضطر للاقتراب من مناطق الآبار والموارد التي يتجمع عندها البدو !

وفي مرسى مطروح تحركنا من جديد لتتابع رحلتنا لمدة عدة أيام أخرى ..  
وفجأة شاهدنا أثناء الليل نارا مشتعلة ..

كانت تبدو من بعيد ، وقد رأينا من حوفا أننا يتحركون في ظلام الليل ..  
وجلسنا نتشاور فيما يمكن أن تكشف عنه هذه النار ..

وكان من رأى الاعرابيين .. الا خوف من أصحاب هذه النار ..  
قالا .. اننا قد ابتعدنا تماما عن كل خطر ، ثم أخذنا يؤكدان أننا قد وصلنا إلى منطقة كانت تقع تحت سيطرة السيد أحمد الشريف السنوسي .. وكانت قواته قد هاجمت في تلك الأيام مدينة السلوم ، وأصبحت تسيطر على المنطقة التي حوفا ..

ولم أقتنع بسرعة ، وطلبت إلى أحدهما أن يتسلل إلى منطقة هذه النار لنعرف الحقيقة ..  
وغاب الرجل فترة من الوقت ، ثم عاد والفرحة تملأ أساريره ..

قال لي .. إن شيخ النجع الذي نسير فيه هو أحد رؤساء زوايا السنوسية ..  
وأنه من رجال السيد أحمد الشريف السنوسي !

وأطمأنت نفسي لأول مرة ، وأدركت أنني قد نجحت في الفرار من مصر ..  
وان مهمتي ستكفل بالنجاح !

\*\*\*

تقدمنا إلى النجع ، وكان قد مضى علينا في رحلتنا حوالي ١٢ يوما ، ولما عرفوا مهمتنا  
أكرموا وفادتنا ، ثم ذهبوا لنا ماعزا ..

وارتفعت النيران من جديد ، وكانت أحاديث طويلة دارت أثناءها أكواب الشاي ..

وفي تلك الليلة .. نمت لأول مرة منذ أن غادرت الإسكندرية نوما عميقا هادئا ..  
واستيقظت في الصباح لأطلب من شيخ النجع أن يرافقنا إلى مركز قيادة الجيش  
السنوسي التركي، وكان في ناحية يطلقون عليها اسم «العقاير» ..

وتحركنا من جديد وكنا في أشد حالات الفرح حتى وصلنا إلى هناك ..

وفي معسكر الجيش السنوسي التركي التقيت بأحد أولاد المجاهد المصري المرحوم محمد  
بك أبو جبريل .. وكان شيخا لقبيلة القفاشات . وهي واحدة من قبائل أولاد على التي  
تعيش في الصحراء الغربية .. وكان هو الذي اصطحبني إلى خيمة القائد نوري باشا  
شقيق المرحوم أنور باشا الذي قابلني بترحاب وبعد أن أكرم وفادق تسلم مني ما كنت  
أحمله معي من الرسائل والمعلومات والوثائق والحرائط !

وخرجت من عند نوري باشا لأجد نفسى وجها لوجه مع صديق وزميل عزيز لي كنت  
قد تركته في لندن .. وهو المرحوم الدكتور دسوقي ..

كان من زملاء الكفاح في لندن، وكنت عندما سافرت إلى جنيف قد تركته في  
العاصمة الانجليزية حتى يتسنى له تأدية امتحانه النهائي .. ولما أعلنت الحرب سافر إلى  
ألبانيا، ومنها إلى تركيا حيث تطوع للقتال ضد الانجليز في الجيش العثماني ..

وكان لقاؤنا مثيرا للغاية، فقد تعانقنا .. ثم غلب علينا البكاء ! ..

\*\*\*

وأذكر ما حدث عندما قرأ نوري باشا الرسائل التي حملتها اليه .

لقد قام من مكانه ثم عانقني وهو يقول لي :

- هكذا يكون أبناء البلاد التي تريد الحرية !

وكان حديث طويل ، ثم تناولنا الطعام ..

وأثناء هذا الحديث قلت له .. إنني في حاجة إلى التدريب على الجندية ..

ولم ينتظر نوري باشا، وأمر باستدعاء ضابط مصري كان متطوعا للقتال مع الأتراك ،  
وهو الشهيد عبد الحلیم حمدى وكلفه بالاشراف على تدريبى العسكرى ..

وأهدى إلى نوري باشا بندقية عثمانية جديدة وهو يقول لي :

- هذه البندقية هي أعز شئ عندى وأنا أهديا اليك تقديرا لشجاعتك ووطنيتك !

وفي منطقة « العقاقير » .. وهي تقع في غرب منطقة سيدى برانى بدأت أول تدريب على القتال في منطقة تمتلئ بكتبان الرمال ..

انها نفس المنطقة التي أقام الجيش السنوسى التركى فيها مركز قيادته ..

وكانت القوة العسكرية في هذه المنطقة لا تزيد على ٥٠٠ مقاتل من المشاة .. وكانت مع هذه القوة مدفعان صحراويان وعشرة متروليبوزات أى مدافع رشاشة .. كما كانت تدعمها مجموعة صغيرة من الفرسان وكانت غالبيتهم من الضباط وشيوخ القبائل .

وكان عدد هؤلاء الفرسان لا يتجاوز العشرين فارسا ..

هذا إلى جانب قوة مؤلفة من المصريين والطرابلسيين من اتباع السيد أحمد الشريف السنوسى ..

وكانت هذه القوة بقيادة المجاهد المصرى المرحوم محمد صالح حرب ..

ولم تكن هذه القوة تزيد على ٣٠٠٠ رجل مسلح .. وكانت هى التي قامت في تلك الأيام باحتلال واحة سيوة وواحات الغرافرة والواحات البحرية والداخلة ..

أما القوات الانجليزية فكانت تعسكر في ناحية مرسى مطروح !

\*\*\*

أخذت الأيام تجري بسرعة .. وكنت أقضى في كل يوم عدة ساعات في التدريب على الفنون العسكرية حتى أُلمت بها ..

وحدث في تلك الأيام أن هاجمت قوة انجليزية إحدى وحدات الأتراك وكان يقودها المرحوم جعفر العسكري باشا .. وكنا نطلق عليه وقتئذ اسم جعفر أفندى ..

وأثناء المعركة .. استطاع جعفر أن يرد القوة الانجليزية وأن يظفر بقبعة أحد جنودها ..

وكانت هذه القبعة أول ما شاهدته في حياتي من غنائم الحرب !

\*\*\*

ولكن فجأة وقع خلاف بين نوري باشا والسيد أحمد الشريف السنوسى ..

وكان طبيعيا أن يتوقف السيد الشريف السنوسى عن إمداد قوانا بما كانت تحتاج إليه من مواد التموين ..

واشتد الضيق الاقتصادي في معسكرات الجيش والمنطقة التي حوله ..

وتجاوز الموقف درجة الاحتمال ..

وأذكر أن ثمن لفة الدخان قد وصل إلى جنيه من الذهب .. وكانت اللفة الواحدة تكفي لصنع عشر سجائر فقط !

وكاد الموقف يتدهور عندما أخذت قوات الانجليز تتقدم نحونا بعد أن تحركت من مرسى مطروح ..

كانت تعزها الطائرات من قاذفات القنابل .. وأنواع أخرى من الطائرات .. وكان واضحا أن الانجليز قرروا استغلال الموقف في توجيه ضربة على قواتنا ..

واستدعاني نوري باشا .. كما قام باستدعاء كبار الضباط إلى اجتماع عاجل لتداول الموقف ..

وتقرر في هذا الاجتماع .. أن تقوم قواتنا بمناوشة قوات العدو لإعاقتها عن التقدم ..

وجاءت اللحظة التي تمنيتها عندما خرجت مع الجنود .. كأى مقاتل عادى .. وكنت بلا رتبة عسكرية .. ولا أريد أن أقول مجرد نفر .. وكانت بيدي بندقية لأقاتل الانجليز أعداء بلادى ..

وفي أول معركة نجحت قواتنا في مباغنة العدو .. لقد فاجأناه بالهجوم .. وكانت تساندنا مدفعيتنا التي لعبت دورا مجيدا ..

وانتصرنا عليه ..

ولكن العدو لم يلبث أن استعان بالطائرات على رد الهجوم .. ولم تكن قواتنا تخاف شيئا قدر خوفها من الطائرات ، فلم تكن لدينا مدفعية مضادة للطائرات ..

كما كانت المنطقة كلها مكشوفة، مما كان يثير الملح في نفوس الناس ..

وكان الأعراب ينظرون إلى الطائرات على أنها شياطين لها أجنحة تساعد على الطيران ..

وبعضهم .. كان يقول .. ان هذه الطائرات من أعمال الشيطان

وكان أن دب الذعر في صفوف المتطوعين ..

اضطررنا للهرب والاختفاء وراء كنبان الرمال من تلك الطائرات اللعينة !

وأثناء هذه المعركة استطعت أن أخفي حصانا ليساعدني على الفرار في الوقت المناسب ..

ربطته في جذع شجرة بين كتيبتين من الرمال حتى لا تراه العيون .. وعندما تحرج الموقف ، تسللت إلى مكان الحصان ، فلم أجده .. وضاعت بي الأرض عندما تطلعت أمامي لأرى قوات العدو تتقدم ، وكانت على بعد مئات من الأمتار من مكاني .. وحلقت إحدى طائرات العدو في تلك اللحظة مما اضطرني للانبطاح على الأرض . أزيها كان مزعجا حتى أنني أحسست أن رأسي قد طار في الهواء فدت إليه يدي أمحسه ..

تصورت في تلك اللحظة أنني سأقع في الأسر لا محالة ..

ان هذا يعني أن يجلبني الانجليز إلى القاهرة لينتظروني جبل المشنقة .

انتظرت .. وبادرت بالقيام من مكاني ، ثم أخذت أجرى تحت هدير الرصاص ..

وكنت أتوارى تارة بين كتيبان الرمال .. وتارة أخرى أظهر فوقها ..

وأراد الله أن أفلت ، فلم أصب بشئ .. حتى جاءتني النجدة عندما لمحت حصانا من خيول العدو .. وكان من النوع الاسترالي وعليه سرج ..

ولما دنوت منه وجدته يحمل بطانتين ووعاء من الألمنيوم .. وبندقية معلقة إلى جانب السرج ..

وجدت طفلا من البدو يقوده .. ولم يكن عمره يزيد على عشر سنوات ؟ ..

ولما رأى الطفل قال لي .. إنه هو الذي وجدته .. ولذلك فهو من حقه .. أي أصبح ملكا خالصا له ..

قلت له .. نعم .. هو لك .. ثم أركبت الطفل خلفي ، وطلبت إليه أن يدلني على الطريق الذي ذهب إليه المحاربون

ولم نلبث أن ابتعدنا عن العدو ..

وبعد عدة أميال وجدت نوري باشا ومعه المرحوم جعفر باشا العسكري وضابطا تركيا آخر اسمه نهاد .. وكان معها عدد من الجنود ومدفع رشاش واحد !

وهللت وأنا أقول لنورى باشا :

- يا باشا لقد غنمت هذا الحصان بعد أن كدت أقع في الأسر..

وضحك نورى باشا.. ثم أشار بيديه ناحية الشرق وهو يقول لى :

- تظن نفسك قد نجوت من الأسر.. اذن أنظر هناك.. هذه خيول العدو تقطع علينا

الطريق..

قلت له : وماذا ستفعل ؟ ..

قال نورى باشا : اذهب بسرعة فى هذا الاتجاه .. ثم أشار إلى جهة الجنوب ، فقد

تلفت بجهدك من الأسر..

وتلفت ناحية الجنوب لأرى قافلة من قواتنا ، وهى تنسحب ..

قلت له : ولكننى أريد أن أبقى معك ..

قال نورى باشا : أنا أمرك أن تذهب بسرعة ..

ولم يكن أمامى إلا أن أودى له التحية العسكرية ، ثم مضيت فى طريق لألحق

بالقافلة ..



## نجوت مرة أخرى من الموت !

كانت القافلة تضم جمال قواتنا التي تحمل الجرحى والمدافع وبقية الذخائر والحيام .. وكان نورى باشا قد أدرك منذ الصباح أن العدو قد اشتبك معنا بمشاته ، فعمل بسرعة على إطلاق فرسانه في اتجاه اليمين .. وبالتالي أصبحت قوات العدو محاصرة بين البحر وبين قواتنا ..

واتخذ فرسان العدو من أحد الكثبان الرملية كميناً بعد أن تجاوزوا الاراضى السهلة ووجدوا أمامهم مرتفعاً اختبأوا وراءه ..

ويعنى آخر .. إختفت قوات العدو وراء كثبان الرمال حتى اذا ما تخلصت قافلة قواتنا والجنود الهاربون من المنطقة الرملية ، وأصبحت الارض التي تسير عليها القافلة مكشوفة ، قامت بالإغارة عليها ..

أدرك نورى باشا خطة العدو أثناء المعركة ، ولذلك قام بسحب قوة من المشاة وجعلها قوة احتياطية تحت تصرفه ، وقام بتوزيمها بحيث تقوم بحماية جناحه الأيسر ، وفي نفس الوقت أعد ثلاثة كمان ، وقام بتسليح كل كمين بمدفع رشاش ..

وأثناء عملية انسحاب قواتنا ، قام بنفسه بقيادة أحد هذه الكمان الثلاثة ، وهو الكمين الذى التقيت به عنده ..

وأنا نفسى لم ادرك خطة نورى باشا ، إلا عندما اقتربت من المكان الذى تسير فيه قافلة قواتنا المنسحبة ..

كانت قد بلغت المنطقة المكشوفة ..

وفي تلك اللحظة رأيت غبار خيول العدو وهي تندفع في اتجاه القوات المنسحبة ..

وارتفع زئير المدافع الرشاشة ، وهي تنطلق في اتجاه قوات العدو من الكمان التى أعدها نورى باشا ..

وهكذا أراد الالمجيز أن يصيدوا قواتنا فعمل نورى باشا على أن يتصيد قواتهم ..



وأثناء المعركة أخذ خصائى ينجذب نحو خيول العدو، ولم أملك نفسى من الدهشة ،  
وأخذت أضربه حتى لا يندفع نحوها ..

ورأى احد الضباط العرب وكان يركب هو الآخر فرسا فالتفت ناحيتى وهو يقول :  
- إتبعنى فى هذا الاتجاه ..

ولم انتظر واتجهت أجرى بحصانى وراه ..

وكان فرسه عربيا خفيفا ، أما فرسى فكان استراليا من النوع الثقيل ، ولذلك كان  
الضابط العربى يقلل من سرعته حتى ألحق به ..

كان ضابطا فلسطينيا من أهل غزة ، واسمه على ما أذكر حسن أفندى .. وقد ظللت  
الأحقة حتى تجاوزنا القافلة بمسافة تقل عن الكيلومتر ، وعندها تلفت ناحيتى وهو يقول :  
- لتنزل هنا ونرغب الحالة ..

وأخذ الضابط الفلسطينى يتطلع حوله بالمنظار المكبر الذى كان يحمله ، ثم قال لى :  
- الآن نستطيع أن نلحق بالقافلة فقد نجونا والحمد لله ..

وتحركنا فى طريقنا الى منطقة آبار ماء كان يعرفها ، فقد كان خبيرا بالأرض ، وكان  
يعرف ان القافلة ستوقف لتسكرك عند هذه الآبار ..

وهناك وجدنا بعض قواتنا ، وكانت قد سبقتنا ، وتتابع بعد ذلك جماعات الجنود ، ثم  
لحقت بهم بعض الجمال التى كانت تضمها القافلة ..

وحاولنا أن نعرف ما حدث بالضبط أثناء المعركة ، فلم نستطع ، فقد كانت كل جماعة  
مشغولة بمشاكلها ..

وكل الذى أدركناه .. هو ان مدافعنا الرشاشة قد تمكنت من رد الحيلة الانجليز عند  
هجومهم المباغت على القافلة ، وقد حدث أثناء المعركة ان تمكن عدد من الفرسان  
الانجليز من الوصول الى مكان القافلة ، وقد دارت معركة بينهم وبين القوات التى كانت  
قد انسحبت مع القافلة ، وقد اشترك فى هذه المعركة الاعراب الذين كانوا يقودون الجمال  
مع النساء والمجرمى ..

واضطر الحيلة الانجليز للانسحاب ..

ولم يصب فى هذه المعركة الاشيخ مسن أصيب بسيف فى رأسه !!

وفي هذه المنطقة أمضينا جانباً من الليل ، ثم تحركنا مرة أخرى ، فقد كان شعورنا بأن العدو لا بد أن يستمر في تعقبنا ..

وتردد أن قوات العدو قد احتلت سيدي براني ، ولذلك قررنا أن نتحرف في مسيرتنا ، فلا نتجه ناحية الشاطئ ..

وكان علينا أن نتحرك بسرعة ، والا نستقر في مكان حتى نتعرف على حقيقة الموقف بالضبط ..

وفي اليوم الثالث بلغنا منطقة اسمها بئر « واعر » في داخل الأراضي الطرابلسية ..

وكان جنودنا منذ بدأت المعركة لا يجدون تمويناً منتظماً ، ولذلك ظلوا يعيشون على البلح الذي كان يجود به بعضهم على بعض ..

واضطرت أنا نفسي أن أعيش على الأعشاب الخضراء التي كنت ألتقطها في طريق من الأرض كأعشاب « القزيج » « .. الذباح » ..

وفي بئر منطقة « واعر » إستقبلني ضابط أسود عرفته منذ أول وهلة ..

كان هو نفسه الضابط طارق الذي كلفه أنور باشا بمرافقتي والاهتمام بشؤوني عندما قابلته في أدرة منذ سنتين بعد أن حملت إليه المعلومات والوثائق التي قت بجمعها عن الحرب في البلقان ..

ولم أكن أعرف أنه قد جاء للحرب في ليبيا ..

استقبلني الرجل بحماسة ، وهو يقول لي .. إنه القومندان المسئول عن مركز « بئر واعر » ..

ولما قلت له أنني أكاد أموت من الجوع ، أمر تابعه بأن يطبخ لنا برغلا ولحماً .. وكانت وليمة .. ولا أبالغ إذا قلت أنني لم أذق في حياتي أطيب أو ألد من اللحم والبرغل الذي أكلته في تلك الولاية ..



وصل في نفس اليوم نوري باشا .. كما وصل عدد كبير من جنودنا الذين نجوا من المعركة ..

وعرفت لأول مرة ما حدث بالضبط .. فقد فوجيء الفرسان الانجليز على أثر قيامهم بالهجوم المباغت على قافلة قواتنا المنسحبة ، بالرصاص ينهال عليهم من المدافع الرشاشة التي وزعها أنور باشا على الكائنات الثلاثة التي أقامها خفية بين كتبان الرمال .. وكانت معركة شرسة قام الفرسان الانجليز أثناءها بالهجوم بخيولهم على مواقع كائنات المدافع الرشاشة ..

وصمد حاملو هذه المدافع بشجاعة حتى وطئتهم الخيول بأقدامها ..

وكانت الخسائر التي أصابت فرسان الانجليز بنيران مدافعنا الرشاشة فادحة ..

هذا الى جانب الخسائر التي تكبدها هؤلاء الفرسان عندما التحموا بالرجال والنساء عند هجومهم على القافلة المنسحبة ..

ولم تخطر مقاومة قواتنا على بال العدو بالدرجة التي جعلته يحمل جرحاه ويرحل دون أن يهتم كثيرا بالقتل الذين تركهم وراءه في مكان المعركة .

ولم يحمل العدو معه المدافع الرشاشة التي استولى عليها بعد مهاجمته الكائنات بالفرسان ، فقد ترك هذه المدافع الرشاشة في أماكنها ثم رحل ..

وفي هذه المعركة وقع جمفر العسكري أسيرا بعد أن جرح في ذراعه .. كما وقع في الأسر الضابط نهاد .. وضابط آخر ..



وفي منطقة بئر « واعر » .. سمعنا حكايات كثيرة عن بطولة نوري باشا ، فقد ظل واقفا على رأس جنوده ، في أحد الكائنات الثلاثة التي كانت تطلق المدافع الرشاشة على الفرسان الانجليز حتى كاد يقع في الاسر ..

وعندما دهمت القوات الانجليزية الموقع الذي كان يقود المعركة منه ، امتطى ظهر جواده ، ثم ظل يركض به ، وهو يداعب الفرسان الذين تعقبوه بسيوفهم ، فقد كان يتوقف ثم يطلق عليهم نيران مسدسه .. وبعدها كان يتعد عنهم حتى يلاً مسدسه بالرصاص ، ثم يعود مرة أخرى لإطلاق الرصاص على الفرسان الانجليز ..

وكان جواد نوري باشا يساعده على سرعة الحركة ، فقد كان جوادا عربيا أصيلا ، وكان في رأبي واحدا من أحسن وأقوى الجياد العربية التي شاهدها في حياتي ..

وفى مساء يوم المعركة .. عاد نوري باشا مرة أخرى ومعه من التق بهم من الجنود  
والبدو الى المنطقة التي دارت فيها الحرب ، واستطاع إنقاذ المدافع الرشاشة ..  
كما قام بدفن جنوده الذين قتلوا أثناء المعارك ، وهم يطلقون المدافع الرشاشة على  
الجنود الانجليز ..

وهكذا أخذ معسكرنا كله يتحدث عن نوري باشا البطل الذي استطاع أن يحول  
الهزيمة إلى انتصار كبير ..



وكانت مفاجأة عندما ناداني نوري باشا أمام الضابط والجنود ثم قال لى :

- لقد استحققت فى معركة العقاقير وسام الهلال الحديدي يا عبد الرحمن .. وأنا باسم  
الدولة العثمانية أعلن اننى قد منحتك هذا الوسام ، وسأبعث إلى الأستانة فى طلب براءة  
هذا الوسام لتقدمه لك متى استطعت ذلك !

وحاولت أن أقول شيئاً ، ولكنه أخذ يربت على كفتى وهو يقول لى :

- أنت ولد شجاع ..

وكان الشيخ ياسين .. وهو الذى هرب بفرسى الذى كنت أعول عليه كثيراً عندما  
وقع علينا هجوم قوات الانجليز ، حاضراً .. وقد استمع الى ثناء نوري باشا الذى وجهه  
الى ..

ولم يتالك الرجل نفسه عند سماع ثناء نوري باشا على ، فتقدم ناحيتى معتذراً عما حدث  
منه .. ثم قال وهو فى اشد حالات الحجل :

- لم أكن أعرف ان الفرس تحضك ..

ثم استطرد يقول إنه تصوروا فرسا شاردة ، وإنه لم يكن يدرى ما جرى لصاحبها ،  
وأنه لولاها لوقع أسيراً فى أيدي الانجليز ..

واختق الشيخ ياسين عدة دقائق ، ثم عاد يقود الفرس ولما رأى صاح أمام الضابط  
والجنود ..

- هذه فرسك يا عبد الرحمن أردتها اليك فهى حقك ..

ومعنا في تلك الليلة أيضا قصة أخرى لواحد من المجاهدين العرب الابطال ، وهو الشيخ حميدة أبو جبريل ، فقد روى لنا بنفسه كيف انه أخذ يتعقب قوات العدو ومعه ستة من الفرسان العرب ..

وكانت مناوشات .. ومعارك ..

وعاد الشيخ حميدة أبو جبريل مع رجاله ، ومعهم غنائم كثيرة من الخيول والاسلحة وبما عثروا عليه في جيوب القتلى من جنود الانجليز ..

لقد حملوا معهم كل ما استطاعوا أن يحملوه من غنائم ، وكان من بينها دفاتر يوميات قوات العدو ..

كما حملوا معهم أيضا بعض ما وجدوه في جيوب القتلى من الأوراق الشخصية .. وكان بعضها يخص واحدا من الضباط الانجليز ، وكان يرتبه البكباشي .. أى المقدم ..

اننى لا أذكر اسمه بالضبط .. وقد كشفت دفاتر اليوميات على أن القوات الانجليزية التي هاجمت قواتنا كانت تحت قيادته ..

وكان هذا يعنى أننا نجحنا في قتل أكبر رتبة خرجت للحرب ضدنا في هذه المعركة ..

ومع عودة الشيخ حميدة أبو جبريل تكاثرت في السوق غنائم الحروب من الخيول والسلاح ..

وكان أن اشتريت فرسا بسرجهما وبطانيتين بجنين ..

والواقع أن هذا الثمن كان بخسا للغاية ، فقد كان أقل من المعقول ..

والحقيقة اننا لم نكن نملك ما يكفى الجنود من الاكل ..

وبالتالى .. لم يكن عندنا ما يمكن أن نقدمه للخيول ..

وكان أن زهد المجاهدون في الخيول ، وكان في رأى الكثير منهم أن الخيول الاسترالية لا يمكن أن تعيش طويلا في ظروف الصحراء القاسية ..

وانا نفسى عانيت كثيرا حتى يتسنى لى توفير الطعام للفرس التي اشتريتها ، فقد كنت مضطرا لأن أرعاها بنفسى وأن أعنى بها حتى يئست تماما منها ..

ولكن الفرس لم تبق طويلا فقد نفقت بعد شهر واحد بالقرب من مدينة طبرق ، أى على مسافة ١٥٠ كيلو مترا في القرب من الحدود المصرية .. !



كنا على ثقة باننا سنحقق النصر على الرغم من هزيمتنا ، وعودتنا من المعركة مجهدين وفى أشد حالات الفوضى والارهاق ..

ولم يكن عندنا فى المسكر أى شعور بالخوف ..

وقد بادر نورى باشا بتوزيع دوريات الحراسة على مسافات من المسكر فى اتجاه مدينة السلوم ..

وكان يبحث بين الآونة والاخرى بوحداث استكشافية لمراقبة تحركات العدو الذى كان قد استقر فى ناحية سيدى برانى ..

وبعد حوالى الاسبوعين عرف نورى باشا أن العدو يتحرك نحو السلوم ، فقرر أن نتقدم شرقا فى اتجاه منطقة يطلقون عليها اسم ( الحلفاية ) ..

كان يريد أن يلتحم بقوات العدو بعيدا عن السلوم التى أصر بعناد على الدفاع عنها ..

وفى بادىء الامر .. اعترض بعض الضباط الأتراك على خطة نورى باشا ، وكان فى رأيهم انها مجازفة جنونية ، وأن الاقدام عليها يعتبر انتحارا ..

واستحكم الخلاف بين نورى باشا ، والضباط الاتراك حتى إنه يش منهم تماما ..

ولم يكن فى وسع نورى باشا أن يترك ضباطه لينضم الى قوات السيد أحمد الشريف السنوسى .. لأن الخلاف كان مستحكما بين الضباط الاتراك والسيد أحمد الشريف ..

وكان انضمام نورى الى السيد أحمد الشريف يمس كرامة الضباط الاتراك .. !

وكما يقول المثل .. ان المصائب تأتى بالجملة ، فقد أخذت الاحداث تتلاحق ..

وكان أن رفض العرب فى إقليم برقة الاشتراك مع نورى فى قتال جديد ضد الانجليز ..

قالوا .. انهم ضاقوا ذرعا بما كانوا يعانونه من شدة الجوع وارتفاع الأسعار ، كما أن

اغلاق سوق مدينة السلوم قد أضر بمصالحهم للغاية ..

وترددت بينهم أصوات تقول .. ان سبب المصائب كلها يرجع الى أن منطقتهم قد تحولت الى ميدان للقتال !

وكان طبيعيا أن يتجه تفكير هؤلاء البرقويين للبحث عن أسلوب للتخلص من نوري باشا ، ومن كل الذين جاءوا معه !!

# منعت القائد التركي من الانتحار !

كان أولاد علي - وهم من القبائل العربية التي تعيش في صحراء مصر الغربية قد اشتركوا في الكثير من المعارك التي خاضها نوري باشا وقد انضموا إليه في معركة العقاقير إعتقادا منهم بأنه سينتصر على الإنجليز وأن هذا النصر سستبعه بداية الزحف في اتجاه وادي النيل ..

فلما انهزمت قوات نوري ، رفض أولاد علي أن يتركوا موطنهم .. أو أن يتزحزحوا عنه ..

وعادت هذه القبائل فسلمت نفسها إلى الإنجليز فيما عدا بعض الأفراد القلائل ومنهم محمد بك أبو جبريل وأولاده ، والشيخ الجميعي عمدة الضبعة في طريق الاسكندرية مرسى مطروح ..

وعاش الرجل بعد معركة العقاقير على أمل واحد ، وهو أن تقوم الغوصات الألمانية بإسعافه ، وأن تمده بالمال والذخيرة باستمرار .

ولكن الغوصات الألمانية خيبت آماله فهي لم تحمل إليه أية معونة إقتصادية أو عسكرية إلا مرة واحدة على مدى ستة أشهر كاملة ..

وحتى في هذه المرة لم تحمل إليه الغوصات الألمانية الشيء الكثير ، وكل ما قامت به هو أنها أغرقت أمام شواطئ مدينة السلوم باخرة كانت تابعة لقوات خفر السواحل المصرية .. وباخرة إنجليزية ..

ووقع الإنجليز الذين كانوا على ظهر الباخرة الإنجليزية أسرى ، وقامت الغوصات الألمانية بتسليمهم إلى نوري باشا ..

وكان نوري باشا يعتبر هؤلاء الأسرى عبئا ثقيلا عليه ، فلم يكن في وسعه توفير ما يكفيهم من أطعمة دون أن يجرم جنوده ونفسه من الطعام ..



وهكذا أخذت المصائب تتلاحق على نوري باشا بالدرجة التي جعلته يفكر أكثر من مرة في الانتحار في إطلاق الرصاص على نفسه !



ولكن مجموعة المتطوعين المصريين التي تعمل تحت قيادته هي المجموعة الوحيدة التي كان يملؤها الحماس والإخلاص والرغبة في متابعته حتى الموت ..

وأذكر من هؤلاء المصريين ضابطا مصريا هو المرحوم اليوزباشى سيد احمد أبو شادى ، وكان هذا الضابط المصرى يقول :

- اننا نعرف أننا سنخسر المعركة ، ولكن السلوم هو آخر بلد عند حدود مصر ، ولذلك فإننا نشعر أن لها حقا في دماننا ولذلك لن ننسحب منها من غير قتال بأى حال ..

وكان نوري باشا يعرف أن المصريين يشجعونه بدوافع وطنية وعاطفية ، بينما كان الضباط الأتراك يقفون منه دائما موقف الفتور ..

وكان في رأى هؤلاء الضباط الأتراك .. أن نوري باشا مندفع كثيرا في قراراته وان من واجبه أن يعملوا على فرملته عند اللزوم ..

كان هو القائد المسئول عن الجبهة ، وكان عليهم أن يتلقوا الأوامر منه .. وأن ينفذوها بلا مناقشة ..

ولم ينتظر نوري باشا .. وقرر أن يتحرك بقواته ..

وكان أن أصدر تعليماته بمجشد القوات .. قال للضباط : إن أمامهم ساعتين للتحرك على رأس قطاعاتهم في اتجاه منطقة اسمها « الحلفاية »

وكانت مفاجأة عندما لم يتحرك في الموعد المحدد أكثر من ١٤٠ مسلحا ..

تحركوا من غروب الشمس بقليل من منطقة هضبة السلوم .. وكان يبدو عليهم اليأس .. وخرجت معهم ، وكان الظلام دامسا ..

وكنت راكبا فرسا ، وأحمل معى كمية من التمر وبطانتين مربوطتين على السرج وكان سلاحى وراء ظهري ..

وتنازعتني عندما تحركت مع هذه القوة عاملان .. عامل يجذبني الى الموت على أنه هو

الشهادة في سبيل بلدى .. وعامل آخر كان يحذرنى من التضحية بنفسى وبشبابى  
بلا طائل .. وبلا فائدة ..

وفى منتصف الليل عسكرت قباتنا فى مكان لا أذكر اسمه بالضبط ..

وارسل نورى باشا إحدى الدوريات بقيادة ضابط اسمه تحسين لاكتشاف مواقع العدو  
التي كانت جميع التقارير تؤكد أنه قد تحرك للزحف فى اتجاه مدينة السلوم ..

وقبيل الفجر عاد الضابط تحسين ليبلغ نورى باشا بأن قوات العدو تتحرك على مسافة  
عدة كيلو مترات من الموقع الذى كنا نسكر فيه ..

وقال .. ان فى اعتقاده أن هذه القوات المعادية يمكن ان تصل الى مكاننا فى  
الصباح ..

وجاءت بعد ذلك تقارير أخرى تؤكد أن قوات العدو ليست بعيدة عن مكاننا .. وكان  
هذا يعنى أن علينا أن نستعد للدخول فى معركة مع قوات العدو ..

ولفت انتباهى حالة القلق التي انتابت نورى باشا بعد أن تأكدت له هذه التقارير ،  
فقد تغير وجهه ، واستولت عليه الهوم بالدرجة التي جعلته عصيبا للغاية ..

انه لم يكن يطبق حتى مجرد الكلام مع ضباطه .. ولكنى كنت الوحيد الذى استطاع أن  
يناقشه فى الموقف ..

وأذكر أنه جاء فى اثنان من الضباط الاتراك وكان أحدهما اسمه امين بك .. والثانى  
اسمه غالب بك .. ثم قالوا لى :

- ان نورى باشا يحبك وبنق فيك .. ونحن كضباط فى جيشه لا نستطيع أن نرده عما  
صمم عليه ، وانت ترى كيف بادر عدد من جنودنا الى الفرار ، وكل ما نخشاه أنه فى  
حالة ما اذا أصدر الينا أوامره بالاشتباك مع العدو فى الصباح ، فلن نجد معنا الا عددا  
قليلاً من الجنود ، فهل يمكن أن تقنعه بأن يأمر قواتنا بالانسحاب حتى نتجنب وقوع  
مجزرة بين قواتنا ومثل هذه المجزرة لا يمكن أن تفيد الوطن ..

قلت لهم : إننى سأبذل جهدى لإقناعه بوجهة نظرهم ، ثم توجهت الى نورى باشا  
لنناقشته فى الموضوع ..

ولم نكن في تلك الليلة قد ذقنا طعاما للنوم ، الى جانب ما كنا قد قاسيناه من شدة البرد ..

وأذكر أنني بحثت عن خادمي في الصباح ، فلم أجده ، ثم تبين لي .. أنه قد سرق واحدة من البطانيتين ، وبعض ما وجدته في خرجي من تمر ، وهرب ..

وكان هذا كافيا لأدرك ما صرنا إليه من انحطاط في روح قواتنا المعنوية .

المهم .. ذهبت الى نوري باشا .. ثم أخذت أحادثه بلطف ، ولفت انتباهي أنه كان يستمع الى بيئنا كان ينكش بعصاه في الرمال وهو لا يكاد ينظر الى ..

وكان نوري باشا قبل أن أتوجه اليه قد أصدر الاوامر الى القوة التي معنا حتى نستعد للقتال ..

كما كان قد قام بتحديد مواقع المدافع الرشاشة والمدفعية ..

وأثارتني حقيقة الموقف الذي كنا فيه ..

ان قواتنا لم تكن تزيد في الواقع على مائة مقاتل من المشاة بعد أن هرب عدد من الجنود أثناء الليل ..

ولم يكن معنا أية قوة من السوارى ، إلا أولئك الذين كان نوري باشا يرسل بهم بيننا وشمالا للكشف عن مواقع العدو ..

ولا أذكر كيف استطعت أن أنير إنتباه نوري باشا بالدرجة التي جعلته يصفى إلى ..

قلت له .. كم ساعة تظن أن المعركة يمكن أن تستمر بيننا وبين العدو؟ ..

قال ساخرا .. إنها لن تطول ، ويحتمل كثيرا أن نموت جميعا مع بداية المعركة أو أن تقوم قوات العدو بتطويقنا بعد أن نشتبك معها مدة قصيرة ..

ثم التفت ناحيتي وهو يقول :

عندى بعض الأخبار التي تقول أن قوات العدو تتحرك ومعها سيارات مصفحة في إتجاه هضبة السلوم وإنها الآن في طريقها للصعود إليها عن طريق الرابية ..

قلت له : إذن ما الفائدة من القتال؟ ..

قال : هذه هي المعركة الأخيرة لقواتنا ، وخير لنا أن نموت كراما وأسلحتنا في أيدينا من أن ينهبنا الأعراب ، وأن يشمت فينا زعماء السنوسيين ..

وحاولت أن أقول شيئا ، ولكن نوري باشا استطرده يقول لي وهو في أشد حالات الإنفال :

عندها سنلقى هوانا لا حد له .. وقد ينتهي الأمر بوقوعنا أسرى في أيدي الأعداء ..

قلت له : إن هذا هو اليأس من رحمة الله .. إنك منذ وقت قريب قدرت شجاعتي وقد وثقت بي أنا الذي وهبت نفسي للموت عندما خرجت من مصر ، وأنا قد هبأت نفسي لذلك ، ولذلك اذا أشرت عليك برأى فأرجو ألا تظنه نتيجة الرعب والخوف ..

واعتدل نوري باشا في مكانه : مما شجعتني لأن استطرده في حديثي وأنا أقول له : - أنا نفسي قد فكرت في موقفنا طويلا ، والشئ الذي لا أريد أن أتصوره أن يعرض الإنجليز أسلحتنا في شوارع القاهرة .. وأنت معها ..

ثم استطرده أقول له :

- ان كل ما أخشاه هو ان يقول الإنجليز .. هذه هي أسلحة الأتراك .. وهذا هو شقيق أنور باشا وزير الحربية التركية ، وقد جننا به أسيرا ..

وانتفض نوري باشا في مكانه ، وخاصة عندما قلت له :

- أنني لا أستطيع أن أتصور مبلغ اليأس الذي يمكن أن يصيب المصريين نتيجة للعملية الإنتحارية التي تفكر في القيام بها ، وفي اعتقادي أنك بهذه النهاية تكون قد سدوت إلى القضية التي تجاهد من أجلها طعنة قاتلة ..

قال نوري باشا : لن يحملوني إلى القاهرة لأنني سأنتحر قبل أن أسقط في أيدي الإنجليز ..

قالها بعنجهية وكبرياء .. وكنت على يقين بأن الإنتحار هو ما كان يراود تفكيره في تلك اللحظة ..

ولم أياس ، وبادرت أقول له :

- إنك تحشى على نفسك الهوان في داخل الأراضي الطرابلسية على أيدي الأعراب

وفي رأيي أننا إذا نجحنا في الوصول إلى هناك سالمين ، فإن في وسعنا أن نتدارك الموقف بإعادة تنظيم صفوفنا ..

كما قلت له :

- ألا يكون عندئذ أى أمل في أن نتصل بنا الغواصات الألمانية مرة أخرى لتحمل المال والأسلحة التي نحتاج إليها في دعم حركتنا ؟ .. أن عليك أن تفكر في هذا الاحتمال البعيد وأن تضعه في اعتبارك ..

وقلت له :

- إن الذي عمله الآن لا يليق بقائد شجاع مثلك ، لا سيما أنك شقيق لبطل الإسلام أنور باشا الذي قاد الحرب في منطقة برقة قبلك بعدة سنوات .. وكما تعرف لقد لاقى شقيقك في هذه الحرب الكثير من الأهوال ، وكان صلبا قويا في مواجهة كل ما صادفه من مكاره لا حد لها وقد خرج من الحرب بطلا بتاريخ حافل وأثار خالدة ..

وانتفض نوري باشا في مكانه وادركت أنني قد أصبت في نفسه بعض التردد ..

والتفت ناحيته فرأيت تارة يحكم جبهته بيده بقوة ، وتارة ينكس الأرض بعصاه بعصبية ..

وفجأة قام من مكانه ، ثم اتجه ناحية أحد مواقع المدفعية ، ثم أخذ يتطلع إليها ، ثم ابتعد بسرعة .. وكنت في تلك اللحظة أسير الى جواره محاولا تشجيعه على اتخاذ قرار خطير ضد إرادته ..

كان يريد أن يقود معركة أخيرة .. ثم ينتحر ..

وكنت من جانبي أحاول أن أهون عليه الامر حتى يعدل عن قراره ..

وتكلم الرجل وأخذ يقول لي :

- اسمع يا عبد الرحمن .. أنا أعرف أن الذي أوحى اليك بهذا الرأي هو إخلاصك ، ولكنني كاره لموقف الضباط الذين يعملون تحت قيادتي ، وكنت أتمنى أن أرى مصرعهم الواحد بعد الآخر ، وأنا مقتنع تماما بوجهة نظرك ، ولذلك اذهب اليهم وأخبرهم بالاستعداد للانسحاب قبل أن تدهننا قوات العدو ..

ولم أنتظر .. وبادرت بإبلاغ أوامر نوري باشا الجديدة للجميع ..

وكان أن أخذت قواتنا في الاستعداد للتراجع ، وهي في أشد حالات التعب والإجهاد من شدة الجوع وطول السهر ، حتى إذا ما تجمعت القوة كلها في المعسكر أعد لنا بسرعة طبق من اللحم والأرز ..

وبعد أن التهمناه صدرت إلينا الأوامر بالرحيل ..

ومع هذه الأوامر كلف نوري باشا أمين بك بأن يذهب مع قواته ليمسك في ناحية آبار سيدي عزيز وهي تبعد حوالي ٣٠ كيلو مترا في الغرب من السلوم ..

وأخذ نوري باشا فريقا من جنوده ، وما تبقى معنا من أعراب قبائل أولاد علي المصرية ثم اتجه الى مخازن الذخيرة حيث أمر بتجميل الجبال بما تستطيع حمله منها ، وما تبقى من هذه الذخائر قام بدفنه تحت الرمال ..

ولم يغادر المنطقة الا بعد أن أشعل النيران في كل ما خلفناه وراءنا في منطقة السلوم !



## عشنا عدة أشهر عند الساطي نتظر الفواصات الألمانية

سرنا في اتجاه الغرب في طريق كان أنور باشا قد قام بتمهيدته أثناء الحرب الإيطالية التركية في سنة ١٩١١ .. وهو الطريق الذي اشتهر فيما بعد باسم طريق أنور .. وكان علينا أن نتحرك طوال الليل حتى وصلنا إلى منطقة آبار سيدي عزيز لنقيم معسكرنا ..

وكان الإنهاك باديا على نوري باشا بالدرجة التي جعلته ينام على الأرض العراء وفي الصباح أمر نوري باشا بنحر ناقتين ليأكلهما الجنود مع التمر الذي كانوا يحملونه .. وفجأة سمعنا أزيز طائرة معادية ، وهي تحسوم عدة مرات فوق المعسكر الذي أقنناه بسرعة ..

ولما قفلت الطائرة راجعة التفت نوري باشا ناحيتي وهو يقول :

- لا استبعد أن يكون العدو قد عزم على تعقبنا في هذه الأرض السهلة ، بعد أن احتلت قواته السلوم ..

ثم أصدر تعليماته بأن نتحرك بسرعة ..

واضطر الجنود إلى حمل ما وزع عليهم من لحم على أن يطبخوه فيما بعد ..

وتحركت القوات حتى تبعد عن مكان الخطر ..

وتخلف نوري باشا ومعهم المرحوم الضابط المصري أبو شادي .. والمرحوم محمد بك الجبالي من أعيان درنة في طرابلس .. وأنا .. على أن نلحق بقواتنا بعد أن نتناول طعامنا ..

وبينما كان تابع نوري باشا يعد لنا طعامنا ، لمنا الغبار يرتفع الى أعلى في الهواء ..



وقفز نوري باشا من مكانه ، وهو يصيح :

انها خيول العدو ..

ثم التفت ناحيتي ، وهو يقول :

- اركب فرسك ، واتجه اليها لتكشف لنا عن الحقيقة ..

وبادرت بتنفيذ الامر الذي أصدره الى ، ولكني ما كدت أتقدم قليلا حتى رأيت عددا من سيارات العدو المصفحة وهي تندفع بسرعة في اتجاهنا ..

ولم أنتظر ، وبادرت بالعودة ، لأجد نوري باشا ومن معه ، وقد ركبوا خيولهم ، ثم اتجهوا بسرعة ناحية قافلة قواتنا التي كانت قد سبقتنا في الانسحاب ..

وعندما لحقت بنوري باشا عند الجبال التي كانت تحمل المدفعية ، سمعته وهو يناقش ضابط المدفعية - وكان اسمه توفيق - بمجدة ..

كان يأمر بانزال المدافع من فوق الجبال والاستعداد للقتال ..

وحاول الضابط أن يقول له شيئا ، فقد كان إنزال المدافع من فوق الجبال واعدادها للقتال يستلزم وقتا تكون فيه سيارات العدو قد وصلت الى مكاننا واستطاعت ان تجهز علينا جميعا بلا قتال ..

وكان هذا ما حدث بالضبط ، فبينما كان الجنود يزلون المدافع انهال علينا رصاص المدافع الرشاشة من سيارات العدو المدرعة ، ففر الجميع ، ولم يكن في وسعي إلا أن أهرب أنا أيضا مع الهاربين بينما كان الرصاص يلاحقنا وسيارات العدو المصفحة تطاردنا ..

واستطعت مع بعض الجنود أن نصل الى منطقة وعرة ساعدتنا كتمان الرمال فيها على الاختفاء بداخلها ...

كنا نريد أن نتواري عن عيون العدو ..

وبعد فترة من الوقت تمكنا من الخروج من منطقة نيران المدافع الرشاشة ...

وكان علينا أن نسير في اتجاه الغرب ، حتى وصلنا الى عين ماء لا اذكر اسمها الآن فزلنا عندها ...

وأرادت الصدفة الغريبة أن تصل أثناء الليل الى عين الماء قافلة كانت تحمل تمرا من الغرب ، ولم تكن القافلة تدرى شيئا مما كان يدور في المنطقة حولنا . فأكل الجنود من تمر القافلة .

وعند الفجر اجتمع الجنود الذين وصلوا الى عين الماء أثناء الليل ..

وحاولنا أن نعرف شيئا عن مصير نوري باشا ، ولكن أخباره كانت قد انقطعت تماما ..

وتصورنا أنه قد قتل في المعركة ...

ولم يكن في وسعنا أن ننتظر طويلا عند عين الماء ، ولذلك اعتبرنا كل من تخلف في اللحاق بنا عند عين الماء ، قد قتل ، أو وقع أسيرا ..

وبعدها تقرر أن نحرك بسرعة في اتجاه الغرب ..

وآثار انتباهي أن طريقنا في عملية الانسحاب الجسيمة كان في أرض قاحلة لا أثر للحياة فيها ..

كانت خالية تماما من البدو الذين ينتشرون في هذه المنطقة ، وكانت خالية أيضا من الحيوانات الصحراوية ، ولم يكن أمامنا الا ان نواصل السير غربا ، حتى عثرنا على منطقة تنتشر فيها بعض اكواخ البدو ...

وأسرعنا إلى هؤلاء البدو ونشترى منهم بعض الماشية ..

كنا في أشد حالات الجوع ، وقد بادرنا بنحر هذه الماشية ، ثم أخذنا في طهي لحمها ...

ولكن فجأة .. وقبل أن نتناول طعامنا ، سمعنا صوت أحد البدو ، وهو يصيح عند حافة الوادي :

- جاءكم الكراهد ..

وادررنا ما يعنى .. فقد كانت الكراهد هو الاسم الذى يطلقه الاعراب على العربات المصفحة ..

وتصوروا حالة الفزع والرعب التى أصابت نفوسنا لدرجة أن كل واحد منا أخذ يجرى متجها إلى ناحية فرسه ...

وأخذ الأعرابي يقهقه بأعلى صوته ، ولم يلبث ان صاح بنا :

- لا تخافوا .. فقد كنت أمزح معكم ..

ومما فهمته أن بعض البدو كانوا قد دبروا هذا المزاح السخيف حتى اذا ما أصابنا الفرع بادرنا بالهرب تاركين وراءنا الطعام حتى يأكلوه .. ولكن يبدو أنهم قد عدلوا في آخر لحظة عن حيلتهم فأوعزوا الى البدوي ان يقول انه مجرد مزاح ..

وهذه الحادثة على تفاهتها يمكن أن تكشف عن الحالة المعنوية السيئة التي وصلت إليها قواتنا ...

أكلنا .. وبعدها واصلنا السير حتى بلغنا بعد يومين منطقة اشتهرت باسم آبار عكرمة في جنوب مدينة طبرق ...

وفي هذه المنطقة سمعنا لأول مرة بنجاة نوري باشا ...

كما عرفنا أن إخواننا الذين إتجهوا إلى الشرق وإلى الشمال ، كانوا أحسن منا حظا لأن الذين ساروا في ناحية الشرق أصبحت مواقعهم خلف سيارات العدو المصفحة ، وبالتالي لم تتجه إليهم أنظار قوات الإنجليز ..

أما الذين عبروا طريق السيارات وإتجهوا نحو الشمال ، فقد صادفتهم بعض الأراضي الوعرة مما ساعد على عدم إكتشاف أمرهم ، لأن مثل هذه الأراضي لا تستطيع السيارات المصفحة أن تتحرك فيها ..



أقنا معسكرنا في منطقة « آبار عكرمة » ، وفي اليوم التالي وصل إلينا اليوزباشي محمد فهمي المصري ، وكان في حالة سيئة للغاية ..

وروي لنا الرجل ما حدث له .. قال أن نوري باشا كان قد بعث به في مهمة إلى السيد إدريس السنوسي في أجدابية على مسيرة ثلاثين يوما في الغرب من السلم ، إلا أن السيارات المصفحة الإنجليزية دهته بينما كان يسير في طريق أنور باشا متجها إلى الغرب ...

واستطاع الضابط الشجاع ، أن ينجو من السيارات الإنجليزية المصفحة بأعجوبة ، ولكن بعد أن فقد كل ما كان معه من الإبل والخيول ...

لقد اختبأ في مكان حصين الى أن مرت به السيارات المصفحة في اتجاه الغرب ، وكان عددها حوالى المائتين من المدرعات وحاملات الجنود ...

وكان واضحاً أن هذا الحشد الإنجليزي قد تحرك في طريقه إلى منطقة حكيم لإطلاق سراح الإنجليز الذين كنا نحتجزهم في هذه المنطقة ...

وفي آبار عكرمة عرفنا أن نوري باشا استطاع أن ينقذ بعض مدافعه الرشاشة ، وأنه تمكن من النجاة مع حوالى الخمسين مقاتلاً من جنوده وقد ظلت السيارات المصفحة الإنجليزية تلاحقه حتى وصل إلى مكان اسمه السهل في جبال دفنة غربي السلوم ... وفي هذا المكان قامت السيارات بالهجوم عليه مع جنوده ، إلا أنه استطاع أن يحكم الدفاع عن المنطقة ...

وتمكنت قواته من إصابة بعض السيارات المصفحة برصاص المدافع الرشاشة مما اضطر العدو أن يترك واحدة من هذه السيارات المعطلة على أرض المعركة ثم ينسحب ...

وفي نفس الوقت جاءت أخبار أخرى تقول .. إن قوات العدو قد وصلت إلى منطقة حكيم بسياراتها المصفحة كما تنبأ اليوزباشى محمد فهمى المصرى ، وأنها وجدت الأسرى في حراسة خمسة أوستة من الجنود . وكانت معهم عائلاتهم ، فقامت بقتل الجنود ، كما قتلت عدداً من النساء والأطفال ، وبعدها أخرجت قوات العدو الأسرى وعادت بهم إلى السلوم ...

وأكدت هذه الأخبار أن الجنود الذين كانوا مكلفين بحراسة الأسرى قد قاوموا حشد السيارات المصفحة ببسالة ، وأنهم أصابوا قوات الإنجليز بمخسائر فادحة ، مما كان سبباً في عملية الإبادة بالجملة التي قام بها العدو وذهب ضحيتها الجنود الذين كانوا مكلفين بحراسة الأسرى وعائلاتهم من نساء وأطفال ...

وكانت المذبحة رهيبة بحيث اضطر بعض الضباط الإنجليز من كانوا في الاسر - كما سمعنا فيما بعد - لأن يبدوا أسفهم لما وقع ...

وكان بعض هؤلاء الضباط قد حاولوا وقف المذبحة ، ولكن جهودهم باءت بالفشل ...

ولا أخفى سرا .. إذا قلت .. أن هؤلاء الأسرى كانوا دائماً مصدر المتاعب لنورى

باشا ، وأنه قد عمل كل ما في وسعه على توفير الطعام والراحة لهم ، ولما يسبب قلة موارده وظروف قواته الصعبة ، أرسل أحد معاونيه الأتراك ، وكان اسمه برتا توفيق إلى مرسى مطروح لمفاوضة الإنجليز في إرسال ما يلزم هؤلاء الأسرى من طعام ، ولكن مبعوث نوري باشا لم يعد إلا بعد قيام الإنجليز بالإفراج عن أسراهم بالقوة ..



وأخيرا وصل نوري باشا إلى طبرق .. وكان في أشد حالات الضيق والهاج على الضباط الأتراك ..

وجاء بعض هؤلاء الضباط لمصافحته بالنجاة إلا أنه رفض أن يمد يده إليهم .. وسمعت نوري باشا ، وكان يجلس فوق صندوق صغير من الخشب ، وهو يصف أمين بك والضباط الآخرين بألفاظ قاسية

كان يتهمهم بالجبن لأنهم تراجعوا إلى أبار عكرمة بالقرب من طبرق ..

ولما سألته : ماذا كنت تريد أن يفعلوا إذن ؟ ..

قال نوري باشا :

- كان عليهم أن يلتجئوا إلى منطقة سلسلة جبال دفنة في غرب الحدود المصرية .

وتلفت ناحيته ، وأنا في أشد حالات الدهشة ثم قلت له :

- وهل كان في وسعهم أن يصدوا في هذه المنطقة ؟

قال الباشا التركي ، وهو يضرب الأرض برجليه بنف :  
قال الباشا التركي ، وهو يضرب الأرض برجليه بنف :

- ان هذه المنطقة كانت تصلح لأن تصمد فيها قواتنا ضد العدو فترة أخرى من

الوقت ...

وسكت ولم أقل شيئا ..

وتصور نوري باشا أنني لم أقتنع بوجهة نظره فأخذ يصف لي تجربته عندما دهنته السيارات المصفحة الإنجليزية ، وهو يقول .. إنها الأرض الوعرة التي ساعدته على الوقوف في وجه هذه السيارات المصفحة ، ومنها استطاعت مدافعه الرشاشة أن تصيب عددا من هذه السيارات بالعطب وأن تعرقل تقدمها ..

كان حديثا مثيرا يتم عن حنكة نوري باشا العسكرية ، وقد ظللت إلى جواره أتحدث معه حتى تمكنت من التخفيف من حدة ثورته ..

ولما هدأت ثورته أخرج خريطة صغيرة كانت في جيبه ، ثم استدعى ضباطه الأتراك ، وأصدر إليهم تعليماته بإقامة مجموعة من النقاط العسكرية في المنطقة بين الحدود المصرية وطبرق ..

وبعد أن اطمأن على الموقف إصطحبني معه لتوجه إلى منطقة إسمها عيون جرابية ، وهي لا تبعد كثيرا عن منطقة السد عند الخليج البية ، في المنطقة ما بين طبرق ودرنة على شاطئ البحر الأبيض ...

وأدركت أن الأمل قد أخذ يروده من جديد في أن تعود الغواصات الألمانية للإتصال به ...



كان نوري باشا يخرج في كل يوم إلى شاطئ البحر وكنا نلوح بالرايات .. وأثناء الليل كنا نشعل نيرانا عالية على أمل أن ترى الغواصات الألمانية إشارات فتعاود الإتصال بنا ..

وتركزت آمالنا في تلك الأيام في أن تعاود هذه الغواصات الألمانية مدنا بالمال والذخائر والسلاح حتى تتمكن من إستئناف الحرب ..

وصحيح أن قواتنا كانت تنتشر على طول الشاطئ ، ولكن هذه القوات لم تكن تزيد على مائة ضابط وجندى ...

ولم يكن الإنجليز يعرفون هذه الحقيقة ، فقد تصوروا أن قواتنا لا تزال متماسكة وكان في تقدير رجال مخابراتهم في تلك الأيام .. أن قواتنا النظامية لا يمكن أن تقل عن ٥٠٠٠ مقاتل .. فضلا عن القوات الأخرى التي كانت تساندنا من متطوعين وبدو ...

وكانت هذه التقديرات هي السبب في توقف قواتهم عند السلوم وعدم محاولة التقدم لمطاردتنا ...

وقد بقينا في هذه المنطقة نحو أربعة أشهر كاملة وصلنا أثناءها إلى حالة مروعة من الفقر والجوع ..

وأنا نفسى كنت قد فقدت جملى بما يحمله من فراش وخيمة ولوازم أخرى فى منطقة  
سبى عزيز ...

كما ماتت فرسى الإستراية بعد مفادرتنا لمنطقة عكرمة ...

وكانت عندى فرس أخرى ، ولكنها كانت مصابة بجرح كبير فى ظهرها ، وقد ظلت  
تعانى من هذا الجرح فترة طويلة من الوقت ...

ولم يكن عندنا شعير حتى تأكله ، وكان أن هزلت هذه الفرس هزالا شديدا ...  
ولا أريد أن أقول .. أنهى لم أكن أملك من الملابس سوى بنطلون ( سوارى ) كنت  
أرتديه ليلا ونهارا مع قبص من الكاكى ...

أما ملابسى الداخلية ، فلم يكن عندى سوى طاقم واحد منها .. وكنت أدخلها مرة  
كل عدة أيام لأغسلها بنفسى ، وأصبحت عادى أن أنتظر حتى تجف ثم أعود لارتديها من  
جديد حتى تمزقت وتهللت وأصبحت فى حالة يرثى لها ..

وأكثر من ذلك كنت مفلسا تماما بعد أن نفذ كل ما كنت أحمله من مال ...

ولم يكن أمامى إلا أن أعيش على الجراية التى كانت تصرف لى فى كل يوم وكانت  
عبارة عن مقدار صغير من الأرز وقليل من الزيت والتمر ..

وكان نورى باشا يقوم بنفسه بتوزيع هذه الجراية اليومية علينا مما كان يقترضه من  
تجار البدو وبعض شيوخ القبائل ...



كانت أيام صعبة ، ومع ذلك لم نشعر فى أى يوم منها باليأس والمهانة ...

وبقينا نعيش على أمل أن يتم الاتصال بيننا وبين الغواصات الألمانية ...

وأذكر أننا كنا نقضى أوقات النهار فى صيد السمك ...

أما الليل فكنا نقضيه فى الضحك والسمر والتندر بالحالة التى أصبحنا عليها ...

وكان نورى باشا يشجعنا ، وهو يقول .. انه على يقين بأن الدولة العثمانية لن  
تسنانا ..

وابتكرنا فى تلك الايام طريقة جديدة لزيادة محصول السمك الذى كنا نصطاده

باستخدام ديناميت القنابل ، فقد كنا نفرغ إحدى دانات المدافع مما في داخلها من ديناميت ، ثم نقص هذا الديناميت ونقطعه الى أجزاء صغيرة وكنا نضع هذه الاجزاء داخل كيس من القماش ومعها فتيل ، ثم نشد الكيس من جميع أطرافه شدا قويا بجبل متين حتى نجعل منه قنبلة ...

وعند الشاطيء كنا نشعل الفتيل ثم نقذف بالقنبلة في الماء حتى اذا ما انفجرت سارعنا بالسباحة نحو مكان انفجارها ، ثم أخذنا نجتمع السمك الذى كان يموت بتأثير انفجار القنبلة في أكياس كنا نحملها معنا ...

وكثيرا ما كنا نرجع ومعنا كميات هائلة من السمك فنقضى الليل في شواته ...

ومع نجاح عمليات صيد السمك بالديناميت ، بدأنا تجارب أخرى لصيد الغزلان الصحراوية والارانب الجبلية ..

وكان نورى باشا ، وبعض الاعراب على جانب كبير من المهارة في صيد هذه الارانب ولا أعتقد أنه قد فشل مرة واحدة عندما كان يخرج للصيد في المناطق الصحراوية التي حولنا في أن يعود لنا بنصيب منها ..

شيء واحد .. كان ينقصنا ولم ننجح في توفيره .. هو الخبز ...

لقد افتقدناه لفترات طويلة ، وكنا في أشد حالات الاشتهاق لتذوق طعمه ، وقد حدث عندما أصيب واحد من زملائنا الضباط المصريين الذين كانوا معنا .. بالحمى ، وهو المرحوم عبد الحلیم حمدي ، أن أخذ يهدى باسم الخبز ...

ولم يكن يطلب شيئا غيره !





## الفصل التاسع

# أهد السنوسى الذهب وأرسله وتركنا نموت من الجوع

دامت تلك الحالة عدة أشهر .. واتهز الانجليز الفرصة ، وقاموا بالاتصال بالسيد ادريس السنوسى ، وكان قد تولى الاشراف على الاحوال فى منطقة برقة نيابة عن السيد أحمد الشريف السنوسى ..

قالوا له انهم على استعداد لفتح اسواق السلوم للاعراب الطرابلسيين ولكن بشرط أن يعمل على إبعاد نورى باشا ، والمقاتلين الذين معه من منطقة الحدود المصرية الليبية .  
ووافق السيد السنوسى على تنفيذ رغبة الانجليز ..

وكان أن بادر بالاتصال بنورى باشا ..

بعث إليه بوفد يتكون من الشهيد عمر المختار وخالد الحمدي وابراهيم المصراقى ..  
وجاء هذا الوفد الينا ليطلب أعضاؤه من نورى باشا الرحيل للقاء السيد ادريس فى المنطقة التى كان يعيش فيها ناحية إجدابية ..

وكان نورى باشا قد سمع من مصادره قبل وصول هذا الوفد الينا بعض الاخبار ..  
التى كانت تقول .. ان غواصة المانية قد ظهرت امام شاطئ منطقة اسمها العقيلة ..  
وهذه المنطقة تقع على مسيرة ٢٥ يوما فى المكان الذى كنا نسكن فيه عند خليج الجبة وأن هذه الغواصة قد قامت بتسليم السيد ادريس السنوسى مبالغ طائلة قدرت بحوالى ٣٠ ألف ليرة عثمانية ذهبية فضلا عن نحو ٤٠ ألف جنيه من الورق البنكنوت هذا فضلا عن تسليمه أيضا نحو مائتى بندقية وكميات من الملابس والحجام ..

واتهز نورى باشا فرصة وصول الوفد الذى بعث به إليه السيد ادريس السنوسى ليستفسر منه عن هذه الغواصة .. ولم تكن مفاجأة عندما أكدوا له صحة الاخبار التى سمعها عن الغواصة الالمانية ..

وكان هذا كافيا لأن يقرر نورى باشا تلبية دعوة السيد ادريس السنوسى ..

كانت آماله كلها في أن يعود الاتصال بينه وبين الدولة العثمانية . . .

وكان في تصوره أنه سيتمكن من ضم السيد ادريس السنوسى الى صفه . .

ولم ينتظر نورى باشا وبادر باصطحابى معه ، كما اصطحب أيضا المرحوم محمد بك أبو جبريل حتى يساعده في مهمته . . .



قررنا أن نسلك أقصر طريق إلى إجدابية وكان أن مررنا بمنطقة اسمها الخليل ، ثم قنا بالسير في طريق كانوا يطلقون عليه في تلك الأيام اسم طريق العبد في المنطقة التي تمتد في جنوب الجبل الأخضر . . .

أنه طريق ليس فيه نبات أو ماء الا أنه اقصر بكثير من الطريق الساحلى وقد ظللنا نقطع الطريق يوما بعد يوم في الأراضي الصحراوية التي كانت تمتد أمامنا دون أن تنتهى . . .

ومما يقال عن هذا الطريق . . أنه هو نفس الطريق الذي اتخذته القبائل العربية في صدر الاسلام عندما قامت بفتح المغرب ، وأنها أى القبائل العربية كانت تسلك هذا الطريق كلما أرادت إمداد جيوشها بسرعة من مصر . . .

كما قيل إنه كانت توجد على امتداد هذا الطريق صهاريج كبيرة تحت الأرض لحزن مياه الأمطار على طول فصول السنة ، ولكن يبدو أن كميات المياه قد قلت في بعض أنحاء هذه المنطقة ، كما أنها انعدمت تماما في أنحاء أخرى ، بحيث أصبحت هذه المنطقة على ما رأيناها من جدد وقفر . . .

وبعد عدة أيام وصلنا إلى جوار إحدى الآبار . .

كان الحر شديدا ، فقد كنا على ما أذكر في منتصف شهر أغسطس . .

ونزلت مع أحد الأعراب إلى هذه البئر لئلا ما فرغ من القرب التي كنا نحملها بالمياه . .

إن الماء هو حياة أى إنسان عندما يكون مسافرا في الصحراء ، والعتور على بئر في الطريق لا يدانيه بالنسبة لهذا الإنسان سوى عثوره على كنوز الأرض كلها . . .

وكنا قد استبشرنا عندما عثرنا على هذه البئر ، ولكن ما كدت أنزل إليها أنا وزميلي

الأعرابي، حتى وجدنا مفاجأة مؤلمة في انتظارنا...

رأينا جديا ميتا في مياه البئر وكانت تنبعث منه روائح كريهة جعلتنا نعاث الاقتراب من الماء...

والتفت زميلي الاعرابي ناحيتي ليسألني عما يفعل..

قلت له وأنا أشيح بوجهي عن منظر الجدى الميت:

- ليس أمامنا الا أن نغلا القرب بماء البئر..

ثم طلبت اليه الا يخبر أحدا من رجال القافلة بما عثرنا عليه في مياه البئر...

وكان في رأبي أن نحفظ هذا الماء كاحتياطي لما كنا نحمله من ماء على الاقربه إلا في الضرورة القصوى، وبعد أن تفرغ القرب الأخرى التي كنا قد ملأناها بالماء التنظيف عندما بدأنا رحلتنا في الصحراء...

ولا أذكر أن أحدا من رجال القافلة قد احتاج الماء الملوث، فقد مررنا ببئر أخرى في اليوم التالي، وقد عملت أنا وزميلي الاعرابي على تفريغ القرب التي كانت تحمل الماء الملوث وبعد أن غسلناها جيدا قنا بملئها بمياه البئر الجديدة

ولعل هذه القصة توحى بما كانت عليه حياتنا في الصحراء في تلك الأيام...



وبعد خمسة عشر يوما من السير المتواصل في الصحراء لاح لنا من بعيد معسكر إجدابية..

كان في سهل واسع يمتد تحت هضبة جبلية صغيرة...

وكان يتوسط المعسكر.. بيت كان السيد ادريس السنوسي قد قام ببنائه لنفسه..

وكما يقضى العرف والتقاليد عند السنوسيين توقفنا على مسافة من المعسكر، ثم أرسلنا مبعوثا يطلب الإذن لنا بالوصول الى المكان...

ومرت عدة ساعات.. عاد المبعوث يحمل إلينا الإذن بالدخول الى المعسكر عند الغروب..

وهناك خصص لنا بيت صغير مبنى من الطوب اللبن..

كان بيتنا متواضعا للغاية .. ولا أذكر أنني شاهدت في المنطقة أكثر من ثلاثة أو أربعة بيوت صغيرة ، وكانت كلها مبنية من الطوب اللبن ..  
وكان هناك أيضا عدة دكاكين والبيت الذي بناه السيد ادريس السنوسى ليعيش فيه ...

وعلى امتداد السهل ، كانت تنتشر أكواخ البدو وخيامهم ...



المهم .. توافد الأعراب من أتباع السيد ادريس السنوسى علينا لتحية نورى باشا والمرافقين له .

ولا أظن أن أحدا منهم كان يعرفنى فى تلك الأيام أو يعرف دورى ، إلى جوار نورى باشا ...

كنت مجرد واحد من المجاهدين الذين جاءوا إلى ليبيا للقتال ضد الإنجليز ...  
أما نورى باشا ومحمد بك أبو جبريل فقد كانا معروفين فى مختلف أنحاء ليبيا ...  
وفى المساء أرسل إلينا السيد ادريس السنوسى مع جماعة من أتباعه وعاء كبيرا من الزنك ، وقد امتلأ بالأرز المطبوخ وبه كمية كبيرة من اللحم ..

وفى صباح اليوم التالى .. أذن السيد ادريس السنوسى لنورى باشا وحده بمقابلته ...  
أما نحن ، فقد ظللنا أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام حتى أذن لنا بزيارته ..  
وشعرت بالألم والحزن بسبب تأخره فى الأذن لنا بمقابلته .. كنا ضيوفه ، ولم أكن أتصور أن نظل هكذا فى انتظار الأذن لنا بزيارته ...  
وكان فى رأبى .. أن فى ذلك تصغيرا من شأننا ...

وحدث عندما استدعانا لمقابلته ، أن قام باستقبالنا ، وهو واقف على قدميه ...  
وكان السيد ادريس السنوسى فى تلك الأيام شابا بدينا ، وكان يبدو جميل الملامح أسمر اللون ...

وفى بداية المقابلة تحدث الى المرحوم محمد بك أبو جبريل ، وبعدها اتجه بالحديث الى وهو يقول :

- كيف وجدت أجدابية يا عبد الرحمن؟ ..

قلت له بسرعة :

وجدتها قفراء .. ويبدو لي أن اسمها قد اشتق من الجذب .. فلم يرد السيد ادريس السنوسى على !

وأدرك المرحوم محمد بك أبو جبريل ان إجابتي لم تلق ارتياحا عند السيد السنوسى وهو يضغط على شفطيه محاولا إسكاتي ..

ولكننى استطردت أقول للسيد السنوسى :

- لقد سمعنا يا سيدى عن جهاد السنوسيين وإخلاصهم لله ولبلائهم .. فجننا من مصر متطوعين ، ونحن لا نطلب دنيا ، ولكى نموت فى سبيل الله ...

وهنا قال السيد ادريس ..

- إننا نحن السنوسيين نحب مصر .. ونحب أهلها وتعتبرهم إخواننا ونحن نتمنى لمصر وشباب مصر كل الخير ...

وسكت السيد ادريس عدة ثوان ، ثم رفع يديه ، وأخذ فى تلاوة الفاتحة ..

وأدركنا أن علينا أن نودعه ، ثم ننصرف ، لأن علامة الانصراف عند السنوسيين هى تلاوة الفاتحة ...

وأذكر أنه دعانا فى تلك الليلة مع نورى باشا لتناول طعام العشاء فى بيته ..

وكانت وليمة امتلأت بالارز واللحم ..

وكان إكرام السيد إدريس لنا فى تلك الليلة يفوق الوصف ! ..

\*\*\*

أخذ نورى باشا فى مفاوضة السيد ادريس فى مختلف الشئون ..

وكان حديثنا طويلا حول الأموال والأسلحة التى تسلمها من الغواصة الألمانية ...

وكان من رأى نورى باشا أن هذه الأموال والأسلحة تخص قواته وأنها مرسلة اليه من الدولة العثمانية ..

ولم يوافق السيد أدريس على هذا الرأي ورفض أن يسلم هذه الأموال والأسلحة الى نوري باشا .. ولكنه وافق بعد مناقشات طويلة على تسليمه ١٠٠٠ ليرة تركية من الورق حتى يتسنى له تسديد بعض ديوننا للتجار الذين كنا نتعامل معهم ..

وكان واضحا أن السيد ادريس قد استخدم هذه الأموال والأسلحة في الضغط علينا لاجبارنا على الانسحاب من المنطقة التي كنا نعسكر فيها عند خليج الجبة ...  
كان يعرف أن قواتنا تعيش في المنطقة التي كانت تحتلها وهي في أشد حالات السوء ...

كان الجنود في حالة جوع ، ولكن البدو كانوا يعرفون في نفس الوقت أن الدولة العثمانية لن تتخلى عن نوري باشا ، وأنها ستقوم بزيوده بكل ما كان يحتاج اليه أموال وذخائر ولذلك استمرت ثقتهم به ..

لقد التفوا حوله ، ولم يكن التجار يترددون في التعامل معه بالأجل على أن يسدد فيما بعد ..

وأسفر السيد ادريس السنوسي عما كان يراد تفكيكه بعد عدة أيام من وصولنا الى إجدابية عندما اقترح على نوري باشا أن يستدعى بقايا جنوده وضباطه للإقامة في المنطقة المجاورة له ..

قال له .. إنهم سينزلون ضيوفا عليه ، وأنه على استعداد لأن يتكفل بتكاليف معيشتهم ...

ووافق نوري باشا حتى ينقذ هؤلاء الجنود والضباط من حالة الجوع واليأس التي كانوا يعيشون فيها ...

وفي تصوري أن السيد ادريس السنوسي كان قد تعهد للإنجليز أن يطلب من نوري باشا الرجيل مع من معه من جنود وضباط ومتطوعين عن الأراضي الطرابلسية ، إلا أنه تردد كثيرا في تنفيذ تعهده للإنجليز ، فقد كان في نفس الوقت الذي يحاول فيه التفاهم مع الانجليز والايطاليين يعمل على مصالحة الاتراك ...

ولعل السيد ادريس قد أدرك أن مجرد اقتراحه على نوري باشا بالرجيل مع جنوده وضباطه ، ومن كان معه من المتطوعين يمكن أن يصبح وصمة تسيء الى سمعته بين أتباعه وبين الأعراب الطرابلسية ...

وبمعنى آخر.. وجد السيد ادريس السنوسى نفسه غير قادر على أن يقول لنورى باشا القائد التركى المسلم.. ارحل أنت ومن معك من المجاهدين فى سبيل الله عن أرض ليبيا العربية...

وكانت مشاعر البدو فى مختلف أنحاء ليبيا تمتلئ حقدا وكرهية للإيطاليين... الا أنهم كانوا فى نفس الوقت لا يريدون أن يدخلوا فى خصومة مباشرة مع الانجليز...

ولكن الموقف تطور بعد أن أصبح الانجليز والايطاليون حلفاء فى الحرب العالمية... ولم يكن فى وسع السيد ادريس السنوسى أن يتجاهل ما كان للدولة العثمانية من نفوذ كبير وسلطان معنوى على الشعب الليبى...



كانت تركيا لا تريد فى تلك الأيام ألا الحرب.. ولا أظن أن رسالة واحدة وصلت من الاستانة الى ليبيا الا كانت تطالب بالحرب.. ولكن البلاد كانت تعيش فى عوز شديد، وكان الفقر يجعلها تقرب بسرعة من أشجع صور المجاعة...

ولا أريد أن أقول.. إننا كنا نشاهد الأعراب وهم يتحركون فى منطقة إجدابية أثناء النهار، فكانوا يبدون أمام أنظارنا، وكأنهم أشباح قد خرجت من قبورها فى أكفان بالية..

وكان السيد ادريس فى أشد حالات الهيرة... إنه لم يكن يعرف ما الذى يستطيع أن يفعله، فقد كان بعض مستشاريه بدفعونه لمصالحة الانجليز والايطاليين والتخلى عن الاتراك...

وفى نفس الوقت كان يحذرونه من توجيه ضربة قاصمة للأتراك خوفا من إثارة غضب ابن عمه ورئيس عائلته السيد أحمد الشريف السنوسى..

وكانت إحدى الغواصات الالمانية قد نقلت السيد أحمد الشريف الى تركيا للحصول



على مساعدات من العثمانيين ، ولكنه بقي في الاستانة ولم يعد إلى ليبيا ! .  
وبالتالى لم يكن فى وسعنا أن نحكم على السيد ادريس السنوسى .. إن كان معنا  
أو علينا ...

\*\*\*

المهم .. عمل نورى باشا باقتراح السيد ادريس ، وكان أن أصدر تعليماته الى الضباط  
والجنود بالرحيل عن منطقة الجبة ، والتحرك غربا للاستقرار فى منطقة إجدابية ...  
وعندما وصلت قواتنا الى هذه المنطقة أقيم لها على عجل معسكر فى أقصى جنوب  
المنطقة الساحلية حتى يصبح فى معزل عن أكوخ الأهالى ...  
وخصص أحد البيوت لإقامة نورى باشا وضباطه ..  
وكان هذا البيت الى جوار قبر يقولون إنه لسحنون صاحب الامام مالك ...

## مباحثات سرية بين إدريس السنوسي والإنجليز

اشتدت المجاعة بين الناس فقد كانت الأراضي الطرابلسية محاصرة تماما ، فلم تكن طرق التجارة مفتوحة لامع مصر من ناحية الشرق ، ولا مع تونس من ناحية الغرب ، فقد كان الانجليز يسيطرون على مصر ويراقبون الحدود الشرقية .. وكان الفرنسيون يسيطرون على تونس ويراقبون الحدود الغربية ..

ويعنى آخر كانت الأراضي الطرابلسية تكاد تكون مطوقة ..

وكان الطريق البحري غير مأمون ، نتيجة للحصار الذي كانت تفرضه السفن الحربية الإيطالية على الشواطئ الليبية ..

وتوقفت في تلك الأيام القوافل التجارية التي كانت تربط ليبيا بأفريقيا والسودان عبر الصحراء .

وفكر نوري باشا في حل لمشكلة هذه المجاعة ..

قال .. أنه لاحظ أن أحد النباتات التي تنمو في الصحراء يعجب طعمه الأغنام وأن هذا النباتات يمكن استخدامه في غذاء الآدميين بدلا من القمح والشعير ..

إنه نبات يطلق عليه الأعراب إسم ( تراب الغنم ) .. وهو ينتج بذورا هشة تتفتح إذا ما بللت بالماء .. وهي في نفس الوقت بلا طعم ، أو مذاق وقد درج البدو على تغذية الأغنام بها لتسمينها ..

ولم ينتظر نوري باشا وبادر بإيقاد جماعة من الأعراب إلى منطقة قريبة من إجدابية لإحضار كمية منها .

وجاء الاعراب بالبذور لنقوم بطبخها ثم توزيعها على البدو بعد إضافة كمية قليلة من زيت الزيتون إليها .. !

وفي تلك الأيام بلغ ثمن أقة الأرز أكثر من ثلث جنيه ذهب ..

وقد درجت على الخروج وقت توزيع بذور تراب الغنم المطبوخة على البدو، وأنا أحمل في يدى كيسا ممتلئا بالنقود الصغيرة .. وكنت أعطى كل بائس قرشا مع كمية من البذور المطبوخة ..

ولكن ماذا يمكن أن يفيد مثل هذا القرش في بلد تفشت فيه المجاعة بدرجة قاتلة ؟ .

لا شيء .. وقد تبين لنا مع مرور الأيام أن بذور ( تراب الغنم ) المطبوخة تنفخ البطون ..

ولم يكن أمامنا إلا أن نتوقف عن توزيع هذه البذور حتى لا يتعرض الأهالي للمضاعفات .

وقررنا الاكتفاء بتوزيع القروش عليهم !



وطال انتظارنا ونحن نعاني أشد حالات الضيق والألم ..

إن آخر ما كنا نتصور هو الا تقوم الدولة العثمانية بأى اتصال معنا .

وطال انتظارنا ونحن نعاني أشد حالات الضيق والألم ..

وفي أحد الأيام جاءنا خبر كدنا نظيره له .. من الفرح .. قالوا لنا .. إن غواصة ظهرت أمام منطقة البريقة ، وهى نفس المنطقة التى تفجر فيها أجود أنواع البترول الليبي منذ عدة سنوات ..

وكلفنى نورى باشا بالتوجه إلى شاطئ البحر عند هذه المنطقة لمحاولة الاتصال بهذه الغواصة ..

وعرف السيد إدريس السنوسى بمهمنى ، فأصر على أن يوفد مبعوثا من عنده معى ، ورشح أحد رجاله وكان اسمه على العبيدى لهذه المهمة ..

المهم توجهت أنا والعبيدى الى منطقة الشاطئ التى قالت التقارير إن الغواصة قد ظهرت أمامها ..

ومرت عدة أيام دون أن تظهر الغواصة ..

ولا حظت أن على العبيدى يرسم مربعات على الرمال ، وأنه كان فى كل يوم يضع نواة تمر داخل أحد هذه المربعات ، وهو يقول :

- لن تأتى الفواصة اليوم !

إنها طريقة بدائية للتنبؤ عند الأعراب ، ويطلقون عليها اسم « النافرة » ..

وحدث فى اليوم السابع أو الثامن على ما أذكر أن وضع العبيدى نواة التمر فى أحد المربعات ثم قال :

- غدا تأتى الفواصة قطعاً ، وإلا كان ما يقوله الرمل كذبا فى كذب !

ومن الغريب أن الفواصة ظهرت فى اليوم التالى فعلاً ، وقد بأدرنا بإشمال نيران عالية حتى تتعرف الفواصة على مكاننا ، وبعد أن تبادلنا معها الاشارات الضوئية اطمأن قائدها إلينا واستقل أحد القوارب وجاء إلينا عند الشاطئ ..

كان من أشهر قواد الفواصات الالمان وكان على ما أذكر رجلاً قصيراً ، وكان صدره يمتلىء بالنياشين ، واسمه « فورسمان » ، وقد عرف أثناء الحرب العالمية الأولى باسم ذئب البحار لكثرة السفن الحربية والبواخر التى أغرقها بطوربيدات غواصته !!

المهم .. سرعان ما جاء نورى باشا الى الشاطئ حيث تسلّم هو ورسول السيد ادريس السنوسى ما جاءت به الفواصة من نفود وأسلحة وغيرها مما كنا نحتاج إليه فى حياتنا فى قلب الصحراء ..

وعندما رجعنا إلى اجدابية ، والفرح يملأ نفوسنا كان خبر وصول الفواصة قد انتشر فى كل مكان ..

ولا أريد أن أقول إن هذه الفواصة قد أعادت إلينا الروح ، فقد ارتفع شأننا فى أعين الأعراب والسنوسيين ..

وقد بادر نورى باشا بالاتفاق مع السيد ادريس على إقامة نظام إدرى ثابت للمنطقة ..

قال له : إنه قد حدد نقطة ثابتة للقاء مع الفواصات الالمانية عند شاطئ البحر ..

واتفق معه على أن يقوم بالإتفاق على الادارة الجديدة مما تحمله الفواصات الألمانية إلينا ..

ومع مرور الأيام استطعت أن أدعم علاقتي بالسيد ادريس السنوسى ، ولما كنت فى نفس الوقت موضع ثقة نورى باشا فقد أخذت ألب دورى فى السياسة العامة كرسول لنورى باشا وناصح للسيد ادريس السنوسى ! ..

\*\*\*

ولكن فجأة جاء إلينا أحد التقارير يقول : إنه وصل إلى منطقة الزيتية على شاطئ البحر وقد يضم عددا من الانجليز والإيطاليين .. وأن هذا الوفد يصطحب معه شابا مصريا اسمه أحمد حسنين أفندى .. وهو نفسه الذى أصبح فيما بعد أحمد حسنين باشا وعمل رئيسا للدبوان الملكى فترة من الوقت ..

وقال نفس هذا التقرير إنه جاء مع هذا الوفد السيد محمد الشريف الإدريسى وابنه السيد الميرغنى ، وهما من أشرف الصعيد ، وينتميان فى نفس الوقت لعائلة الإدريسى الذى كان أميراً لمنطقة عسير بالحجاز فى تلك الأيام ..

وأثار وصول الوفد شكوكنا ، فإن أحدا منا لم يكن يعرف شيئا عنه ..

وإزدادت هذه الشكوك عندما عرفنا أن الانجليز والإيطاليين قد بعثوا بهذا الوفد إلى الزيتية بناء على اتفاق سرى بينهم وبين السيد ادريس نفسه ..

ولما كانت إجداية تبعد عن شاطئ البحر مسيرة أربع أو خمس ساعات ، فقد انتقل إليها السيد ادريس السنوسى بنفسه !

\*\*\*

واستمرت المفاوضات بين السيد إدريس وبين أعضاء هذا الوفد أياما طويلة ..

ويحتمل كثيرا أننا كنا نشعر بالقلق والانزعاج لما يمكن أن تنتهى إليه هذه المفاوضات إلا أننا ظللنا على ثقتنا بالسيد ادريس ، وإن كان علينا فى نفس الوقت أن نكون على حذر من موقفه ..

وأثناء هذه المفاوضات سنحت لى الفرصة لزيارة الزيتية ..

وهناك التقيت بصديق أحمد حسنين رحمه الله وكانت تربطنى به صلة قديمة ..

كان مثلى فى ريعان الشباب ، وقد تحدثنا طويلا عن الحالة .. وكان هو الذى قام بتقديمى إلى رئيس الوفد الانجليزى ..

إننى لا أذكر اسمه وإن كنت أذكر اسم رئيس الوفد الايطالى .. وكان اسمه الكولونيل  
ديفيت ..

ولما كنت أريد أن أتعرف على ما يجرى وراء كواليس هذه المفاوضات السرية ، فقد  
كنت أقضى ساعات طويلة في كل يوم من الأيام التى قضيتها في الزويتية في السير على  
شاطئ البحر مع أعضاء البعثة الانجليزية .. أو مع صديق المرحوم أحمد حسنين  
( باشا ) ..

\*\*\*

وفي تلك الأيام كانت حالتى في ظاهرها كحالة أى جندى من الجنود الذين كانوا  
يقيمون في هذه المنطقة ..

الملابس من التيل الكاكي ، وليس لى هندام مقبول .. وكنت أشد حزاما حول  
وسطى ، وأحمل على كتفى بندقية ألمانية ، وكيسين معبأين بالرصاص .. وكنت أضع في  
قدمى أحد نعال البدو ، بينما كان يتدل من فوق رأسى قطعة من القماش الكاكي لتغطى  
قفائى من وهج أشعة الشمس !!

هكذا كان مظهرى أشبه بقاطع طريق منى بجندى نظامى !

وفي أحد الأيام أخذ أحمد حسنين ( باشا ) يتحدثنى بصراحة ، وكان على جانب كبير من  
الذكاء والكياسة ..

قال لى : إن الحالة التى أصبح عليها الموقف لا يمكن أن تنتهى وأنه يحسن بى أن أعود  
الى دراستى في جامعة لندن ..

كما قال لى : إنه على استعداد لتذليل كل الصعاب أمامى .. وأن فى وسعة أن يحصل  
لى عفو من السلطات الانجليزية ..

ولم يعجبني حديثه ، فبادرت أقول له :

- أنا خرجت من مصر لأموت أو أعود إليها كأحسن الفاتحين ، بعد أن نظرد الانجليز  
منها ..

قال الرجل ، وهو يكاد يصرخ فى أذنى :

- هذا هو المستحيل ، ولا فائدة من هذه المحاولات العقيمة !

قلت له بالحرف الواحد :

- لقد قاتلت قوة صغيرة منا قوات كبيرة من الانجليز ، ولو كان لنا في تلك المعركة أربعة أو خمسة آلاف جندي مدربين بما يلزمهم من أسلحة وذخائر وتجهيزات لكننا قد انتصرنا ولأمكننا أن نزحف على القاهرة لتحريرها !

قال : أنت مغرور .. ولا فائدة من نصحك ..

ثم سكت رحمه الله .. ورفض أن يواصل معي الحديث .

ولكني لم أكن مغرورا كما تصور فقد كان اعتقادي يقينا بأنه لو كان لنا أربعة أو خمسة آلاف جندي مزودون بالأسلحة والمهمات ولأمكننا تحرير نيل مصر ..

وكانت آمالي لا تزال قوية في أن تحمل الينا الغوصات كل ما يمكن أن نحتاج اليه من مهمات وذخائر لتجهيز قواتنا وتدريبها استعدادا للمعركة الفاصلة ضد قوات الانجليز التي تحتل بلادنا .

ولم أكن في تلك اللحظة قد أدركت أننا قد بلغنا فعلا درجة من البؤس بحيث لم يكن في وسعنا أن نصل الى منطقة الحدود المصرية مرة أخرى ؟



المهم .. طالت المفاوضات بين السيد إدريس والبريطانيين والايطالين .. وكانت سرية جدا ..

و شعرت مع مرور الوقت بأن وجودي في الزويتية غير مرغوب فيه ، وكان أن رجعت إلى إجدابية حيث قدمت لنورى باشا تقريرا عن ملاحظاتي حول هذه المفاوضات ..

وكان في رأيي .. أن السيد ادريس يسعى الى عمالة الانجليز والايطالين ، وان كان يعيش بمشاعره وقلبه في نفس الوقت معنا ..

ولم أكن أعرف في تلك اللحظة أنه كان يسعى للقيام بنفس الدور الذي قام به الشريف حسين في مكة في نفس الأيام ضد الأتراك !

وكان هذا يعني تطورا خطيرا في اتجاهات السيد ادريس السنوسي !

وقد اتضح لنا هذا التطور تماما بعد رجوع الوفدين الانجليزى والايطالى الى بلديهما .

فقد كان من السهل علينا أن ندرك أن التفاهم قد تم بين السيد ادريس والانجليز والاطالين ..

وتكشف أول أثر لهذا التفاهم على أثر عودته الى اجداية ، فقد بادر باعداد قائمة بأسماء المتلفين حول نوري باشا من الضباط والأعيان وشيوخ القبائل للتخلص منهم ..

وأراد السيد ادريس أن يشتت هؤلاء الأعوان . فأخذ يكلف كلا منهم مهمة بعيدة ..

وكلف نوري باشا في نفس الوقت بالاشراف على إنشاء خط للتليفون بين اجداية والخبلي على أن يكون مقره على ما أذكر في ناحية اسمها ( بئر المداح ) في قلب الصحراء ..

وكنت أنا الوحيد الذي لم يسند اليه السيد ادريس أى مهمة ، فقد أراد كما فهمت تكلفي بالأعمال الكتابية التي كان يحتاج إليها ..

ومع مرور الأيام تأكد لنا أن الانجليز والاطالين كانوا وراء هذا التخطيط الذي بدأ السيد ادريس في تنفيذه ..

وقيل .. إن الوفد الانجليزى كان قد طلب اليه المبادرة بالقبض على المتطوعين المصريين والعمل على تسليمهم الى السلطات الانجليزية في السلوم .. ولكنه رفض ..

وكنت أنا نفسى واحدا من هؤلاء المصريين الذين أراد الانجليز القبض عليهم ! ..

ومن الغريب .. أن السيد ادريس ، قد تصور أنه يستطيع أن يفرر بنورى باشا ، فقد أرسل اليه القائمة التي أعدها ، وكان مكتوبا أمام اسم كل واحد منها المهمة التي أراد له أن يقوم بها ..

وعندما عرفنا بتلك القائمة كان وقمها علينا شديدا ..

ولم ننتظر وبادرتنا بمقد اجتماع تبادلنا فيه الرأى ، وبعدها قررنا عدم تنفيذ تعليمات السيد ادريس ..

وفي نفس الوقت أخذنا في تحصين البيت الذي كان يسكن فيه نوري باشا مع ضباطه بعد أن أخذنا بداخله كميات كبيرة من الذخائر والمؤن استعدادا للمقاومة ..

وذهبت أثناء الليل لمقابلة السيد ادريس السنوسى ، حيث أبلغته قرار نوري باشا .



ومن معه بالبقاء في إجدابية .. وأوضحت له مخاوفي بما قد يسفر عنه هذا الموقف المفاجئ ..

وأثار انتباهي أن السيد ادريس لم يتصلب في موقفه ..

قال : اذن نرجى الموضوع . على أن يتم تنفيذ القرار على مراحل .. وبالتدرج ..

وأظن أن بعض زعماء قبائل القواوير اللبية كان لهم أثر في تهدئة الموقف الذي تأزم فجأة بين نوري باشا وأعوانه من ناحية وبين السيد ادريس السنوسي من ناحية أخرى في تلك الأيام .. !



بقينا على حالتنا في إجدابية ننتظر ما يمكن أن يفعله القدر بنا ..

وفي تلك الأيام انزلت غواصة ألمانية بارونا ألمانيا اسمه البارون فون تاودن مورد على شاطئ البحر .

وكان هذا البارون يصطحب معه ترجمانا ويحمل هدايا ثمينة من الامبراطور غليوم امبراطور ألمانيا إلى السيد ادريس وعائلته السنوسية ..

ولما وصل رسول الامبراطور إلى إجدابية التقى بنوري باشا وأخبره بأن الغواصة قامت بانزال الشيخ سليمان الباروني باشا عند شاطئ البحر في مصراته ، وأنها انزلت معه بعض الأموال والذخائر ومدفعين من النوع الذي يمكن استخدامه في الحرب ضد المصفحات !

والشيخ سليمان الباروني .. كان عضوا في مجلس الأعيان العثماني .. وكان في نفس الوقت زعيما لطائفة الأهاضية ..

ومع تقديم الهدايا إلى السيد ادريس ارتفع شأننا مرة أخرى .. وعادت العلاقات بين الدولة العثمانية والسيد ادريس ، وإن ظلت حالة المجاعة كما هي فقد كانت المبالغ التي جاءت بها الغواصة محدودة ، ولم تكن تكفي لانقاذ الحالة الاقتصادية في البلاد ..

وفي نفس الوقت كانت أسعار السلع الضرورية قد ارتفعت بصورة خيالية لصعوبة الحصول عليها ولشدة الحصار الذي كان الانجليز والايطاليون والفرنسيون يفرضونه على أراضي ليبيا ..

وهذا الحصار هو الذي كان يهددنا دائما بالخطر !!

## موطة لاسلكى ألمانيا فى جوف الصحراء !

وهنا يجب أن أقف قليلا أمام قصة الاستعمار البريطانى والىطالى فى ليبيا ..

ان ايطاليا ظلت تمهد لغزو ليبيا منذ أواخر القرن التاسع عشر ..

وكان أن أوفدت إليها مجموعة من البعثات التبشيرية التى بدأت بفتح المدارس المجانية وإقامة المستشفيات والملاجئ الصحية ..

إنها لم تكن بعثات تبشيرية بالمعنى الصحيح بقدر ما كان عملها الأساسى هو دراسة الأرض ورسم الخرائط استعدادا للغزو ..

وفى سنة ١٩٠٥ أنشأت ايطاليا فى ليبيا فرعا لبنك روما ..

وكانت مهمة هذا البنك أن يقوم باغتصاب الأراضى الزراعية بنفس الأساليب التى كانت البنوك الأجنبية تستخدمها فى مصر لاغتصاب الأراضى الزراعية ..

كان عليه أن يقرض أصحاب الأراضى .. ثم يسلب هذه الأراضى منهم ..

وفى نفس الوقت أخذت الصحافة الإيطالية تمهد للغزو المسلح بالتحدث عن أهمية مشروعات الإصلاح فى ليبيا بعد فشل الادارة العثمانية ..

وكانت تتحدث عن أهمية استغلال ثروة ليبيا المعدنية والزراعية ..

وتأثر الشعب الإيطالى بما كانت تنشره الصحف الإيطالية عن ليبيا ، بحيث أصبح الإيطاليون ينظرون إليها على أنها أرض الميعاد ..

وتغنى الشعراء الإيطاليون بجمال ليبيا ، وانتشرت فى تلك الأيام أغنية ( تريبو ليتانيا بيلا ) أى ( طرابلس الجميلة ) ..

وأخذت ايطاليا فى نفس الوقت تمهد لغزو ليبيا بالتقرب إلى فرنسا ..

وكان ان اعترفت ايطاليا رسميا فى سنة ١٨٩٦ بالحماية الفرنسية على تونس ..

وأهم من ذلك عقدت إيطاليا مع فرنسا معاهدة لتنظيم الملاحة التجارية في البحر الأبيض ، ثم عقدت معها معاهدة أخرى في سنة ١٩٠٠ توافق فيها فرنسا على اطلاق يد إيطاليا في ليبيا ..

وهذه المعاهدة جددت في سنة ١٩٠٢ ..

وأدركت الدولة العثمانية الخطر الذي يهدد ليبيا ، فبادرت بتعزيز قواتها في ليبيا إلا أنها ما لبثت أن سحبت بعض هذه القوات لاستخدامها في قمع الثورة التي نشبت في تلك الأيام في اليمن ..

ومرت عدة سنوات ، ثم أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا في يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ ، وكانت حجتها أن تركيا تقوم بتعزيز قواتها في ليبيا ..

ولما كانت القوات العثمانية الموجودة في ليبيا في تلك الأيام تعاني من الوهن والضعف وعدم الاستعداد للحرب ، فقد وقع عب' مقاومة الغزاة الإيطاليين على الشعب الليبي وحده ..

وكانت معارك حامية خسر فيها الإيطاليون الآلاف من جنودهم ، حتى إذا ما اندلعت الحرب البلقانية - التي تركت دراسى في لندن لأشراك المجاهدين المسلمين القتال فيها - اضطرت تركيا لأن تعقد صلحها المشهور مع إيطاليا .. وتم توقيع اتفاقية ذلك الصلح في ( أوشى ) في شهر أكتوبر سنة ١٩١٢ ..

وكان هذا الصلح بمثابة تسليم ليبيا من الدولة العثمانية إلى الإيطاليين ، وان كان الأتراك قد اعترفوا في اتفاقية الصلح باستقلال الشعب الليبي استقلالاً داخلياً .. وبحقهم في تعيين نائب للسلطان في ليبيا على أن تكون مدة تعيينه خمس سنوات ، وأن يتقاضى راتبه ، هو ومن معه من موظفين من خزانة ليبيا .

وحقهم أيضاً في تعيين قاض شرعى على أن يتقاضى راتبه من خزانة الدولة التركية في استانبول !



والثابت تاريخياً أيضاً أن أنور باشا وزير الحربية العثمانية ، قد قام على أثر توقيع هذه الاتفاقية بزيارة السيد أحمد الشريف السنوسى ، في واحة جغبوب التي كان يقيم فيها وأنه قد حمل اليه رسالة من السلطان العثماني يسند فيها أمر الأمة الليبية اليه ..

وعرفت ايطاليا بزيارة أنور باشا فأخذت تتحرك بسرعة . وكان أن أصدر ملك ايطاليا منشورا لأهل ليبيا يؤكد لهم خضوعهم التام للسيادة الايطالية ، ويعددهم فيه بالمحافظة على الشعائر الدينية مع السماح لهم بالدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة باعتباره خليفة للمسلمين في تلك الأيام ..

ورد شعب ليبيا على منشور ملك ايطاليا بأعلان الجهاد والحرب على الايطاليين ! .

وكانت معارك أبلى فيها المجاهدون بلاء حسنا ، وهم يذودون عن أرض وطنهم ..

وأصيب الايطاليون بمخسائر فادحة ، بحيث أخذت ايطاليا تسعى للسلام ..

وكان أن لجأت إلى بعض أصدقاء السيد أحمد الشريف السنوسي لاقتاعه بالصلح

ومن هؤلاء المجديو عباس حلمي الذي أوفد في سنة ١٩١٣ مبعوثا خاصا للسيد أحمد

الشريف السنوسي في الجبل الأخضر للتوسط بينه وبين الايطاليين ..

ولم تفلح تلك الوساطة في عقد الصلح بين المجاهدين الليبيين وايطاليا ..

ولما قامت الحرب العالمية الأولى أرادت تركيا وألمانيا أن تفتحا جبهة غربية في الأراضي

الليبية لتخفيف الضغط على الجبهة الشرقية في سيناء ، على أثر قيام القوات التركية

بمهاجمة قناة السويس .. وكان ان كتب أنور باشا وزير الحربية العثمانية رسالة إلى السيد

أحمد الشريف السنوسي يطلب اليه فيها أن تقوم قوات المجاهدين الليبيين بمناوشة الانجليز

في السلموم .. وابلغه ان شقيقه ( نوري باشا ) قد اسندت اليه قيادة هذه الجبهة الغربية

المجديدة .

والثابت تاريخيا .. ان السيد أحمد الشريف السنوسي لم يكن موافقا على مواجهة

قوات الانجليز ، الا أن معارضته لم تستمر طويلا على أثر احتلال قوات المجاهدين الليبيين

لمدينتي السلموم ومرسى مطروح في سنة ١٩١٥ .

ومما سمعته في تلك الأيام .. أن السلطات الانجليزية طلبت إلى السلطان حسين كامل ان

يتوسط لدى السيد أحمد الشريف السنوسي لاقتاعه بعدم التورط في مشروعات الأتراك

والألمان ، وأن يطلب إليه التزام الحياد ..

وتنفيذا لرغبة السلطات الانجليزية ، أوفد السلطان حسين وفدا خاصا إلى ليبيا يحمل

ثلاث رسائل إلى السيد أحمد الشريف السنوسي .. وكانت واحدة منها من السلطان

حسين كامل .. وكانت الثانية من مكاهون .. أما الثالثة فكانت من الجنرال ماكسويل قائد جيش الاحتلال البريطاني في مصر ..

وفي تلك الأيام كانت ليبيا كلها تلتف حول السيد أحمد الشريف السنوسي نائب السلطان العثماني بمقتضى فرمان السلطان الذي حمله اليه ( أنور باشا ) وزير الحربية العثمانية عندما قام بزيارته في جغبوب ..

ولا أريد أن أقول انى وصلت إلى ليبيا في تلك الفترة الحاسمة في تاريخ الصراع بين القوى العالمية التي جرفها الصدام في الحرب العالمية الأولى ..

وكانت مفاجأة عندما قرر السيد أحمد الشريف السنوسي أن يعتزل ليخلفه ابن أخيه السيد ادريس السنوسي ..

وعلى أثر اعتزاله قامت غواصة المانية بحمله من شواطئ ليبيا إلى الآستانة ليعيش في ضيافة الدولة العثمانية .

وعندما اتخذ السيد ادريس السنوسي اجداية مقرا له كان أول ما فعله هو أن طلب من نوري باشا مغادرة البلاد ..

وأرادت الدولة العثمانية أن تدعم مركزها في ليبيا ، فقامت في أواخر سنة ١٩١٦ بتعيين سليمان الباروني عضواً بمجلس الأعيان العثماني واليا وقومنداناً للبيبا .. وكان العثمانيون يطلقون عليها اسم ولايات طرابلس الغرب ..



المهم .. سافر أحمد الشريف السنوسي إلى الآستانة ليعيش فيها وترك وراءه واحداً من أشقائه ، وهو السيد هلال السنوسي ..

كان رجلاً من خيرة المجاهدين ، وكان هو الذي حمل المترددين من السنوسية على اجتياز الحدود المصرية لمحاربة الانجليز ..

وعندما استقر بنا الحال في اجداية التي اتخذها السيد ادريس السنوسي مركزاً له ، لم يدخر السيد هلال السنوسي جهداً في مساندتنا والوقوف إلى جانبنا ..

وكانت تربط الرجل صلة نسب ببيت اسمه ( القبارة ) .. وهو واحد من البيوت الكبيرة في قبيلة ( القواير ) التي اشتهرت بضراوتها وقوة نفوذها في المنطقة حول اجداية ..

واستطاع الرجل بنفوذه أن يجذب هذه القبيلة للوقوف إلى جانبنا في مواجهة المؤامرات التي كنا نتعرض لها في كل يوم ..

وعرف السيد ادريس السنوسى بموقفه معنا فعمل على إبعاده عن اجدابية ..

وكان ان كلفه بهمة في واحدة ( جالو ) في أقصى جنوب الصحراء الليبية وطلب اليه أن يقيم فيها ..

وأراد الرجل اكرامى عند سفره ، فأهداني حصانه ..

كان حصانا أحمر اللون ، وقد أعجبت به كثيرا ، ولكننى لم ألبث أن شعرت بأن هذا الحصان قد أصبح حملا ثقيلا على ..

كنت عاجزا تماما عن إطعامه ..

ولم يكن فى وسعنى فى نفس الوقت أن أتخلص منه باعتباره هدية من السيد هلال السنوسى شقيق السيد أحمد الشريف السنوسى ..

ولم يتقذى من ورطتى .. سوى مهمة كلفت بها للسفر مع البارون الألمانى إلى واحدة جالو للبحث عن مكان مناسب لإقامة محطة لاسلكية المانية فى قلب الصحراء ..

وكانت مهمتى .. أن أرافق البارون الألمانى فى هذه الرحلة وأن أساعده فى التفاهم مع شيوخ القبائل وأعيانها فى المنطقة ..

وكانت فرصة مناسبة لى حتى أتخلى من الجواد الذى لم يكن فى وسعنى التخلص منه ..



أعددنا بسرعة قافلة من الجبال لحمل زادنا وأمتعتنا وقرب الماء ..

وجاء برفقتنا ترجمان البارون الذى أنزلته معه الغواصة الألمانية .. وكان كما فهمت شابا مسلما من مواليد جزيرة كريت ..

وأذكر أننا بدأنا رحلتنا من إجدابية عند غروب الشمس ..

وتصور البارون .. أننا سنواصل رحلتنا طوال الليل .. ولذلك كم كانت دهشته عندما أمرت بتوقف القافلة بعد نصف ساعة من سيرها للمبيت على مقربة من المنطقة التى تحركنا من عندها ..

ولما سألتني عن السبب في توقف القافلة عن السير، أفهمته أنها عادة البدو.. وخاصة إذا كانوا في سفر طويل..

قلت له : انهم يعملون دائما على أن تكون أولى مراحل الرحلة قصيرة حتى يتسنى لهم البيت في مكان قريب ليتذكر كل واحد منهم بطريقة عملية ما قد يكون قد نسى حمله وليسهل عليهم تدارك ما فاتهم ، وهم على مقربة من أهاليهم .. ثم يصحبوا مبكرين ليتسأنفوا رحلتهم الطويلة ..

ويطلق البدو على أول محطة للمبيت .. اسم ( التنجيزة ) !

ولا أعرف لماذا لم يعجب هذا التفسير البارون الألماني ..

أخذ يتبرم وهو يقول .. ان في ذلك مضيعة للوقت ..

وتحركنا في ساعة مبكرة من الصباح .. واستمر سيرنا حتى الظهر، وعندما أمرت بتوقف القافلة .. ازداد تبرمه ..

وكانت المنطقة تمتلئ بالكأ .. وكانت فرصة مناسبة لأن نطلق الابل حتى ترعى .

وقد بقينا في مكاننا حتى إذا ما اقتربت الشمس من الغروب ، أمرت برفع أحمالنا ومواصلة الرحلة أثناء الليل ..

وبعد قليل صادفنا شيئا من الكأ فنزلنا مرة أخرى حيث أطلقنا الابل لترعى وكان علينا أن نمضي الليلة في هذه المنطقة ، وبعدها واصلنا رحلتنا حتى وصلنا إلى بئر يطلقون عليها اسم بئر ( الحسيات ) وهذه البئر ماؤها مالح ، وان كانت تصلح لسق الابل ..

وهكذا ظللنا نسير تارة ، ونحط تارة أخرى واضعين في اعتبارنا مصلحة الابل قبل كل شيء ..

وكنت أرى علامات التبرم والغيظ على ملامح البارون كلما وجدنا نتوقف أثناء الرحلة ، فكنت أبتسم ولا أقول شيئا ..

وأخذت شكوى البارون تتزايد من سيرنا بغير نظام وبلا مواعيد محددة .. أي بلا جدول زمني ثابت لمراحل التوقف والسير في الرحلة ..

وتصور البارون أنني سبب هذه الفوضى فأخذ يلاحقني بنظراته ، وهو في أشد حالات الغيظ ..

وحدث. عندما وصلنا إلى بئر أخرى اسمها بئر الرسم وهي بئر أشد ملوحة من بئر الحسيات أن فقد البارون سيطرته على أعصابه بمجرد أن سمعنى أصدر التعليقات بتوقف القافلة عند البئر..

قال لى بعجرفة متناهية.. انه يرفض الانصياع لتعليقاتى.. وطلب عدم توقف القافلة إلا فى ساعة معينة.. لا أذكرها بالضبط..

وحاولت اقناع البارون، ولكنه أصر على رأيه، ورفض أن يقتنع..

ولم يكن فى وسعنى إلا أن أطاوعه على رأيه.. حتى إذا ما حان الموعد الذى أصر عليه تطلعت إليه.. وأنا أقول له.. للأسف لا يصلح هذا المكان لكى ترعى فيه الحيوانات!

وحاولت إفهامه خطأ تفكيره، ولكنه كان متعجرفا للغاية. وقد فوجئت به يقول لى:

- أنا قومندان هذه القافلة، وعليك أن تتبع أوامرى..

وطبعاً لم أعبأ له.. وان كنت قد قلت له:

- اسمع.. لو كنت أريد أن أخضع لأمثالك لما رأيتنى فى هذه الحال، وما كنت أتور على الانجليز فى القاهرة لأطيعك أنت فى هذه الصحراء الجرداء، وقد جردت نفسى من كل شئ! إلا عزة نفسى!

ولا أظن أننى تفوهت معه بعد ذلك بكلمة واحدة لمدة يومين كاملين!



وأثارت أحاديث البدو الذين كانوا معنا انتباهى.. فقد كانوا يتطلعون إلى ما كان يمكن أن يوزعه عليهم البارون الألمانى من هدايا وهبات وكان من السهل عليهم أن يعرفوا مدى جهله بأحوال الصحراء بينما كنت على العكس منه أبدو شديد العطف عليهم وعلى الابل..

كنت أعرف ان الجمال عند البدو حيوان مقدس ومحجوب.. وأثناء الرحلة رأيت أكثر من مرة صاحب أحد الجمال، وهو ينزل ابنه الصغير من فوق الجمال، ويقول له!

- سر على قدميك. أليس هذا الحيوان من لحم ودم!

وكانت الجمال مستأجرة من أصحابها الذين جاءوا معنا لقيادتها، فلما وثقت من



طاعتهم لى ، تركت البارون على ما كان عليه من عنجهية ، وكان يركب فوق هجينه ، ويتقدم القافلة بعدة مئات من الأمتار . . وعندما وصلنا إلى منطقة تنتشر فيها المراعى التى تثير لعاب الحيوان وأصحابه ، أمرت بتوقف القافلة والنزول فى الأرض . .

ونظر البارون خلفه ليجد أننا قد حططنا رحالنا ، وأخذنا نشعل النار لاعداد الطعام بينما كانت الابل ترعى فى المنطقة التى حولنا . .

ولم يتالك البارون نفسه ، فنار وأزيد ، ثم أرسل ترجمانه الينا ليأمرنا باستئناف السير . . والتف البدو حولى ليسألونى رأىى . فقلت لهم :

- اننى أتحمل كل المسئولية أمام السيد ادريس السنوسى . . أما هذا الرجل الرومى ، فهو لا يعرف شيئاً عن طبيعة الحياة فى الصحراء . .

والرومى . . هو الاسم الذى كان البدو يطلقونه على أى أجنبى يصادفونه مها كانت جنسيته . .

ولما عاد الترجمان إلى البارون ليخبره باصرارنا على التوقف فى تلك المنطقة التى تنتشر فيها المراعى ، غضب جدا ، ورجع إلينا ساخطاً . .

وكان صبرى أنا أيضا قد نفذ ، فلم أتمالك نفسى ، وبادرت أقول له :

- يجب أن تعرف تماما انك فى هذه الرحلة تحت إمرتى . . إن المسألة ليس فيها كسل أو فوضى كما تتصور . . ولكننى وحدى الذى استطع أن أقدر ما يمكن عمله . .

ولما قام مترجمه بنقل كلامى اليه حاول أن يقول شيئاً ، وكان فى أشد حالات الهياج ، ولم انتظر وبادرت أقول له :

- إذا كنت تريد سلامتك فى هذه الرحلة فعليك أن تخضع لأوامرى حتى نعود من رحلتنا . .

واضطر البارون إلى السكوت على مضض !



هدأت العاصفة بين البارون وبينى فترة من الوقت ، وان بقيت على اصرارى فى نفس الوقت على تلقينه درساً لا ينساه حتى يخفف من عنجهيته .

وقد ظلمت أحمين الفرصة حتى وصلت القافلة إلى منطقة يطلقون عليها اسم ( بئر مرق ) .. وكنا قد سرنا لمدة خمسة أيام من إجدابية في قفر مجذب - معطش .. وكان الصيف شديد الحر ..

ومع وصولنا إلى تلك المنطقة استطلعت رأى البدو ..

قلت لهم : ماذا لو سرنا شطرا من النهار والليل كله ، وبعض اليوم التالى فى رحلة واحدة حتى نصل إلى واحة ( أوجله ) ..

وهذه الواحة يعرفها الأعراب ويطلقون عليها اسم ( الجنة ) ، فقد اشتهرت بالظلال والمياه العذبة ، وبالتمر الوفير ..

وأخذت أشوق البدو الذين يسوقون الابل وأنا أشحذ عزيمتهم حتى وافقوا على رأىي ..

كانت مباراة بينى وبين البارون المتعجرف ..

وكنت أريده أن يعرف اننى استطيع الاستمرار فى ركوب الابل طول هذه المسافة وهو لا يستطيع ذلك ..

وأذكر أننا تناولنا عشاءنا فى منطقة ( بئر مرق ) وبعدها تحركنا لنسير معظم الليل ، ولم يكن البارون يدرى ما يدور فى خاطرى ..

وعند أواخر الليل نزلنا قليلا ، وبعدها استأنفنا التحرك بالقافلة طول الليل حتى صباح اليوم التالى ..

وقبل الظهر وصلنا إلى واحة ( أوجلة ) .. فلما حططنا رحالنا تلفت ناحية البارون لأراه فى حالة يرثى لها من شدة التعب والاجهاد ..

ولا أريد أن أقول .. اننى رثيت لحاله عندما أخبرنى الترجمان بأن فخذى البارون قد أصيبتنا بالتسلخ من طول ركوبه فوق المهجين

واتتهزت الفرصة وتوجهت إلى البارون لأقول له وأنا ابتسم :

- إن أحوال الصحراء غريبة ، فهى التى تنفذ إرادتها ، ولا سبيل للناس فى تحكيم ارادتهم فيها . فهم مضطرون أن يزلوا حيث يوجد الماء والكلأ ، وأن يشدوا رحالهم

وينهكوا أنفسهم ، حيث تقسو عليهم الطبيعة ..

وتهالك الرجل في مكانه .. وكان واضحا أنه قد بدأ يستسلم لقدره ..

واتهزت الفرصة ، وقت بتسلى نخلة كانت إلى جوارنا ..

كان التمر يتدلى منها مما يثير اللعاب لالتهامه ..

وقد قت باقتطاف كمية من هذا التمر ، ثم قدمته إلى البارون كهدية متواضعة في قلب الصحراء .

وتغيرت أسارير الرجل وهو يتقبل هديتي .. ثم أعطاني بعض السجائر الفاخرة ..

وكان الصلح بيني وبين البارون !

\*\*\*

وواحة أوجلة تقع في قلب الأراضى الصحراوية الجرداء التي تمتد حولها إلى مسافات طويلة ..

وينتمى سكان هذه الواحة إلى بقايا سلالات الشعوب البربرية القديمة التي كانت تقطن شمال أفريقيا ..

وكما يقولون .. لم تجد هذه السلالات البربرية القديمة مكانا تعيش فيه سواء في برقة كلها .. أو في الأرض التي تمتد من حدود مصر حتى منطقة فزان .. أى لمسيرة أكثر من شهرين ، الا في في هذه الواحة ..

ولا يزال أهل هذه الواحة يحتفظون بتقاليد وعادات البربر القديمة .. كما أنهم يحتفظون حتى الآن برطانة البربر المنقرضة !

\*\*\*

ويوجد في هذه الواحة قبر الصحابي المشهور سيدنا عبدا لله بن سعد بن أبي سرح الذي كان واليا على مصر وما بعدها غربا في عهد سيدنا عثمان ابن عفان .

أو هذا ما يقوله على الأقل الأعراب في برقة وأهالي الواحة ..

واتهزت الفرصة ، وقت بزيارة قبر الصحابي المشهور ، وقرأت الفاتحة على روحه ..

وقد شاهدت عند القبر لوحة كان مكتوبا عليها شئ من تاريخه ..  
ولما سألت عن هذه اللوحة ، قالوا لى .. ان الذى وضعها أمام القبر هو العالم المشهور  
السيد محمد على السنوسى ..



المهم .. وصلنا أخيرا إلى جالو ، وهى واحة كبيرة ينتسب سكانها إلى قبيلة سليم ..  
وقد اشتهر أهالى هذه الواحة بالتجارة بين الشرق والغرب عبر الصحراء الغربية ، ولهم  
خبرة كبيرة بمسالك هذه الصحراء الشاسعة الأطراف ..  
وفى هذه الواحة يكثر النخيل والفواكه وآبار المياه العذبة ..  
وعند وصولنا إلى الواحة قام المرحوم السيد هلال السنوسى باستقبالنا بالترحاب ..  
وكان هو الذى استضافنا ، وقد قضينا معه عدة أيام ..  
وتنقلنا بين أطراف الواحة ليختار البارون فون تاودن مكانا لمحلة اللاسلكى التى طلب  
الألمان اقامتها فى جوف الصحراء !



## ..واندلفت التورة في طرابلس القرب

تصورت أن العلاقات بيني وبين البارون الألماني قد تحسنت .. ولم اكن أعرف بعد نجاحنا أنه لا يزال يضرر في نفسه توجسا مني ..

ولا أعتقد أن احتكاكا قد وقع بيني وبينه أثناء رحلة عودتنا إلى اجداية .. الا أن العلاقة بيننا ظلت في تقديري علاقة بين عقليين مختلفين كل الاختلاف .. كنت في نظره أمثل الفوضى والهمجية ..

وكان هو من وجهة نظري يمثل الاسراف في اتباع النظام ، والاصرار على تطبيقه بطريقة عسكرية ، وبلا أدنى روية أو تفكير ..

وقد انتظر البارون حتى وصلنا إلى اجداية ، ثم شكأ إلى نوري باشا .. مما أطلق عليه اسم .. سوء معاملتي له ..

قال له .. انني كنت أعامله بقسوة ، وعدم احترام ..

واقترح على نوري باشا معاقبتي ..

واخبرني نوري باشا بشكوى البارون ، فأفهمته كيف أنه لم يستطع فهم ظروف البادية ، كما قلت له .. انه رجل متعجرف للغاية ، وأنه لم يستطع أن يدرك أنني لا أدين بالطاعة لأحد غير خالتي ..

وضحك نوري باشا .. واعتبر الموضوع منتهيا ..

وذهب البارون أيضا إلى السيد ادريس السنوسي وشكأني إليه ..

ودعاني السيد ادريس لمقابته ، فلما ذهبت إليه أخذ يظهر اسفه لسوء معاملتي للبارون الألماني ، ثم طلب إلى أن اعتذر له عن هذه المعاملة ..

ولم أوافق طبعاً ، ورددت على السيد ادريس بقولي :

- ياسيدي .. لا أستطيع أن أتصور ، وقد وهبت نفسي للموت ، وقبلت أسوأ أنواع

الحياة ، أنتى سأعتذر فى يوم ما لأوربى فى الصحراء .. وأنا أفضل أن اسلم نفسى لاعدائى الانجليز أو الايطاليين على أن اعتذر أو أهان هنا من أجل مثل هذا الرجل .. فلما رأى السيد ادريس أن لا سبيل الى أرضاء الرجل عن طريق ، أهمل الموضوع تماما ..

وبق البارون فى أجدابية عدة أسابيع فقد كان عليه أن يرسل رسالة من السيد ادريس السنوسى الى ألمانيا بواسطة إحدى الفواصات .

وأخذ السيد ادريس يستعد فى نفس الوقت للسفر الى منطقة الحدود المصرية للاشتراك فى اجتماع آخر مع الوفدين الانجليزى والايطالى ..

وأثار ما سمعناه عن اتصالاته المرتقبة مع هذين الوفدين دهشتنا .. فقد كان يتأهب لاسئناف مفاوضاته مع الانجليز والايطاليين .. فى الوقت الذى كان يستضيف فيه البارون الألمانى الذى حمل اليه هدايا الامبراطور غليوم .

وفى تلك الأيام كان النفوذ الحقيقى للسنوسيين يمتد من الحدود المصرية شرقا الى منطقة اسمها « المقطاع » غربا .. وكانت أراضى هذه المنطقة تكاد تكون فاصلا طبيعيا بين سكان منطقة طرابلس الغرب وسكان منطقة برقة ..

وكان أهل منطقة طرابلس الغرب المنتشرون ، من غرب منطقة المقطاع حتى حدود تونس ضد السنوسية ، وان كان من بينهم بعض القبائل والمناطق التى ظلت تدبى لهم بالولاء والطاعة .



ولكن فجأة ، وبينما السيد ادريس يستعد لرحلته الى منطقة الحدود المصرية ، أن أخذ الموقف يضطرب فى غرب برقة .. وفى المنطقة حول سرت .

وشبت ثورة سنة ١٩١٥ فى طرابلس ..

واستطاع الثوار العرب مع اندلاع هذه الثورة أن يسيطروا على مساحات شاسعة من الأراضى ..

وكانت الأخبار تتوافد علينا فى كل يوم ، لتقول إن كميات هائلة من البنادق والمدافع قد ذهبت إلى أيدي هؤلاء الثوار العرب .. وأن آلاف الأسرى من الإيطاليين ، قد وقعوا فى أيديهم ..

وكان هذا يعنى .. أن هؤلاء الثوار العرب قد أصبحوا أقوياء وقادرين على ضرب الإيطاليين ، والانتصار عليهم .

وعلى العكس .. كانت قبائل برقة والجبل الاخضر ومنطقة الحدود الشرقية المتاخمة لحدود مصر، قد انهكتها الحروب الطويلة ضد الانجليز والايطاليين .. ومع هذه الثورة .. ظهر في كل ركن من أركان طرابلس زعيم عربى يشار اليه بالبنان ..

وحدث أن اختلف هؤلاء الزعماء فيما بينهم .. وكان أن امتدت يد كل منهم إلى مناطق نفوذ غيره .. وفى تلك الايام . وكان للسيد أحمد الشريف السنوسى قوات في طرابلس يقودها شقيقه السيد صنى الدين السنوسى فادعى هو أيضا الملك لنفسه .. وكان الصدام بينه وبين رمضان السويحلى زعيم مصراته الذى لعب دورا هاما فيما بعد فى تاريخ منطقة طرابلس الغرب .. واستطاع رمضان السويحلى، أن يتغلب عليه وأن يسيطر على المنطقة الساحلية من الخمس الى سرت ..

واضطر السيد صنى الدين السنوسى لأن يخرج من البلاد .. وفى مصراته قام رمضان السويحلى بشنق بعض السنوسيين .. وكان ذلك هو السبب فى الصدام الذى وقع بينه وبين عشائر طرهونه التى كانت تميل الى السنوسيين .. وفى منطقة الحدود التونسية . اشتركت قبائل الزنتان والرحبان والربانية والمحاميد فى النزاع ..



كانت هذه الاخبار تصل الينا فى أجدابية ، فنشد شعر رهوسنا من الغيظ والألم .. وكان فى رأى أن هذه الثورة التى اندلعت فى غرب طرابلس ، لا يمكن أن تفيدنا فى معركتنا ضد الانجليز .. وتصورت يومها أن من واجبنا أن نعمل على توحيد الصفوف بين الثورة عندنا .. والثورة فى منطقة طرابلس الغرب .. ولكن المنطقة كلها تحولت الى حرب أهلية ، فقد أخذ الزعماء يحارب بعضهم البعض .. وكان عليهم أن يحاربوا الايطاليين فى نفس الوقت .. وتصور السيد إدريس - وأنا على يقين من أن هذا ما كان يراود فكره فى تلك الأيام -



أنه بعقد هدنة بينه وبين الانجليز والايطاليين ، يستطيع أن ينتقم من أعدائه في غرب طرابلس ..

وكان أن أرسل قوة من الجنود والبدو تحت قيادة مجموعة من الرجال الذين اشتهروا بالبسالة المتناهية ، وأذكر منهم عبد العاطى البرم و ابراهيم الفيل ، وصالح لطبوشى وغيرهم ..

وكانت مهمة هذه القوة احتلال مدينة سرت واخضاعها لنفوذ السيد ادريس .. وحدث أن تحركت هذه القوة لتنفيذ مهمتها في نفس الوقت الذى عادت فيه نفس الفواصة التى حملت البارون الألمانى إلينا ، ليترى منها الشيخ سليمان البارونى باشا ، أمام شواطئ مصراته ..

وكان الرجل يحمل كما سبق أن أشرت ، نقودا وأسلحة وذخائر .. كما كان يحمل أيضا مدفعين من النوع الذى يستخدم في الحرب ضد المصفحات .. وقالت الأخبار .. إن سليمان البارونى باشا قد استقبل في مصراته استقبالا حافلا .. واتهز رمضان السويحلى الفرصة ليرفع الراية العثمانية على البلاد التى كانت واقعة تحت نفوذه ..

ولما عرف بما اتجهت إليه نية السيد ادريس السنوسى لاحتلال « سرت » قام بمحشد اتباعه لمهاربة السنوسيين ..

وفى نفس الوقت تسلم من البارونى باشا ما حمله معه من مدافع وذخائر ، وزود بها جيشه ..

ولم يتالك السيد ادريس السنوسى نفسه عندما عرف بهذه الأخبار في أجداية فأخذ يحتج لدى نورى باشا على تدخل الدولة العثمانية وانضمامها الى خصوم السنوسيين .. وكان السيد ادريس يعتبر الشيخ سليمان البارونى خصما شخصيا له فقد سبق أن اعتقله لمدة سنة في ناحية السلوم ، وقام بابعاده إليها !



وأصبح موقفنا حرجا للغاية في ذلك الوقت فقد كنا نعيش في كنف السيد ادريس السنوسى في أجداية ، وكنا نعمل في نفس الوقت لمصلحة الدولة العثمانية ..

وكان السيد أحمد الشريف السنوسى زعيم السنوسية نفسه يعيش في تلك الأيام في الاستانة بعد أن حملته إليها احدى الفواصات الالمانية ..

وفى اعتقادى أن السيد ادريس السنوسى قد أخذ ينظر الى موقف الدولة العثمانية

بالريبة والشك ، فقد كان آخر ما يتصوره أن يكون رسوما الى منطقة غرب طرابلس هو  
ألد أعدائه الشيخ سليمان البارونى نفسه ..

وكما عرفت فيما بعد كان نورى باشا قد أرسل تقريرا سرى الى وزارة الحربية العثمانية ،  
حملته الى الاستانة واحدة من الغواصات الالمانية ..

وفى هذا التقرير أفهم وزارة الحربية العثمانية صراحة بما كان يراوده من شكوك حول  
موقف السنوسيين ، وعن مخاوفه من أن يعقدوا الصلح بينهم وبين الانجليز .. وبينهم وبين  
الاطالين أيضا ..

ولا أريد ان أقول ان نورى باشا كان هو صاحب فكرة تقوية منطقة طرابلس الغرب  
لتكون مركزا للحركتنا بدلا من المناطق الشرقية التى كانت واقعة تحت نفوذ السيد ادريس  
السنوسى !

وبالتالى .. لم نندهش كثيرا عندما عرفنا بزلول الشيخ سليمان البارونى عند شواطئ  
مدينة مصراته !

وعندما نشبت الحرب بين رمضان السويحلى والسنوسيين كان علينا ان نعمل شيئا ..  
وكان أن ذهبنا الى السيد ادريس اقترح عليه أن يتجه نورى باشا الى الغرب ليتوسط  
فى وقف القتال بين رمضان السويحلى والسنوسيين .

قلت له .. ان هدفنا جميعا واحد .. وهو الجهاد فى سبيل الله .. وواجب علينا أن  
نضع حدا لهذه الحرب ، وخاصة أن جميع الاطراف فيها يدينون بالصدقة والولاء للدولة  
العثمانية ..

ووافق السيد ادريس على اقتراحى ، وهو يقول لى :

- إن نورى باشا هو خير رجل ليقوم بهذه الوساطة ..

وبعث فى نفس الوقت الى قواده فى ناحية سرت يأمرهم بتلقى نصح نورى باشا  
وإرشاداته .



كان السيد ادريس على موعد مع الوفدين البريطانى والاطالى .. ولكن تدهور الموقف  
فى منطقة سرت ، والحرب بين قواته وبين قوات رمضان السويحلى اضطرته لأن يؤجل  
تحديد موقفه بالضبط .

وفى رأى أنه لم يقبل هذه الوساطة الا سعيا وراء تهدئة الموقف فى الغرب .. كما كان  
يعمل هو نفسه فى سبيل تهدئة فى ناحية الشرق .. وكان فى تصوره أن تهدئة الموقف فى

الجهتين الشرقية والغربية يمكن أن يمنحه فسحة من الوقت لتحديد الاتجاه الذى يمكن أن يسير فيه ..  
وفى رأى أنه كان على استعداد للتحالف مع الشيطان نفسه من أجل إنقاذ نفسه  
وجاعة السنوسيين من أتباعه ..  
ومن هنا كان ترحيبه باقتراحى أن يقوم نورى باشا بالوساطة بينه وبين رمضان  
السويحلى كبيرا فقد كان يريد تهدئة الموقف فى منطقة سرت بأى ثمن ! ..



قرر نورى باشا إصطحابى معه فى مهمته الجديدة كما وقع اختياره على ضابط تركى  
اسمه عاكف بك وعدد من الاعراب والخدم ..  
وقد بادرنا باعداد قافلة صغيرة تحركت بنا فى سهول برقة البيضاء حتى وصلنا الى  
منطقة يطلقون عليها اسم الفارغ .. إنها منطقة يقولون إنها كانت مجرى نهر قديم جفت  
مياهه منذ عدة قرون ، ولذلك أطلقوا عليها هذا الاسم .  
وفى هذه المنطقة ، اقنا خيمتنا الصغيرة ثم جمعنا كومة من الحطب ، وأنشعلنا النار  
فيها ..

كان ذلك فى أواخر الحريف ، وأوائل الشتاء فى عام ١٩١٦ ، ولن انسى فى حياى  
ماحدث فى تلك الليلة ، فما كدنا نوقد النار ، ونبدأ فى تهيئة الطعام حتى فوجئنا بالسيول ،  
وهى تندفع فى اتجاهنا من كل الاتجاهات .. وغمرت المياه متاعنا ، فأسرعنا الى نقله الى  
مكان آخر بسرعة ..

وأخذت الامطار تهطل علينا بغزارة ..

وهكذا قضينا ليلتنا ، ونحن نحتمل لتجفيف الحطب وابقاء النار مشتعلة تحت الخيمة ..  
وفى آخر الليل صفت السماء ، فبادرت بحفر حفرة مستطيلة فى الأرض ثم أوقدت  
بداخلها نارا لتدفئ الحفرة ، وبعدها أزحت النار ، ثم لففت نفسى ببطانتين ورقدت فى  
هذه الحفرة ، حتى أيقظنى البرد القارس ..

ولم يكن رفقاتى أحسن حالا منى ، ولذلك ما كادت الشمس تشرق حتى بادرنا بالرحيل  
فى طريقنا الى سرت ..

وأثناء رحلتنا مررنا بموقع على شاطئ البحر .. كان يمتلئ بالماء العذب وبه أشجار  
كثيرة ..

أنهى لا أذكر اسمه .. وأظنه «سلطان» ..

وصلنا الى سرت لننزل ضيوفا على قواد القوة السنوسية ..  
كانوا جميعا من اصدقائنا ومعارفنا ..  
وكنت أنا نفسى أعرف ميولهم ، وأعرف مدى كراهيتهم للصلح مع الايطاليين ..  
قالوا لنا .. انهم قد حققوا انتصارات مبينة في المعارك التى دارت بينهم وبين قبائل  
الغرب ..

ولما سألنا عن قوات رمضان السويحلى قالوا إنها اضطرت للانسحاب الى ناحية اسمها  
« الهيشة » على مسيرة ثلاثة ايام فى الشمال الغربى من سرت !  
ولم يكن أمامنا الا أن نطلب الى هؤلاء القواد أن يلزموا مواقعهم فى سرت ، وأن يكفوا  
عن الهجوم حتى يتسنى لنا الاتصال بالجانب الآخر ، وعقد الصلح بين الطرفين ..  
وبعدها تحركنا فى طريقنا الى معسكر قوات رمضان السويحلى .. وكم كان حزنى شديدا  
وأنا أشاهد آثار الحرب بين المسلمين على طول الطريق ..  
كانت جثث القتلى مبعثرة فى كل مكان ، وقد نهشتها الحيوانات ..  
وأمسكت رأسى بيدي وأنا أصيح :  
- لماذا يارب هذا كله ، وقد كان المسلمون من قبل صفا واحدا وهم يقاتلون الايطاليين  
على نفس الأرض ! ..



وصلنا الى منطقة « الهيشة » التى انسحبت اليها قوات رمضان السويحلى بعد انهزامها  
عند سرت ..  
كان يقودها ضابط لىبى اسمه اليوزباشى السيد حسن ..  
وهذا الضابط تروى فى الأستانة حيث التحق بالجيش العتافى ، ثم عاد الى بلاده  
ليحارب الايطاليين ..

وعرف الضابط بمهمتنا فرحب بنا ، وكان استقباله لنورى باشا بالغ الحفاوة ..  
وقام نورى باشا باقتناعه ، بأن يلزم مكانه حتى يتسنى لنا مقابلة زعيمه رمضان  
السويحلى ، والاتفاق معه على عقد الهدنة بينه وبين السنوسيين !

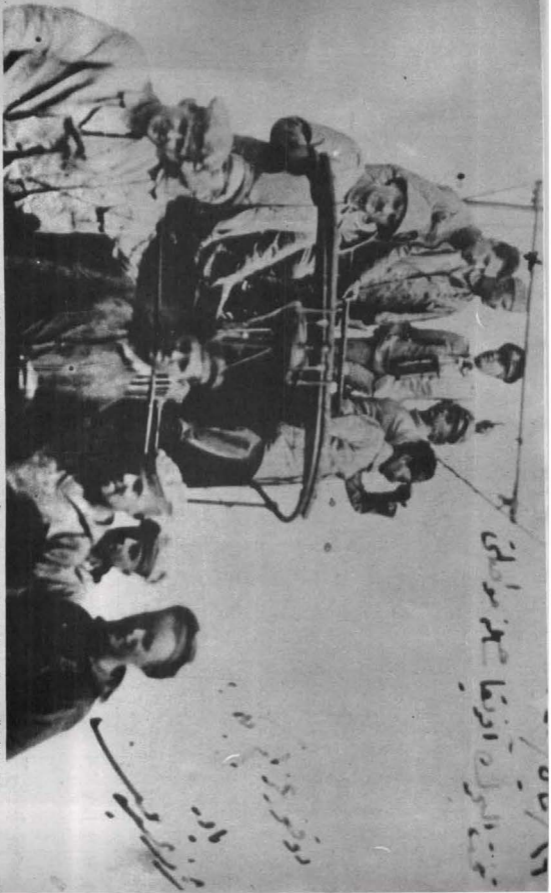


تركنا « الهيشة » فى اتجاه مصراته ..  
وكان هجينى قد أصيب بهزال شديد وكان أن اخذ يتلأأ فى سيره ، ولذلك سبقتى

نورى باشا فى دخول مدينه مصراته بعدة ساعات ..  
ولما لحقت به وجدته يتمشى على الرصيف أمام أحد المنازل ، وكانت الدموع تملأ  
عينيه ..

ولما سألته عما حدث ؟ .. قال لى وهو فى أشد حالات الضيق والتبرم :  
- هؤلاء الناس قد أهانونى .. وهذا الرجل الذى يسير خلفنا هو وكيل رمضان  
السويحلى فى هذه البلاد .. تصور أنه يقول أننا نقيم عند السنوسيين ، وأنا جئنا لنفسد  
على أهل مصراته أمرهم ، ولننشر الدسائس فى بلادهم ! ..  
وأدركت أن مهمتنا ستبوء بالفشل !

■ صورة تيرة للبرص من الزمن حزام وهو يطف فوق برج العمارة الأتينية التي حلقه من ساطع، لسا إلى إيطاليا قبل أن يرأسل رشفة إلى طينا ، وسببا إلى إستانبول... ويظهر معه في الصورة قائدة البرصاة الأتينية ، وكسيرة من الحبيب الأثره الذين راطق، في رشفة بالبرصاة الأتينية ..



جميع البرصاءة أتربعا سهل مؤاملي

دو فخر جرمي  
بدر  
بدر



## رجل الصحراء لا يعرف المشى على الخشب الباركيه .!

كان على نوري باشا أن يلتقى مع رمضان السويحلى للتفاهم معه على عقد الصلح بينه وبين السنوسيين ، وكان أن اضطررنا أكثر من مرة للتوجه اليه عند الحدود التونسية .. ومرضت في تلك الأيام بالمalaria ، وهزلت لكثرة اسفارى معه .. وكان أن اقترح نوري باشا على أن أسافر للعلاج في فيينا ، على أن أتوجه بعد ذلك الى الاستانة لأشرح تفاصيل الموقف بنفسى لشقيقه أنور باشا ، ولوزارة الحربية العثمانية .. ورحبت بالفكرة ، فقد خطر ببالي ، أنني قد استطيع الالتحاق بالجيش المقاتل في سوريا تحت قيادة جمال باشا ضد الانجليز ..

كان هذا هو هدفى الاساسى الذى هربت من مصر لتحقيقه ، ولم يكن خروجى للحرب ضد الايطاليين المحاولة عارضة للتعبير عما كان يملأ نفسى من كراهية وحقد ضد قوى الاستعمار والمستعمرين ..

وأعد نوري باشا ترتيبات سفرى بسرعة على غواصة ألمانية اسمها « بولا » وقد حملتني هذه الغواصة من أمام شواطئ مصراته في شهر أغسطس ١٩١٧ الى النمسا .. وقد بقيت في فيينا حتى تماثلت للشفاء ثم سافرت إلى الاستانة ..

وهكذا وصلت الى تركيا ، وكان معى خطاب من نوري باشا يقدمنى فيه إلى جمال باشا .. وكان رأىى قد استقر على الالتحاق بجيش الشام .. وكان جمال باشا في دمشق فانتظرتة في الأستانة حتى عاد إليها ، ثم ذهبت اليه وسلمته الخطاب ..

وشكرنى الرجل ، ثم أثنى علىى وهو يقول لى إنه يأسف كثيرا لأن المصريين لم يقوموا بواجبهم عند مهاجمته ، قناة السويس ، كما قال أنه كان يتوقع أن تنشب الثورة في مصر عندما وصلت جيوشه التركية الى شاطئه القناه لأن مثل هذه الثورة كان يمكن أن تنقذ مصر من الانجليز ..

وابتسمت وأنا أقول له : ان فخامتكم لا تعرفون الظروف الداخلية في مصر فهى بلد أصبح مجردا تماما من السلاح ، ويحتله العدو ويتحكم فيه ..



وأثارتني جمال باشا عندما رد على بقوله :

- كل هذا كلام فارغ، فقد رأيت بعيني كيف لم يعمل المصريون على دفع ثمن

حريتهم .. انهم رفضوا التضحية بشيء !

ولم أمتلك نفسى من الانفعال ، وبادرت أقول له :

- كلا ياسيدى بل انهم يضحون ، وقد امتلأت بهم السجون ، وفر إليكم كل من

استطاع الفرار منهم ، وقد كان المصريون على استعداد لورة دموية لكنكم جتم إليهم

بقوة قليلة ، وقد طرقتم الباب ولما خرج المصريون ليروا من الطارق على الباب ، لم يجدوا

أحدا ، فقد كنتم قد تراجعتم الى سوريا ..

ثم استطرقت أقول له : ان كل الذى رآه المصريون فى القاهرة ، هو الأسرى

والزوارق التى كنتم تريدون استخدامها فى عبور القناة ولم يكن فى وسع المصريين إلا أن

يستكينوا ولو فعلوا غير ذلك لأصابهم ما أصاب الأرمين ..

وأسك جمال باشا برأسه ، ثم أطرق قليلا وقد ظهر عليه التبرم ، ولكنه سرعان ماتالك

نفسه فقال لى :

- أنت غضبت لقومك ، ولكننى أعرف على أى حال أنك وأمتالك قد أديتم واجبكم

ولذلك شكرا لكم .. واذا كنت تريد فعلا أن تلحق بجيشى فى سوريا فأنا أرحب بك

وسأكون مسرورا !

ولم يكن فى وسعى إلا أن أشكر جمال باشا ثم استأذنته فى الانصراف ..

وبينما كنت أترجع للانسحاب من الحجرة زلت قدمى على الخشب الباركيه ، فسقطت

على الأرض ..

وأسرع جمال باشا لمساعدتى على النهوض من مكافى وهو يقهقه بالضحك ، ثم أخذ

يربت على كتفى وهو يقول لى :

- إن رجل الصحراء لا يعرف المشى على الخشب الباركيه !

فابتسمت خجلا ، ثم حييته ، وانصرفت !



كنت فى الحقيقة أشعر بالهتجل من سخرية جمال باشا بالمصريين ، وعندما خرجت من

الحجرة صممت على ألا أرى وجهه مرة أخرى ..

ومرت عدة ايام أخذت اتجول أثناءها فى الأستانة وقد خلا ذهنى مؤقتا من هموم الحرب

والسياسة ..

ولكن فجأة دعاني أنور باشا وزير الحربية لمعايلته .

ولما ذهبت اليه كلفني بالسفر فورا إلى برلين ثم إلى استكهولم لحضور مؤتمر يعقده الاشتراكيون هناك للدفاع عن قضية طرابلس الغرب .  
وكانت وزارة الحربية العثمانية قد اختارت مندوبا عن كل دولة اسلامية للاشتراك في هذا المؤتمر الذي كان يهدف أساسا للدعاية ضد الحلفاء ..  
وسافرت بعد أن اتخذت إدارة التشكيلات المخصصة في وزارة الحربية العثمانية إجراءات سفرنا ..

وكان من بين أعضاء الوفود التي كلف بالسفر الى المؤتمر .. الشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور أحمد فؤاد عن مصر ، والامير شكيب أرسلان عن سوريا والشيخ الشريف التونسي عن تونس والجزائر والشيخ القباني عن مراکش . وهو الاسم الذي كانت تشتهر به المغرب أيام الدولة العثمانية .

والشيخ القباني كان يعمل حتى وفاته شيخا لتكية المغاربة في القاهرة !  
ولما وصلنا الى برلين أحاطنا الألمان بالحفاوة والاحترام وأذكر أنهم أنزلونا في فندق اسمه « أيدك » ..

وجاءت بعض الأنباء التي تشير الى احتمال تأجيل موعد انعقاد مؤتمر استكهولم ..  
وكان أن أمضينا أياما ممتعة في برلين ، وقد التقيت أثناءها بعدد من الأصدقاء المصريين الاعزاء ..

كانوا يصدرون مجلة يطلقون عليها اسم .. « العالم الاسلامي » وأذكر منهم عبد الملك حمزة و اسماعيل كامل و عوض البحراوى ومحمد على المهندس ..

وفي بيوت هؤلاء الاصدقاء المصريين أكلنا أطباق الملوخية والفول المدس والطعمية ..  
وكانت أول مرة اشعر فيها بالجو المصرى الذى حرمت منه طويلا ..

وفي برلين التقيت بالمرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى والدكتور منصور رفعت وأثارتني ما سمعته في تلك الأيام عن الخلافات بين رجال الحزب الوطنى ، وأرادت الصدف أن اقوم بدور الوسيط .. أى حماسة السلام بينهم ، ولكننى للأسف الشديد لم أوفق في مهمتى !

وكان سبب هذا الخلاف أن بعضهم كان يرى عدم التعاون مع الخديو عباس حلمى ، بينما يرى البعض التعاون معه ..

كان فريد بك ومنصور رفعت يشكوان منه دائما بينما كان الشيخ عبد العزيز جاويش يرى التعاون معه ..

وكان في رأيي أن الوقت لم يكن مناسباً لمثل هذا الخلاف !

\*\*\*

وفي تلك الأيام كانت الاتصالات مستمرة بيننا وبين بعض رجال القسم الشرقى في وزارة الخارجية الألمانية ..

واقترح على بعضهم كتابة رسالة عن أفريقيا ولما رحبت بالفكرة ، جاءوا إلى بسكرتيرة حسناء لمساعدتي في كتابة هذه الرسالة على الآلة الكاتبة ..  
وقد كبيت على العمل حتى انتهيت من كتابة كتاب كامل زودته بالكثير من المعلومات عن المغرب العربي ..

وضمنت هذا الكتاب الكثير من مشاهداتي عن القبائل وعاداتها وأحوالها الإجتماعية وعن الطرق الصوفية ومشايخها إلى غير ذلك من الأمور ..  
ولا أريد أن أقول إن هذا الكتاب كان أول كتاب من نوعه يطبع باللغة الألمانية وقد تولت وزارة الخارجية الألمانية طبعه على نفقتها !

وأذكر في تلك الأيام انني كنت اتحدث باللغة الانجليزية مع سكرتيرتي الخاصة في قطار مزدحم بالناس عندما رأيت رجلاً يشق الطريق ثم يقف أمامي وهو يتحدثني باللغة الألمانية بعنف . وكان يشير بيديه ناحيتي مهددا ..

ولما كنت لم أفهم سببا لغضبه ، فقد التفت ناحية سكرتيرتي وسألتها :  
- ماذا يقول ؟

قالت إنه غضب لاننا نتكلم باللغة الانجليزية ، وقد قال انه لا يريد ان يسمع لغة أعداء بلاده !

وهنا طلبت اليها أن تقول له .. إن الأعداء الذين يشير إليهم هم أعداء الألمان من مدة لا تزيد على أربع سنوات ، ولكنهم أعداء مصر منذ أكثر من ٤٠ سنة ..  
ولم يفهم الرجل ما كنت أعنيه ، ولما أدركت ذلك طلبت إليها ان تقول له أيضا :  
- إن المانيا قد تنتهي مع هؤلاء الاعداء بصلح ، أما نحن فنستمر في الحرب ضدهم بلا صلح أو هدنة طول حياتنا وانا نفسي أقاتلهم متطوعا وسأظل أقاتلهم حتى أموت وأن عليه أن يتطوع مثل لقاتلهم بدلا من أن يلقي بتهديداته في الهواء .  
فلما نقلت السكرتيرة كلامي اليه ، فوجيء بالجُمهور الذي كان يستمع الى المشادة بيني وبينه ينتقل ساخطا عليه ..

واضطر الرجل لأن يعتذر وهو ينسحب بعيدا عنا !

وحدث أيضا .. أن وصل إلى برلين وفد تركى كان في طريقه إلى برست ليتوفسك للدخول في مباحثات مع زعماء الثورة الروسية ..

وكان من بين اعضاء هذا الوفد صديق عزيز لى هو المرحوم حسين بك الذى صار فيما بعد رئيسا لوزراء الدولة العثمانية ..

ولما كان الرجل من أكبر رجالات تركيا ، ذهبت لمقابلته مع عدد من الاخوة المصريين الذين كانوا يعيشون فى المانيا ، وكان معنا الامير شكيب وارسلان ..

كنا نريد إقناعه بإثارة قضية مصر أثناء اجتماعاته مع الثوار الروس ..

ووافق السياسى التركى القديم ..

وفى نفس الوقت قام الأمير شكيب ارسلان والشيخ عبد العزيز جاويش باتصالات أخرى مع بقية أعضاء الوفد التركى ومنهم عزت باشا ووصفى باشا ..

وحصل الاثنان على موافقة الوفد بعرض قضية مصر أثناء اجتماعات الأتراك مع وفد الثورة الروسية !

ولكن حدث عندما ذهب وفد الأتراك إلى برست ليتوفسك ، وعقدت الاجتماعات مع بتروفسكى وغيره من الثوار الروس وكان الألمان والنمساويون يشتركون أيضا فى تلك الاجتماعات ، أن تصلب الألمان والنمساويون بشدة فى موقفهم ، وكان أن رفضوا الاعتدال فى عقد صلح شريف مع الروس .

والتفتت فى تلك الأيام بالشيخ الشريف التونسى وكان معروفًا عنه حدة مزاجه وعصبيته ..

وأخذ الرجل يتحدثنى وهو فى أشد حالات الهياج عما حدث أثناء إجتماعات مؤتمر « برست ليتوفسك » ..

وكان فى رأيه أن هذا التصلب قد يثير شعور الرأى العام العالمى ضد الألمان كما أنه قد يدفع الروس للشعور بالكراهية تجاههم .

ولا أظن اننى أعطيت لهذا الكلام وزنا ، فقد كنت قلقًا بفكرى خشية ألا يتمكن الوفد التركى من إثارة قضية مصر أمام المؤتمر ..

ومرت عدة أيام .. ثم جاءنى الشيخ التونسى بصورة برقية قال إنه أرسل ١٦ نسخة منها الى جميع رؤساء الدول والحكومات ومن بينهم الامبراطور غليوم وامبراطور النمسا وسلطان تركيا وملك بلغاريا ..

كانت برقية ينصحهم فيها بالاعتدال والتسامح وعقد صلح شريف غير مهين للروس ، لأن مثل هذا الصلح الشريف سيكون أدمى لاستقرار السلام وأقرب الى الحق ..

كان هذا رأيه .. ولا أريد أن أقول إن هذا الشيخ كان صورة من كفاح شبابنا الذي خرج مجاهدا في سبيل الحق ..  
وأنا نفسى لم أدرك صدق فراسته الا فيما بعد .. رحمه الله ..  
المهم .. بقينا في برلين ننتظر نتائج مؤتمر ( برست ليتوفسك ) .. وتحققت هواجسى عندما عرفت أن الوفد العثماني لم يتفوه بكلمة واحدة عن قضية مصر ..  
وانتظرنا حتى عاد الوفد التركى إلى برلين ثم ذهبنا الى رُووف بك لكى نعاتبه ..  
ووعد الرجل بأن يتدارك الموقف عندما تستأنف المفاوضات ..  
ولم نفتتح وبادرنا بعقد اجتماع سرى قررنا فيه إرسال مذكرة الى لينين نطلب اليه فيها باسم مبادئ الحرية التى كان يدعو اليها تأييد روسيا لاستقلال مصر ..  
وكانت هذه المذكرة التى أرسلناها الى الزعيم السوفيتى لينين أول اتصال بين الحركة الوطنية فى مصر والثورة البلشفية فى روسيا .  
وكانت المفاجأة عندما بادر لينين بتلبية طلباتنا بمجرد أن وصلت إليه هذه المذكرة ..  
فقد اذاع بيانا على العالم كله من محطته اللاسلكية أعلن فيه أن الثورة الروسية تعتبر استقلال مصر حقا تعمل له ولا تعترف بغيره ..  
وتصوروا مشاعرنا عندما عرفنا بهذا البيان فى برلين !



ومرت عدة أيام ثم جاء فى ضابط من السفارة العثمانية ليقول لى .. ان وزارة الحربية العثمانية تطلب عودتى على أول قطار يروح برلين إلى الاستانة ، وان على أن أسافر فى نفس الليلة ..  
وحاولت أن أعتذر وانا أقول له إن هذا غير ممكن ، إلا أنه أخذ يصر على بالبحاح لتنفيذ تعليقات حكومته ، وانهت المناقشة عندما وقف الضابط فى مكانه ، ثم ضرب كعبي حذائه بقوة ، ثم قال لى بحزم بعد أن رفع يده يمينى :  
- اعتبر هذا الطلب أمرا عسكريا ..  
وتصورت أن وراء هذا الاستدعاء أمرا خطيرا ولذلك بادرت بالذهاب إلى صديق الأمير شكيب وأخبرته بما أخذ يساور نفسى من هواجس .  
قلت له .. يحتمل أن يكون قد بلغهم شيء عن مشاعرنا التى كانت تزداد سخطا عليهم ، وأنا نتحدث كثيرا عن سوء تصرفاتهم ..  
وهذا صحيح ، فقد كنا فى أشد حالات السخط على سياسة الحكومة التركية بسبب

ما كنا نسمعه عن الجرائم البشعة والمذابح المنكرة التي ارتكبتها جمال باشا في الشام ، وفي بلاد العرب ..

وكان بعضنا يقارن بين الاحتلال التركي للبلاد العربية ، واحتلال الانجليز والفرنسيين ..

وأذكر انه عندما سقطت القدس .. أن كان وقع الخبر علينا شديدا للغاية بحيث أخذ الأمير شكيب أرسلان يردد قول المتنبي :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا .. وحسب المنايا أن يكن أمانيا  
تمنيتها لما تميت أن ترى .. .. صديقا موافيا أو عدوا مداجيا

وهكذا اراد الأمير أن يعبر بهذين البيتين عما كان يخامر نفوسنا من الشك في صداقة الاتراك في تلك الأيام ..

ولما كنت قد أفضيت بالكثير من آرائي الى بعض أصدقائي الالمان ، فقد خشيت أن يكون بعضهم قد نقل الى الاتراك ما كنت أردده من أفكار بالدرجة التي جعلتني أرتاب في طلب عودتي مسرعا الى الأستانة ..

وعرف الأمير شكيب أرسلان بهواجسي ، فذهب الى السفير العثماني في برلين وكان اسمه حقي باشا يستوضح منه الحقيقة ..

ولما قال له حقي باشا انه لا يدري عن الموضوع شيئا .. طلب اليه أن يبرق الى وزارة الحربية العثمانية للسماح لي بقضاء فترة قصيرة في برلين للعلاج .. !

ومرت عدة أيام .. وكنت قد تباطأت في تنفيذ الأمر بالسفر الى استانبول عندما وصلت الى السفارة العثمانية في برلين برقية أخرى تقول :

- قولوا لعبد الرحمن إن أخاه نوري قد وصل الى استانبول وهو الذي يريد ويستطيع العودة متى أتم علاجه ..

ولم انتظر وبادرت بالسفر في أول قطار ..



وكان بعض أصدقائي قد نصحوني قبل أن أغادر برلين أن أستغل امتيازاتي كضابط فخرى بالجيش العثماني بأن آخذ معي مقدارا من الكينين .

قالوا لى أنك تستطيع أن تبيعه فى الأستانة بعشرة أمثال ثمنه فى برلين .

وكان أن ملأت حقيبة كاملة من الكينين ، ثم حملتها معى ..

كما قت بشراء بعض المصوغات الذهبية بما تبقى معى من نقود لأبيعها أيضا ..

وعندما وصلنا الى الأستانة عرض بعضهم على أضعاف ثمن الكينين والمصوغات الذهبية التى حملتها معى ولكن جهلى بالتجارة دفعنى للطمع فى مزيد من الربح .. وكنت كلما عثرت على راغب فى الشراء طلبت منه ثمنا أزيد من عرضه ..

وكانت النتيجة عندما اضطررت للسفر من تركيا .. أننى تركت بضاعتى وديعة عند صديق لى اسمه الدكتور فؤاد ..

وهرب هذا الصديق من الأستانة على أمر توقيع الهدنة ، تاركا بضاعتى فيها لتصبح نهباً لمن يعثر عليها .. !

وكانت أول مرة أعمل فيها بالتجارة وأن كانت محاولتى للعمل فيها لم تفلح .

## نبوة عراف يهودى منعتنى من الزواج فى تركيا

اتصلت بنورى باشا لأعرف منه خبرا أحزننى كثيرا . . قال لى إن صديقى الدكتور دسوقى . . وهو شاب مصرى كان متطوعا للجهاد معنا فى الحرب ضد الانجليز، قد قتل بعد أن تركت الصحراء، وحملتنى الفواصة الألمانية الى النمسا، ومنها الى الاستانة .

وكانت وزارة الحربية العثمانية قد عملت على عودة السيد أحمد الشريف السنوسى الى برقة ليتدارك الموقف بعد أن تضاعفت الشكوك حول موقف السيد ادريس، واتجاهاته لعقد الصلح مع الانجليز والايطاليين، وعاد السيد أحمد الشريف الى ليبيا ليقيم فى منطقة اسمها سلطان فى الشرق من سرت حتى يكون قريبا من الشاطئ، وليتسنى له تسلم بعض ما كانت تلقيه الفواصات من مساعدات عسكرية ومالية . .

وكان نورى باشا قد أرسل اليه على أثر وصوله الى منطقة الشاطئ قافلة تضم الدكتور سيد دسوقى وعددا من الجنود من أهالى برقة . .

ولكن حدث اثناء رحلة القافلة أن وقع اعتداء عليها أودى بجميع افرادها . .

وقيل وقتها إن عصابة من الاثقياء هى التى هاجمت القافلة ولكن تبين فيما بعد أن الاعتداء كان مدبرا من رمضان السويحلى للحيلولة دون حصول السيد أحمد الشريف السنوسى على التعزيزات العسكرية .

وأغرورقت عيناي بالدموع، وأنا أسمع تفاصيل قصة مصرع صديق الجهاد الدكتور دسوقى فقد كان بطلا وقد ذهب ضحية الفتن المحلية . .

وقال لى نورى باشا . . إنه تأثر كثيرا عندما عرف بالحادث وقد قام بتشجيع جنائه فى احتفال عسكري . . وتم دفنه فى مكان معروف بداخل سور مصراته . .

ولا أريد أن أقول . . إن شعورا غريبا اتنابنى بعد أن سمعت كل هذه التفاصيل للعودة الى طرابلس والانتقام لمقتل صديق الجهاد البطل !



وفي الأستانة قابلت أنور باشا وزير الحربية العثمانية لأجده قد أعد خطة عمل كاملة بالنسبة للموقف في طرابلس ..

لقد أخذ يحدثنى لمدة تزيد على الساعتين عما كان يراوده من أفكار وأحلام .. كانت مطامعه وآماله كبيرة ..

وكان من السهل على أن أدرك انه من هؤلاء الرجال الذين يجنون المشاريع الضخمة ..

قال لى .. انه يعلم بحركة واسعة ضد الانجليز والفرنسيين وممتلكاتهم الأفريقية . وكان من أحلامه .. أن يتم للجيش التركية الاستيلاء على أواسط آسيا عبر جبال القوقاز وبحر قزوين ..

وكما قال لى .. لقد اختار عمه خليل بك وأخاه نورى باشا للإشراف على تنفيذ مخططاته ووضع تحت قيادتها جيش الشرق الذى كان الاتراك يطلقون عليه في تلك الأيام اسم ( اسلام أوردوس ) أى الجيش الإسلامى ..

وقاطعت انور باشا .. وهو يحدثنى عن مشروعاته في شمال أفريقيا وأنا أقول له : - اننى أود أن يكون ميدان جهادى ضد الانجليز الذين اغتصبوا بلادى .. وأخشى الا تسمح الحالة في طرابلس بحركة جديدة في منطقة الحدود المصرية الغربية مرة أخرى .. ورد أنور باشا على بقوله :

- ان اهتمى بمصر أكثر من أى شئ آخر ولذلك سأعمل على تنفيذ، مشروعات طرابلس للوصول بجيش الشرق الى مصر ! واطرق أنور باشا برهة ثم استطرد يقول لى :

- اننى اخترت لكم بعد بحث طويل أميرا يصلح للمغامرة معكم في افريقيا ، وهو الأمير عثمان فؤاد حفيد السلطان مراد ، فعليك أن تقابله ، وأن تجمل له صورة الحياة في طرابلس وأن تمتيه بالزهة والرغد والحياة الشائقة وأن تشجعه بكل الوسائل حتى يقبل القيام بالمغامرة معكم !



اصطحبني نوري باشا في نفس اليوم الى الامير عثمان فؤاد ، وقام بتقديمي اليه ..  
كان شابا وسيما ، وكان يرتدى الملابس العسكرية  
وكما فهمت .. كان خطيبا لواحدة من الأميرات المصريات .. وهي ابنة الأمير محمد  
عباس حليم ..

ونصحني نوري باشا بأن أكثر من التردد على الامير حتى أوثق الصلة بيني وبينه ..  
قال لي .. ان انور باشا يريد أن تكون الصلة بينك وبينه وثيقة للغاية ..  
وكان الشريف عبد المجيد حيدر ابن الشريف حيدر باشا متزوجا من أخت الأمير  
عثمان فؤاد .. وقد لفت اهتمامي حماسه للمغامرة التي كان الأمير مقبلا عليها فقد كان  
يشجعه ويدفعه إلى قبولها ..

وكان من السهل على أن أدرك أنه يقوم بهذه المهمة بايعاز من أنور باشا نفسه !  
والشريف حيدر هو الذي عينته الدولة العثمانية في تلك الأيام ، شريفا لمكة مكان  
الشريف حسين الذي أعلن العصيان على الدولة العثمانية ، وتحالف مع الانجليز ..  
واضطر الشريف حيدر لأن ينضم الى الجيش التركي في الشام ، على أمل أن يتمكن  
من استرداد مكة التي أصبح شريفا لها ..

المهم .. استطعنا إقناع الأمير عثمان فؤاد بالقيام بالمغامرة المطلوبة منه في ليبيا ، ولما  
عرف انور باشا بذلك أمرنا بالاستعداد للسفر ..

وتلقيت في تلك الاثناء مجموعة من الاوسمة والنياشين كان نوري باشا قد طلب الى  
شقيقه أنور باشا وزير الحربية اهداءها الى .. وهي وسام الهلال الحديدي وقد منحوه لي  
كما قالوا في براءته للشجاعة التي أبديتها في قتال الانجليز .. ونيشان العثماني الخامس  
لمجهوداتي في بعض الاعمال المدنية التي قمت بها في برقة ونيشان العثماني الرابع لما بذلت من  
جهد في عقد الصلح بين القبائل في طرابلس .. ووسام العثماني الرابع المسيف لمجهودى  
العسكرية في الحرب ضد الطليان ..



بدأنا الاستعداد للسفر الى طرابلس ..

ولكن مشكلة شخصية للغاية كانت تشغل بالي ، فقد كانت تراودني فكرة خطبة فتاة من أحد البيوت التركية العريقة ، وخطر لي أن اوسط الأمير عثمان فؤاد لدى أهلها .. ولكنني خجلت من مفاحمته في الموضوع ..

وعرف صديق الامير شكيب أرسلان بما كان يراودني من آمال لخطبة هذه الفتاة ، فاصطحب صديقا لنا اسمه محيي الدين بك وقام بالتوسط لي عند أهل الفتاة .. وكانت مفاجأة عندما قال أهل الفتاة انهم يوافقون على خطبتي إلى الأخت الكبرى للفتاة لا إلى الفتاة نفسها

ولم أياس ، وطلبت اليها أن يعاودا المحاولة ، ولما كنت مضطرا للسفر على عجل ، فقد وكلت محيي الدين بك للقيام باجراءات الخطبة ، وتركت له مبلغا من المال لشراء ما يلزم تقديمه كهدية للعروس اثناء غيابي ..

كان اعتقادي ان رحلتي الى طرابلس لن تطول هذه المرة ، وكان تصوري ان الأمير شكيب ارسلان ومحيي الدين بك سيفلحان في وساطتها وأنتى سأستطيع بعد عودتي الى الاستانة ان اتزوج الفتاة ..

ولكن حدث قبل سفرنا بيومين ان اصطحبني صديق الى عراف يهودي كان يعيش في الاستانة ..

وتبادر الى ذهني ان أسأل العراف اليهودي عن رأيه في مشكلتي ..

قلت له : هل سأتزوج فلانة ؟

قال : لا أظن أن هذا سيحدث ، لأن هناك صعوبات كثيرة تمنع هذا الزواج ..

فلما سألته : ومتى أعود الى الاستانة ؟

قال لي : اني أراك تعبر البحر الى بلاد قاسية وستطول غربتك في هذه البلاد كثيرا ..

وابتسمت .. وأنا أقول لنفسي .. كذب المنجمون ولو صدقوا ..

ولكن نبوءة الرجل اليهودي تحققت ، فقد طال غيابي عن الاستانة بعد أن سافرت منها تلك المرة عشر سنوات كاملة ..

وتلاشت مع غيبيتي ومع طول هذه السنين فكرة زواجي من الفتاة !

ركبنا القطار من الاستانة .. الامير فؤاد عثمان ورئيس اركان حربه .. والقائمقام عبد الرحمن نافذ بك وأنا .. وكانت صفتي الرسمية التي رافقت بها الامير هي كما يقولون باللغة التركية ( أفريقيًا عوروب لارى قومندان بلقى تساورى ) أى مستشار قيادة القوات الافريقية .

وكان معنا فى القطار - مصادفة - أمير مصرى شاب هو الامير عمر حليم بن الصدر الأعظم عباس حليم .. وخالدة .. الكاتبة التركية المشهورة فى تلك الأيام .. وحملنا القطار الى فيينا ، حيث نزلنا فى فندق اسمه برستول ..

وفى هذا الفندق قضينا عدة أسابيع قام أثناءها رئيس اركان حرب الامير بالاتصال بوزارة الحربية النمساوية لاعداد ترتيبات نقلنا الى طرابلس بواسطة احدى القواصات الالمانية ..

وأثار انتباهى أثناء زيارتى لفينا كثرة عدد لابسى الطرابيش الذين كنت أشاهدهم فى الشوارع ..

وفى بادئ الامر تصورت أن أصحاب تلك الطرابيش من المسلمين ثم تبين لى أنهم من اليهود ..

وكما فهمت .. كانت القوات التركية قد حاربت بشجاعة الى جانب القوات النمساوية لصد القوات الروسية فى غاليسيا ، وامتلات مستشفيات فيينا بمجرى الاترك .. واخذ الشعب النمساوى يعطف على هؤلاء الجنود المسلمين .

وكان أن أصبحت للمسلمين فى نفوس النمساويين منزلة خاصة بالدرجة التى جعلت أهل فيينا يقيمون الاحتفالات والمهرجانات للحفاوة بكل من يمى للدولة العثمانية بصلة .. واستغل اليهود مشاعر الشعب النمساوى وحفاوته بالاتراك ، بأن لبسوا الطرابيش ثم خرجوا يتجولون بها فى الشوارع . حتى ينالوا نصيبا من هذه الحفاوة ..

وعلى الرغم من كل ماكننا نجد من مظاهر التكريم والحفاوة ، فإن النمسا كانت فى تلك الايام فى حالة حرب . وكان علينا أن نتسلم الخبز من الفندق الذى كنا نقسم فيه بايصال ..

ولم يكن عيبا أن نذهب الى المطعم ، ثم نخرج من جيوبنا ما كنا نحمله من الخبز لنأكله !

تركنا فيينا الى برلين .. وكان القصر الامبراطورى المساوى قد عرض على الامير  
عثمان فؤاد أن يصطحب معه الى افريقيا أحد الامراء من أقارب الامبراطورة زيتا .. وهو  
الامير ( براجانزا : الذى كان قبل ذلك وليا لعهد البرتغال ..

قالوا له .. ان الامير البرتغالى مريض .. وهو فى حاجة للاستشفاء فى الصحراء ..  
ووافق الامير عثمان فؤاد على أن يصطحب الامير البرتغالى معنا ..

وفى برلين .. اتصل الامير ورئيس أركان حربه بوزارنى الحربية والبحرية الالمانية  
لوضع الترتيبات النهائية، لرحلتنا الى ليبيا ..

وأنتهزت الفرصة فقامت بمقابلة بعض أعضاء الحزب الوطنى الذين كانوا ما يزالون  
يعيشون فى المانيا .. ومنهم سمعت لأول مرة أن الموقف العسكرى قد أخذ يتدهور نتيجة  
للحصار الذى كان الحلفاء يضربونه على المانيا ..

وأخذ رأسى يمتلىء بالهواجس .. وخاصة بعد أن سمعت نفس الكلام أيضا من واحد  
من المسؤولين فى ادارة الشؤون الشرقية بوزارة الخارجية الألمانية ..

إن اسمه البارون فازندبرج .. وكنت قد ذهبت لمقابلته فى مكتبه ..

وثناء حديثى معه .. صارحنى الرجل بمخطورة الموقف ، وهو يحاول أن يربط بين حصار  
الحلفاء على المانيا ، وتطورات الموقف العسكرى !

وكان على أن أدرك أن علينا أن نواجه ظروفنا صعبة فى طرابلس وان مهمتنا لن تكون  
سهلة !



حملتنا غواصة المانية الى ليبيا

وكان الامير براجانزا البرتغالى قد انضم الينا .

وفى تلك الايام كان الشيخ سليمان البارونى باشا يعمل واليا باسم سلطان تركيا على  
منطقة طرابلس .:

وكانوا يطلقون عليه اسم والى وقومندان طرابلس وملحقاتها ..

وكنت اعرف قبل مغادرتى الاستانة ان عودة نورى باشا الى الاستانة كانت قد تركت  
فراغا كبيرا فى جبهة القتال ..

وانه كان قبل سفره قد خلف مكانه اليوزباشى أركان حرب محمد نشأت لتولى قيادة جبهة مصراته وضواحيها ..

وأُسند قيادة الجبهة الغربية الى ضابط آخر .. هو اسحاق باشا وكان يتخذ من الزاوية الغربية مركزا لقيادته ..

ومع وصولنا إلى الشاطئ اللبى قرر الأمير عثمان فؤاد أن يتخذ من مصراته مقرا لقيادته ..

وهناك أقيمت الوفود على الامير العثماني من مختلف انحاء طرابلس لتقديم فروض الاخلاص والولاء له .. وللدولة العثمانية ..

ومرت عدة أيام .. ثم تقرر أن يقوم الامير برحلة الى الحدود التونسية ليرى مراكز العشار ولتفقد جبهات الحرب ..

كان عليه أن يقوى عزائم الناس ، وان يضاعف ثقتهم في النصر .

وأخذ الامير ينتقل من منطقة الى أخرى ..

وكان الاهالى يستقبلونه بالحفاوة والابتهاج ..

واستغرقت الرحلة عدة أسابيع ثم عاد الامير الى مركز قيادته في مصراته ..



أخذت الامور تسير سيرا حسنا وكان تدريب القوات النظامية وتجهيزها على أشده .

وتوافد علينا الكثيرون للتطوع للقتال .

وكان نوري باشا قد أنشأ قبل عودته الى الأستانة مدرسة لتدريب صف الضباط على استعمال المدافع والمدافع الرشاشة ، وقذف القنابل ، وغير ذلك من الاعمال والفنون العسكرية التى تحتاج الى تدريب أدق من التدريب العادى للمتطوعين ..

ومع عودتنا الى ليبيا أخذت هذه المدرسة - وكان يطلق عليها اسم ( مكتب صف الضباط ) - فى تخرج الافواج المتعاقبة من الشباب العرب المدربين للحرب ..

وعادت الروح من جديد الى جبهة القتال فى ليبيا ..

وفى نفس الوقت كانت ايطاليا قد أوقفت عملياتها العسكرية ضد قواتنا بعد أن

أدركت أن تطورات الموقف في جبهة القتال ، مع استعداداتنا الجديدة ، لم تعد مناسبة للخوض معنا في عمليات عسكرية ..

وكان أن قام الابطاليون بتحسين مواقعهم الدفاعية واكتفوا بمناوشتنا بالطائرات .. لقد اعتمدوا عليها في الحرب ضدنا ، وكان واضحا انهم قد وضعوا كل همهم فيها بالدرجة التي جعلتهم - لا يتركوننا يوما دون أن يغيروا بها على مواقعنا .. وانتشرت على اثر قيام الطائرات بالقضاء بمجموعة من القنابل الضخمة على مواقعنا اشاعات تقول .. ان الانجليز قد قاموا بمد حلفائهم الابطاليين بعدد من القنابل لاستخدامها في الحرب ضدنا ..

لم نكن قد شاهدنا مثيلا لهذه القنابل من قبل

وأذكر أن واحدة من هذه القنابل قد سقطت في مصراته دون أن تنفجر ..

كان ارتفاعها حوالى المتر ونصف المتر .. ولم تجرؤ يومها على وزن هذه القنبلة خوفا من انفجارها أثناء عملية وزنها !

ولكن ضخامة القنبلة كان يوحى لكل من شاهدها بأنها تزن عدة قناطر !

## قاعدة لاستقبال الفواصات عند سيك عبد الرزق

لم تتوقف غارات الطائرات الايطالية على مواقعنا ..  
وكنا نطلق نيران مدافعنا الرشاشة على هذه الطائرات لابعادها عن هذه المواقع .  
وفي احد الايام قذف البحر بطائرة برية محطمة الى شواطئنا  
وخرج من حطام الطائرة اثنان من الطيارين ، فقام رجالنا بأسرها ثم جرى الى  
مصراة حيث قت بنفسى باستجوابها ..

قالا .. انها خرجا من مالطة للقيام بمهمة استطلاعية فوق البحر ولكنها ضللا  
الطريق ، وعندما فرغ وقود الطائرة اضطرا للغزول في الماء .. وقذفت الامواج بالطائرة  
الى الشاطئ فتحطمت ..

ولم يكن في وسعى اثناء استجوابها ان أتبين منها صحة الاشاعات التي كانت تتردد في  
تلك الايام عن اشتراك الطائرات الانجليزية مع الطيارين الإيطاليين في ضرب مواقعنا  
على الشواطئ بقنابل الطائرات .

وتقرر أن تحتفظ بها أسيرين في ايدينا ..

وكان أن خصص لها مسكن لاقامتها تحت الحراسة ..

وبعد قليل ظهر انها ماهران في لعبة البريدج فكانا يدعوان في اكثر الليال للسهر مع  
الامير عثمان فؤاد وزميله البرتغالي والتنافس معها في لعب الورق ..

وكان الأميران يجبان بعض المشروبات الروحية فقد كانا يتناولانها خفية ، وقد وجدا  
في الاسيرين زميلين يجيدان شرب الويسكى ، ولا يبوحان بالسر ..

وكان أحد الاسيرين انجليزية .. أما الثاني فكان كنديا ، وقد ظلا الى نهاية الحرب في  
هذا الاسر اللذيذ ، وكان تسريحهما بعد الهدنة عندما تقرر اطلاق سراحهما ليقوما بابلاغ



انجلترا .. والعالم كله قرارنا باعلان أول جمهورية على الارض العربية .. وهى الجمهورية  
الطرابلسية !



بقينا فى حالة انزعاج شديد بسبب تتابع الغارات الجوية على مواقعنا ..  
ولم تكن عندنا صفارات انذار ولذلك قنا بانشاء نقط للمراقبة على امتداد  
الشواطىء ، وعملنا على تزويد كل نقطة بخط تليفون ، وبعدد من المراقبين ..  
وكان على هؤلاء المراقبين بمجرد ان يشاهدوا احدى الطائرات أن يتصلوا بمسكراتنا  
بالتليفون لابلغها أمر هذه الطائرات .  
وكان على عامل التليفون عندما يتلقى هذه الاشارات ان يدق جرسا يعرف به أهل  
المنطقة حول المسكر أن هناك غارة جوية ..  
وكان علينا بمجرد أن نسمع هذا الجرس ان نهرع إلى مجموعة من الخنادق أعدناها  
خصيصا للاحتباء من الغارات الجوية ..

ومع مرور الايام اخذ الاهالى لا يعيرون أجراس الانذار اهتماما .. ولكن نظام الالتجاء  
الى الخنادق ظل متبعا فى المراكز الهامة لاسيا فى مصراتة .. وفى الزاوية الغربية ..  
وكانت مصراتة كما سبق ان قلت هى مركز قيادة الامير العثماني عثمان فؤاد ..  
أما الزاوية الغربية .. فقد كانت مقرا لقيادة اسحاق باشا قائد الجبهة الغربية ..  
وكانت هذه الجبهة تمتد من مدينة طرابلس حتى الحدود التونسية ..

ولكن أثر هذه الغارات الجوية .. كان من الوجهة العملية ضعيفا جدا فهى على  
ما كانت عليه من شراسة ، وبالرغم من آلاف القنابل التى قامت الطائرات بالقائها  
علينا ، لم تدمر الا عددا قليلا جدا من المساكن ..

وكانت النتيجة ان خف الذعر الذى كان يستولى على الناس بسبب هذه الغارات  
الجوية ..

وأصبحت رؤية الطائرة .. ورؤية القنابل وهى تهوى على الارض من المناظر الطبيعية  
للغاية .

وكانت من عادة بعضهم عندما تظهر الطائرات المفيرة ان يستلقوا على ظهورهم على الارض ، ثم يأخذوا في الفرجة عليها .. وحاول بعض المسلحين من رجالنا اصابة بعض الطائرات المفيرة باطلاق المدافع الرشاشة عليها .. وأحيانا بالتصويب عليها بالبنادق .. ولكن أحدا منهم لم يوفق في اسقاط واحدة من هذه الطائرات عندما اشتدت غارات الطائرات الحربية علينا في عام ١٩١٨ .

نسيت أن أذكر انه قد ذهب ضحية هذه الغارات الجوية ضابط مصرى كان متطوعا للحرب معنا ..

اننى لا أذكر الآن اسمه رحمه الله .. وان كنت اذكر انه كان محبوبا للغاية من الجميع .. وكان معروفا بالشجاعة !



وفي تلك الايام .. صار وصول الغواصات لتحمل الى الامير الاموال والذخائر والاسلحة اكثر انتظاما مما كان عليه من قبل ..

وكنا قد اتخذنا من منطقة اشتهرت باسم سيدى عبد الرازق .. وهى تبعد نحو ٣٠ كيلو مترا عن مصراته مستودعا للمواد الحربية التى كانت الغواصات تحملها الينا ..

وتقع هذه المنطقة في قلب المناطق الجبلية التى تنتشر فيها المغارات الطبيعية وكان من السهل علينا تحويل هذه المغارات الى مخازن ومستودعات لمهماتنا العسكرية !

وكانت الامواج تقذف إلى الشاطئء بين الآونة والاخرى بعض حطام البواخر التى كانت الغواصات الالمانية تفرقها في طريق وصولها إلى سيدى عبد الرازق ..

وكان بعض الاهالى يلازمون الشواطء لاصطياد مايمكن ان تجلبه الامواج اليهم من حطام هذه البواخر ..

وكان من بين ما تقذف به الامواج احيانا الى الشاطئء نساء ورجال واطفال من ركاب هذه البواخر ..

ومن هؤلاء سيدة في مقتبل العمر جاء بها الاهالى الينا في مصراته وعند استجوابها ، تبين انها ايطالية وانها كانت تعمل مدرسة في احدى المدارس وقد قامت غواصة باغراق الباخرة التى كانت تسافر عليها ، ففرق معظم ركاها .. اما هى فقد ظل الموج يتلاعب

بزورق النجاة الذى ركبته لمدة يومين كاملين حتى ساقها الريح الى شواطئ خليج  
سرت .. وكان ان نجت من الموت غرقا !



وفى تلك الايام .. كانت بعض القبائل الجزائرية .. ومنها قبائل الطوارق المشهورة قد  
قامت بالهجوم على الفرنسيين فى جنوب الجزائر .

ولم تكن مفاجأة عندما جاءت الينا رسالة عاجلة من وزارة الحربية العثمانية تقول أن  
من رأى الالمان ان نفتح جبهة جديدة مع الفرنسيين أيضا .. وأن يكون فتح هذه الجبهة  
بالهجوم من ناحية فزان ..

وصحيح أن استعداداتنا للحرب ضد الايطاليين كانت تجرى على قدم وساق الا اننا لم  
نكن قد وضعنا فى اعتبارنا فتح هذه الجبهة التى اقترحها الالمان كما فهمنا على الدولة  
العثمانية ..

وكان على ان اقوم بتفقد الحالة فى منطقة الحدود التونسية قبل ان نتخذ قرارنا فى هذا  
الشأن .

ولم انتظر وبادرت بالقيام برحلة الى هذ المنطقة ، استغرقت عدة أيام .

ولم يكن فى وسعى بعد عودى الى مصراته إلا أن ايبن للامير عثمان فؤاد ولرئيس اركان  
حربه عبد الرحمن نافذ بك وجهة نظرى بصراحة ..

قلت لها .. اننى ارى خطورة فى فتح الجبهة الجديدة ضد الفرنسيين واقترحت ان  
نطلب من الألمان كميات وفيرة من الاسلحة والذخائر والاموال وما يلزم الحرب على أن  
يتم تشوين كل ما يصل الينا منها فى الجبل قبل الشروع فى أى عمل ضد الفرنسيين .

واقنعنا الاثنان برأىي ، وقام الامير عثمان فؤاد بابلاغه الى الاستانة !

وفى نفس الوقت أوفدنا بعض الرسل الى قبائل الطوارق فى جنوب الجزائر عند  
فزان ..

كنا نريد ان ننسق بين عملنا وعملهم فى الحرب ضد الفرنسيين ..

وتحمس زعماء هذه القبائل للتعاون معنا وأوفدوا الينا بعض مبعوثهم ليعرضوا علينا

استعداد قبائلهم لمناصرة الدولة العثمانية اذا ما قامت قواتنا بالهجوم على الفرنسيين في جنوب الجزائر عند فزان ..

وبقى هؤلاء الرجال معنا ، واشتركوا في الحرب والجهاد الى جانب قواتنا حتى النهاية ؟

وكان واحد من هؤلاء الرجال يعرف التجيم ، فاستدعيته في ذات ليلة الى خيمتي في معسكر كنت اقيم فيه في الجنوب من مدينة طرابلس ، ثم طلبت اليه أن يجيبي عما يمكن أن أوجهه اليه من أسئلة ..

وكانت دهشتي عندما رحب الرجل بالاجابة على اسئلتى واشترط أن يحدد بنفسه الليلة التي يجيب فيها على أسئلتى ..

فلما سألته عن الليلة التي يختارها قال :

- يمكن أن يكون ذلك في يوم الاثنين القادم !

وجاء الرجل في يوم الاثنين كما اتفقنا ، وكان يحمل معه كيسا به بعض النوى وقطعة فحم .. وقطعة أخرى من الطباشير ..

وناولني الرجل نواة بعد أن أخرجها من الكيس ، وهو يقول لي :

- أهس اليها بأستلتك .. !

وسألت النواة بصوت خافت حتى لا يسمعه الرجل ..

قلت لها : هل سندخل مدينة طرابلس ؟

وأخذ الرجل النواة ليرسم عليها علامة بالطباشير ثم قام بوضعها في الكيس .. وأخذ

يهزه بعنف ..

وبعدها أخرج النوى الذي كان بداخل الكيس ، وقام بنثره على الارض ..

كنت أتابعه في صمت .. وشاهدته ، وهو يمد يده الى النواة التي وضع عليها علامة

بطباشيره ..

ثم رأيت ، وهو يحملني فيها بدقة ..

وكانت مفاجأة مثيرة عندما سمعت الرجل ، وهو يكرر على نفس السؤال الذي كنت

قد وجهته الى النواة ..

كنت على يقين من أنه لم يسمعى عندما وجهت اليها هذا السؤال ..  
 وازدادت دهشتي ، عندما أخذ الرجل يصف لى مدينة طرابلس وصفا دقيقا ..  
 وبعدها لمعت عينا الرجل ببريق عجيب ، ثم التفت ناحيتى ، وهو يقول :  
 - ستدخل هذه المدينة ظافرا من هذه الناحية فى مقدمة جيش كبير ..  
 وأشار الرجل الى الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة ثم أخذ يصف لى مقدمة هذا  
 الجيش ..  
 ولن تصدقوا .. لقد وصف لى رمضان السويحلى وزملاءه من قادة الجهاد واحدا  
 واحدا ..  
 وبعدها استطرد يقول لى :  
 - سيستقبلكم بباب المدينة رجالان من الاشراف لها وجهان اسودان ، وسيدخلان بكما  
 الى البلاد يتبعكم جيش كبير ..  
 وأطرق الرجل قليلا .. قبل أن يقول لى :  
 - توجد فى هذه البلاد امرأة عجوز .. وأنا أراها تمسك بأطراف ثوبك وهى تصرخ :  
 هذا نصيبى لن أتركه !  
 كانت نبوءة غريبة .. ولاأظن أننى صدقت الرجل ، فقد كان فى رأى حتى تلك  
 اللحظة .. ان دخولنا مدينة طرابلس فاتحين أمر مستحيل ..  
 ولاحظ الرجل استخفافى بما كان يقول فبادر يقول لى :  
 - هل تريد أن أعين لك الوقت ايضا ؟  
 قلت له مازحا : ولم لا ؟ ..  
 قال : اسأل هذه النواة .. وأنا أرد عليك ..  
 ولم يكن أمامى الا أن استمر معه فى نفس اللعبة ، وكان أن أمسكت بالنواة وهمسرت  
 أسأها عن الموعد الذى تحدده لدخولنا الى مدينة طرابلس ..

وأخذ الرجل يتمعن في النواة بعد أن أعدتها إليه ، ثم التفت الى وهو يقول :  
- اسمع .. ان دخولكم الى مدينة طرابلس سيكون بعد أكثر من ثلاثة أشهر وأقل من  
سنة !

ولن تصدقوا .. اننا دخلنا فعلا مدينة طرابلس بألف وخمسمائة فارس في نفس الموعد  
الذي حدده الرجل !



## عظفت على السنوى فتخرج موقفى !

كانت المنطقة التى تمتد فى الشرق من فزان هى المنطقة الوحيدة التى استعصمت الى حد ما على نفوذ الدولة العثمانية .. وكان السبب نأرا قديما بين أحد شيوخ القبائل التى تعيش فى هذه المنطقة والدولة العثمانية ..

كان هذا الشيخ واسمه الشيخ سيف النصر بن سيف النصر شيخا لمشايخ قبائل اولاد سليان التى تعيش فى هذه المنطقة ..

كان شبيخا فى الثمانين من عمره ، وكان الأهالى والقبائل التى تعيش فى المنطقة تحت سيطرته ونفذه ..

وكان الرجل داهية عركته الأيام ، وكان واسع الحيلة شديد البطش وقد اشتهر باسم .. ذئب الصحراء ..

وكنت قد سمعت أثناء جولاقى فى جوف الصحراء حكايات مثيرة عن الخصومات المزمنة التى كانت تنتشر بين القبائل ..

كان لكل قبيلة نأر لاتنساه

ومما كانوا يروونه .. انه حدث مرة أن جماعة من البدو قد ركبوا سفينة شرعية لتنقلهم من شواطئ طرابلس الى جزيرة مالطة ..

وأثناء الرحلة فى البحر شاهد أحد البحارة واحدا من هؤلاء البدو وهو يحاول أن يخرق قاع السفينة حتى تغرق ، ولما سألوه .. لماذا تعرض السفينة بما عليها من بضائع وركاب لخطر الغرق فى البحر .. قال .. انه من قبيلة الرفيعات .. وقد أثار انتباهه أثناء الرحلة أن معظم ركاب السفينة من قبيلة (أورشب فانه ) التى بينها وبين قبيلته نأر قديم ، فبادر بمحاولة خرق قاع السفينة حتى يغرقها بمن فيها ..

ولما قيل له .. ان بعض ركاب السفينة ينتمون لقبيلته .. وكان ممكنا أن يفرق هو أيضا مع السفينة .. قال :



- لا بأس .. أن أغرق انتقاما من القبيلة الاخرى .. ولا بأس أيضا ان يفرق الذين تحملهم السفينة من أهل قبيلتي لأنهم قليلون !



انقضى صيف عام ١٩١٨ دون حوادث .. وان بقيت بعض المناوشات التي كانت تقع بيننا وبين الايطاليين في الجبهة الغربية من آن لآخر

وكان الجيش الذى يقوده اسحاق باشا قائد الجبهة الغربية قد قوى واشتدت المنافسة بينه وبين رمضان السويحلى الذى كان حريصا على أن تبقى الذخائر والمواد العسكرية التي كانت تحملها الفواصات في منطقة نفوذه .. والا يرسل منها الى الجبهة الغربية الا بما تقتضيه الضرورة .. أما اسحاق باشا فكان من رأيه أن ترسل المعدات العسكرية والذخائر الى مقر قيادته في الزاوية الغربية لدعم جبهته باعتبارها أهم ميادين الحرب . ومع اشتداد المنافسة بين الاثنين ، أخذ اسحاق باشا ينظر بالرغبة الى رمضان ، بالدرجة التي جعلته يفكر في اعداد حملة عسكرية لضربه والقضاء عليه ..

وكان في رأيه .. ان التخلص من رمضان يمكن أن يساعد الدولة العثمانية على الانفراد بحكم طرابلس دون أن تضطر للعمل بسياسة ارضاء زعماء العشائر الذين كانوا ينازعونها السلطة ، ومنهم رمضان ..

ولكن رمضان السويحلى ، كان قد أصبح قوة تهدد فعلا نفوذ الدولة العثمانية .. وقد اضطر الامير عثمان فؤاد أن يتدخل في الوقت المناسب عندما اصطدم الرجلان حتى يمنع الحرب بينها ..

وكان اسحاق باشا قد استنفر قواته ليحركها للحرب ضد رمضان ، لولا تدخل الامير العثماني انقاذا للموقف !

وتقرر اعادة اسحاق باشا الى الاستانة ليعود الهدوء الى الجبهة الغربية التي كانت تمتد الى الحدود التونسية ..

وتلاشت تدريجيا آثار الفتن التي كانت مستحكمة في البلاد عندما جئنا لأول مرة مع نوري باشا الى هذه المنطقة ..

وأخذ نفوذ الدولة العثمانية يمتد في مختلف أنحاء طرابلس ، وان بقيت بعض المناطق

القليلة في جنوب سرت وشرق فزان لا يصل إليها هذا النفوذ..

وكان على أن أبدى اهتماما خاصا بوفود الطوارق التي كانت تتوافد علينا في مصراته في تلك الايام ..

وكان رأيي أن الدولة العثمانية يمكن أن تمد نفوذها بالتحالف مع هؤلاء الطوارق الى ماوراء الصحراء ..



كان الطوارق يعيشون على الفطرة في جوف الصحراء الكبرى .. وكانوا كما عرفتهم يشبهون في جميع مظاهرهم أعراب قبائل البدو التي عرفناها في حياتنا في الصحراء ..

وأذكر حديثا دار بيني وبين واحد من المغاربة كان يعيش مهاجرا مع أهله في قلب الصحراء مع قبائل الطوارق ..

كان قد جاء إلينا في مصراته مع أحد جماعات الطوارق التي كانت تتوافد علينا .. وكنت قد فهمت منه وهو يتحدثني عن حياته في قلب الصحراء مع قبائل الطوارق أنه غائب عن أهله وزوجته وأولاده منذ عدة أشهر .. ولذلك بادرت أسأله :

- لماذا لاترجع الى أهلك بعد هذه المدة الطويلة ؟

قال الرجل :

- وكيف أعود إليهم ، وأنا لم أغنم شيئا أرجع به إليهم .

قلت له :

- ولكن كيف يمكن أن يعيش اهلك وزوجتك وأولادك بدونك ، وهم غرباء عن قبائل الطوارق التي يعيشون بينها !! ..

قال الرجل :

- اني لأخشى عليهم شيئا مادمت غائبا فهم يقيمون الى جوار قوم كرماء .

ثم استطرد يقول لي :

- لقد اعتاد الطوارق أن يعيشوا معا ، فاذا رجع أحدهم بغنم من نهب أو غزو

أو تجارة ، قسم ما حصل عليه بين أهله وجيرانه .. وأنا استحي أن أدخل عليهم من غير  
مغتم ..

قلت له : وماذا ستفعل ؟

- على أن انتظر حتى يفتح الله على باب الرزق فأعود ويدي مايمكن أن أوزعه بين  
أهلى وجيرانى ..

كانت أول مرة أسمع فيها عن مثل هذه الصورة الرائعة لتقاليد الحياة عند قبائل  
الطوارق فى قلب الصحراء ..

وابتسمت وأنا أقول لنفسى :

- انها أروع صور الاشتراكية الانسانية التى عرفها الانسان منذ آلاف السنين .. وقد  
توارثتها هذه القبائل التى تعيش فى قلب الصحراء أبا عن جد !

وفى قلب الصحراء يطلق بعضهم على قبائل الطوارق اسم ( المثلثون ) والسبب هو  
اللثام الذى يضعونه على وجوههم .. فهم يغطون به رؤوسهم بحيث لا يظهر من وجوههم  
الا عيونهم ..

وإذا حدث أن سقط اللثام عن وجه أحدهم أسرع باعادته الى مكانه تماما كما تفعل  
المرأة المحجبة عندما يسقط الحجاب عن وجهها ، فتبادر فى خجل واستحياء لاعادته الى  
مكانه !

واشتهرت قبائل الطوارق بالصبر على مشاق الاسفار فى قلب الصحراء وبمقاومة  
الشدائد بشجاعة وجلد لانظير لها .. ومن عاداتهم عندما يخرجون للغزو أو الصيد فى قلب  
الصحراء ، أن يخرجوا على هجينهم .. أى على جمالهم دون أن يشقلوها بالماء أو المتاع حتى  
يتسنى لهم الاغارة على اعدائهم من مسافات بعيدة .

وهم يسكرون أحيانا لبضعة أسابيع ، دون أن يحمل الواحد منهم على جملة أكثر من  
حصته من ( الزميطة ) وهو الاسم الذى يطلقونه على الشعر الذين يقومون بتحميمه ثم  
طحنه .. وقليل من التمر والماء ..

ومن عاداتهم أيضا التى سمعت عنها .. أنهم يلجأون إذا ما جاعوا إلى ابلههم ،  
فيفصدونها ، ثم يتلقون دماها فى أوعية من النحاس ..

وهذا الدم يقومون بطبخه على النار ثم يأكلونه .. !

وهم أحيانا يشقون سنام الابل، ويقتطعون منها الشحم، ثم يخيطون مكانه .

ومن عاداتهم تخزين هذا الشحم ليأكلوه اذا ما اضطرتهم ظروف الصحراء القاسية لذلك !

وتشتهر ابل الطوارق مثلهم بالسرعة والتحمل والصبر على الجوع والعطش !

\*\*\*

وأترك قبائل الطوارق الى مشكلة أخرى واجهتنا على أثر عودتنا الى ليبيا .

كان السيد أحمد الشريف السنوسي لا يزال يقيم في منطقة سلطان في شرق ( سرت ) .. وكان علينا تنفيذاً للتعليمات التي كنا نحملها من الاستانة أن نمده بما كان يحتاج اليه لدعم قواته بما كانت تحمله الينا الغواصات الالمانية ولكن حادث اعتداء أنصار السويحلي على القافلة التي ذهب ضحيتها صديقنا الشهيد المصرى الدكتور دسوقي ، كان قد ترك آثارا سيئة في نفس السيد أحمد الشريف السنوسي ..

وكان أن تحول الخلاف بينها الى عداوة ..

وأخذ رمضان السويحلي يعارض بشدة في امداد السيد احمد الشريف السنوسي بما كان يحتاج اليه في منطقة سلطان ..

وأدت هذه المعارضة الى مشاكل خطيرة بينه وبين الامير عثمان فؤاد مما اضطر الامير العثماني للاتفاق مع السيد أحمد على أن يتحرك بمركزه شرقا ليستقر في ناحية العقيلة .

وطلب في نفس الوقت الى الاستانة أن تعمل على مده بالغواصات رأسا في قاعدته الجديدة ..

ولكن حدث بعد أن تم انتقال السيد أحمد الى العقيلة أن وجد نفسه في مركز أسوأ مما كان عليه ، فقد أصبح محاصرا بين ابن عمه السيد ادريس السنوسي في الشرق .. وبين رمضان السويحلي في الغرب ..

وكان كلاهما خصما له ..

واضطر الرجل لأن يبق في مكانه لا يستطيع حراكا ..

ولم يعد له أى عمل على شاطئ البحر..

ومع مرور الايام أخذ الرجل يعاني صعوبات كثيرة في تامين رجاله وجنوده..

وهنا يعنى أن أقول.. اننى كنت شديد العطف على السيد أحمد الشريف السنوسى..  
أولا لتأكدى من اخلاصه ووطنيته.. وثانيا: لكثرة ماعاناه من شقاء ومتاعب وهو يجاهد  
في سبيل بلاده.. وثالثا: لأن معظم المصريين الذين خرجوا مثل للجهاد في سبيل بلادهم  
عن طريق الصحراء الغربية كانوا قد تطوعوا للقتال معه..

وكان قائد قواته هو صديق المجاهد المرحوم محمد صالح حرب!

كان هذا شعورى تجاه الرجل، وقد حاولت مخلصا أن أساعده في حل مشكلة تزويده  
بكل ماكان يحتاج اليه مما تحمله الغواصات الالمانية البنا..

ولكن رمضان السويحلى كان يقف دائما لجميع محاولات بالمرصاد.

وكان موقفى في تلك الأيام في أشد حالات المرح.. أولا لتصور رمضان السويحلى أننى  
سأنتقم منه يوما للمذبحة التى دبرها وذهب ضحيتها صديقى المرحوم الدكتور دسوقى..  
وكان أن أخذ يراقب كل حركة تبدو منى، ويفسرها أسوأ تفسير.. وثانيا لما عرفته من  
أن الاتراك لا يطمنون كثيرا للسيد أحمد الشريف السنوسى، برغم ماكان يظهره من ولاء  
لهم.. فقد كانوا يقولون عنه.. انه رجل عنيد ولا يمكن أن يصبح آلة طيعة في أيديهم..

ولم يعنى ماكنت أشعر به من حرج من أن أحاول أن أفعل شيئا لمساعدة الرجل  
الذى أفنى حياته من أجل القضية التى آمن بها.. وهى قضية بلاده!



نسيت أن أقول أن سليمان البارونى عندما عين واليا لطرابلس كان قد اتخذ مركزا له  
في فندق بنى عشير في مدينة مصراتة..

وأخذ أعيان البلاد ووفود القبائل يتوافدون عليه على أثر عودته من الاستانة لتهنئته..

ومع توليه مهام منصبه الجديد أرسل الى قناصل أمريكا واليونان وهولندا وأسبانيا  
مذكرة يقول لكل واحد منهم:

- المرجو من جنابكم أن تخبروا دولتكم بما سياتى:

نزلت على ساحل مصراتة قادما من دار الخلافة العثمانية الاسلامية حاملا الفرمان السلطاني العالى الشأن المتضمن تقليدى ولاية طرابلس وقيادة جنودها الاسلامية ، فدخلت مصراتة تتقدمنا الراية العثمانية المقدسة ، واستقبلتنا الأهالى كبارا وصغارا ، ثم وصلت زليتين وساحل الخمس فى مواكب لم يسبق لها نظير ، وهناك جاءتنا الوفود من أطراف الولاية جميعها من فزان الى زواره وبحضورهم عقدت الصلح بين ترهونة ومصراتة فى نصف ساعة ، وتقدمت الى مركز ترهونة ثم العزيزية ورفعت الراية العثمانية المنصورة بيدي على قلعة استحكام سيدى رمضان فى احتفال عظيم وانطلاق المدافع ، ثم دخلت جنزور . .

وفى يوم ١٣ صفر سنة ١٣٥٥ تم قراءة الفرمان العالى الشأن باحتفال عظيم على النحو الذى ستقرأونه فى صورة الاعلان الملفوف مع هذا ، ومازال الطيار الطليانى يزجج النساء والفقراء المشتغلين بالحراث ويرمى القنابل الكبيرة عليهم . .

### سليمان البارونى

كانت تلك المذكرة بمثابة إعلان رسمى من الوالى الجديد بتوليه مهام منصبه الجديد واليا لمنطقة طرابلس الغرب وقومنداننا لها أى قائدا لقواتها العسكرية . .

ومع هذا الاعلان الرسمى قام سليمان البارونى بارسال نسخة من فرمان تعيينه فى هذا المنصب الجديد لكل واحد من هؤلاء القناصل الاجانب . .

وانتظمت فى تلك الأيام حركة النقل بالفواصات بين سواحل الدولة العثمانية ومصراتة . .

وعندما كان السيد احمد الشريف السنوسى فى الاستانة كان سليمان البارونى يبعث اليه بالرسائل ليستشير برأيه فى الكثير من المشاكل . .

ولم يكن السيد أحمد الشريف السنوسى يبخل عليه بالرأى أو المشورة . .

وأطلعنى سليمان البارونى مرة على واحدة من رسائل السيد أحمد الشريف اليه . .

كانت تقول بالحرف الواحد :

- انه من عبد ربه مملوك أستاذة ، ونائب أمير المؤمنين فى أفريقيا ووزيرها أحمد الشريف السنوسى . .

حضرة صاحب العطفوة المحترم والى وقومندان طرابلس الغرب سليمان البارونى أدام الله  
علاه وأبناؤه ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومرضاته ..

أما بعد - فقد وصل كتابكم الكريم يحمل تهانيتكم بما تفضل به على شخصى الضعيف  
مولانا الخليفة الأعظم أيد الله سلطانه ، وإنى أشكركم من كل قلبى على حسن ودادكم  
وكريم سجاياكم ، وانى انتهز هذه الفرصة فأزف لكم عبارة التهانى والتبريك بما ولاكم اياه  
جلالة السلطان الأعظم من ولاية طرابلس فنعم الرأى الذى أحلكم هذا المقام ، ومازلتم  
حائزين لثقة مولانا أمير المؤمنين ووفقكم الله لخدمة الدولة وألله على الوجه الأكمل ، وأن  
يتم الاصلاح المرغوب فيه على أيديكم ..

وسرنا ما ذكرتموه من حصر العدو فى استحكاماته والتضييق عليه زاده الله ضيقا  
وأعانكم على التخلص منه ..

أما ما ذكرتموه من أمر العدو فى الجبهة الشرقية ، فلا أخالكم لاتعترف من ذلك  
مالا يعرفه غيرك من انى لو استطعت لفضيت عليهم ، وطهرت الأرض منهم اليوم قبل  
باكر وتعرف أيضا أنه ماتمکن مما تمکن منه الا بعد حركتنا نحو مصر ، ولولاها لكانا قدفنا  
به اليوم فى البحر ، وماكان له أثر ولا خبر . ولكن تلك الحركة ، ولو أنها أفادت الدولة  
والملة من وجوه كثيرة وشغلنا بها أكبر عدو لمقام الخلافة ، فإنها كانت سببا لنفوذ الطليان  
الذى لا يتألم منه أحد أكثر مما أتألم منه ، ولو أن لى قوة ماتأخرت يوما عن مناواته ، ولكن  
ماذا أفعل وأنا صفر اليدين من كل شىء بعد هذا الجهاد والحمد لله .

أما أنتم فعلى الاستعداد التام بتتابع الغواصات لكم أمام عدو واحد اسأل الله أن  
ينصركم عليه . ونحن مع عدم كل شىء حتى ستر عورات العساكر أمام ثلاث قوات  
مستعدة لاقبل حركة تبدو منا فلو لم نقابلها بقوة مثلها واستعداد كاستعدادها ، ربما وصل  
أذاها حتى جبهتكم ..

وفى الختام تقبلوا احتراماتى وتسليماتى وبلغوها لكافة اللاتئين بالمقام واخوانكم  
المجاهدين الأبطال ، ودمتم والسلام ..

ذو القعدة سنة ١٣٣٥ هـ

أحمد الشريف

كانت هذه الرسالة بمثابة تقرير لتطورات الموقف في منطقة طرابلس الغرب ..  
وقد شعرت ، وأنا أقرأ كل كلمة فيها وكأن هذه الرسالة كانت موجهة الى ..  
وكان واضحا من كلماتها .. أن الرجل الذى حمل مسؤولية الجهاد على كتفيه عدة  
سنوات يعيش فى الاستانة ، بينما كان قلبه وفكره مع المجاهدين الذين اصلوا الحرب من  
بعده ضد قوات الاستعمارين الانجليزى والىطالى .





## اقرهت مواجزة لهزيمة تركيا بإعلان الجمهورية في طرابلس

كان البارون فون تاودن مور الالمانى قد انضم الينا فى مصراتة فعملت على اقتاعه بأن ألمانيا قد تجدد فى السيد أحمد الشريف السنوسى مؤيدا لمشروعاتها فى افريقيا . قلت له .. ان الرجل اشتهر بخصومته البغيضة للانجليز من ناحية .. وللطليان من ناحية أخرى ..

وحدثته عن رغبته فى الجهاد ضد الفرنسيين الذين كانوا يحتلون الجزائر ، وهى مسقط رأس جده السيد محمد على السنوسى ..

وكان هدفى من هذا الحديث أن أثير اهتمام الالمان بالرجل ، وقد تصورت ان فى وسعى اقتاعهم بأن تقوم الفواصات الالمانية بتزويده بما يحتاج اليه مباشرة فى العقيلة .. ولو خفية عن الاتراك .

وجاء الى مصراتة فى تلك الأيام صديق المرحوم محمد صالح حرب يحمل رسالة هامة من السيد أحمد الشريف السنوسى الى الامير عثمان فؤاد .

كان يطلب اليه ان تقوم احدى الفواصات الألمانية بنقله الى الاستانة ليقابل أنور باشا وزير الحربية العثمانية لبحث تطورات الموقف . وبعدها اما أن يرجع مزودا بما يساعده على استرداد نفوذه فى طرابلس ، واما أن يستريح فى الاستانة الى نهاية الحرب ..

وكان المرحوم محمد صالح حرب فى أشد حالات النعمة على قتلة المرحوم الدكتور دسوقى ، ومن كان معه ، ولذلك عملت كل مافى وسعى لاختفاء مشاعره حتى لآثير رمضان السويحلى عليه ..

واتهزت الفرصة لأجمع بينه وبين رمضان وبعض أعيان مصراتة ..

ولا أريد أن أقول اننى جاهدت كثيرا حتى يعود المرحوم محمد صالح حرب سالما الى مقر السيد أحمد بناحية العقيلة !

وكان تخوفى كله من أن يترى به أنصار السويحلي في طريق عودته باعتباره قائد قوات السنوسى .

\* \* \*

عاد المرحوم محمد صالح حرب وأمكن في نفس الوقت اقناع الامير عثمان فؤاد ورئيس أركان حربه بالعمل على انقاذ السيد أحمد من الوضع السيئ الذى أصبحت عليه قواته .

وكان أن تقرر العمل على نقله بواسطة احدى الفواصات الى الاستانة وساعدنا البارون تاودن في عملية اقناع الامير العثماني للسماح له بالسفر .

وكان في تصور الالمان أن في وسعهم اقناع السيد احمد بزيارة برلين في طريقه إلى الاستانة ، وكان إعتقادهم أن استقبال القيصر له يمكن أن يقابل بترحيب من المسلمين بالإضافة الى تقوية نفوذ الالمان في شمال افريقيا . .

وكان أن وضعت وزارة الحربية الالمانية تحت تصرف السيد أحمد غواصة قامت بنقله هو وقائد قواته المرحوم محمد صالح حرب الى أوروبا .

واتفق على أن تبقى قواته في منطقة العقيلة في انتظار عودته ، على أن تتلقى من القيادة العثمانية في مصراتة ما يمكن أن تجود به عليها مما كانت تنقله الفواصات الالمانية اليها . . أخيرا تفرقت هذه القوات وقد التحق بعض أفرادها بالسيد ادريس السنوسى . . وجاء آخرون الى مصراتة . .

وعندما اقترح الالمان على السيد أحمد الشريف السنوسى القيام بزيارة برلين ومقابلة القيصر في طريقه الى الاستانة لم يوافق وقال لهم إنه يفضل أن يزور الخليفة في الاستانة أولا . . وأن عليه أن يواصل رحلته بعد نزوله على الشاطئ الأوربي الى تركيا مباشرة . .

وبما سمعته من ربان الغواصة التي نقلت السيد أحمد الى أوروبا عندما قابلته مرة أثناء احدى رحلات غواصته الى مصراتة . . أنه قد دهش كثيرا لشجاعة الرجل وتجلبده وتقواه . فقد كان يراه قائما للصلاة في حجرته الضيقة داخل الغواصة لساعات طويلة . .

كان ذلك غريبا على قائد الغواصة الالمانى . .

لكنه لم يكن غريبا على الذين عرفوا السيد أحمد . . وعرفوا انه كان متعودا على قضاء

الليل كله في الصلاة .. وانها كانت عادته اليومية أن يقرأ نصف القرآن أثناء صلاة  
الترابيح ..

\*\*\*

قابل السيد أحمد الخليفة محمد رشاد في الاستانة ..

كما استقبله أنور باشا وزير الحربية العثمانية .

واستطاع الرجل أن ينفق كل ماكان يتردد حوله من اشاعات ..

وكان أن حصل على وعد بأن تعمل الدولة العثمانية على شد أزره ومذه بالرجال  
والعتاد ..

وحدث في تلك الأيام أن توفى السلطان محمد رشاد . وقد تمت مبايعة السلطان وحيد  
الدين بالخلافة مكانه .. وكان السيد أحمد هو الذى قلبه سيف الخلافة وبذلك ارتفعت  
مكانته بالدرجة التى كانت كافية لأن تعمل الدولة العثمانية على تحقيق مطالبه ومساعدته في  
استرداد نفوذه في طرابلس ..

ولكن انتهاء الحرب لم يلبث أن قضى على جميع آماله ..

واضطر الرجل لأن يبق في الاناضول عدة سنوات ناصر خلالها حركة كمال  
أتاتورك .. ثم اضطر لأن يهاجر الى مكة ..

وعاش الرجل متنقلا بين مكة والمدينة ، ولم أقابله لمدة ٢٦ سنة حتى كان عام ١٩٤٨  
عندما عثرت عليه يعيش في حالة سيئة للغاية في ناحية أبو قبيس ..

ولم يكن منى الا أن جمعت له نحو ١٥٠ جنيها من الذهب من بعض اخوانى أهل  
الحفير . ثم قدمتها اليه ..

وكانت علاقتى بجلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود تسمح برجائه والطمع في  
بره ولم يكن في وسعى الا أن أذكر لجلالته أمل المسلمين في أن يلقى السيد أحمد كل رعاية  
من جلالته ..

ولم يدخر جلالة العاهل السعودى العظيم وسعا في تقديم كل مساعدة للرجل الذى  
عاش حياته في صراع رهيب ضد قوى الاستعمار الانجليزى والايطالى في بلاده وضد  
الذين حاربوه من أبناء وطنه .

\*\*\*

وهنا يجب أن أقول كلمة للتاريخ ..

كان السيد أحمد الشريف السنوسي مجاهدا عظيما .. وكان رجلا لا يعرف اليأس ..

واذكر أنني في الوقت الذي كنت مشغولا فيه بتوفير ضروريات الحياة له .. كان هو لا يزال على آماله العريضة ، مؤمنا بأن دوره لم ينته .. كان يقول إن رسالته لم تتم .. وأن عليه أن يستأنف الجهاد لطرد الطليان والفرنسيين من شمال افريقيا ..

وكم حاولت اقناعه بالحقيقة .. ولكنه كان رجلا كما قلت لا يعرف اليأس ، وأظنه كان متأثرا ببعض تنبؤات تلقاها من مشايخه ..

كانت تقول له إن دوره أت لاريب في ذلك ..

ولكن الرجل لقي ربه بعد بضع سنوات ودفن في البقيع بجوار الصحابة والمجاهدين الاولين من المسلمين ..

وكانت نهاية الرجل المجاهد البطل .

\*\*\*

اعود مرة اخرى الى مصراته عندما أعلن وفاة السلطان محمد رشاد ..

لقد أذيع بها بيان رسمي موجه الى الجيش والاسطول باسم السلطان الجديد محمد وحيد الدين يعلن فيه تبرعه على عرش الخلافة العثمانية ..

وجاءنا في مصراته نص هذا البيان ( الهيايوني ) كما كانوا يطلقون عليه كتبليغ رسمي من أنور باشا وزير الحربية العثمانية في شمال افريقيا ..

وكانت ترجمة هذا البيان من اللغة التركية الى اللغة العربية تقول بالحرف الواحد :

- ترسما لآثار أجدادى العظام ، وفي ضريح حامل علم سيدنا رسول الله حضرة أبو أبو الانصارى المبارك تقلدت سيف أمير المؤمنين حضرة عمر الفاروق بيد وزيرى المجاهد فى سبيل الله السيد أحمد الشريف السنوسى ، وهذه المناسبة المحسنة ايضا إننى قد تحمست جدا لما اظهرته نحوى الاركان البحرية وامراء الضباط من الهبة والاخلاص ..

ان هذا السيف المقدس الذى نقل الى العثمانيين أوصاف حضرة عمر الكبير قد حملة اجدادنا العظام الذين قادوا جيوشنا الباسلة وأساطيلنا لاعلاء كلمة الله واقتحموا هذه

المالك القيمة التي نعيش عليها واليوم أيضا ها نحن نحارب في سبيل الله ، وهذا التراث الذي تركه لنا أجدادنا وديعة لإعلاء شأن العثانية والمحافظة عليها لأنني عزمت على السير ثابتا في طريق أسلافنا العظماء متوكلا على توفيقاته سبحانه وتعالى وانتم يا ابناني الصاكر الذين تحملتم حتى الآن في سبيل وطننا المبارك الحسن الكثيرة المنظوية على التراحم ستنالون المكافآت المادية والمعنوية عما أحرزناه والله الحمد على التوفيق ، فاستمروا على تضحياتكم الى أن نصل الى الغاية ، أنى أدعو للعاملين في قدسية طريق الحق المشروع بالنصر الالهى الموعود .. وأستودعكم الى توفيقات الله الحمداية في كل مكان وأسلم عليكم جميعا .

محمد وحيد الدين



كانت وفاة الخليفة محمد رشاد وتربع الخليفة الجديد محمد وحيد الدين على عرش الخلافة في الصيف ..

وفي أوائل الخريف أخذت ترد الينا الانباء عن سوء الحال في الدولة العثانية ..

كما ترددت أنباء أخرى كثيرة عن انتشار المجاعة في دول وسط أوروبا ..

وبين الآونة والآخرى كانت الطائرات الايطالية تقوم بالقاء المنشورات التي تؤكد قرب هزيمة الألمان ، وتحذر الأهالي العرب من التورط مع هؤلاء الألمان وحلفائهم الأتراك ..

وفجأة التقطت محطتنا اللاسلكية خيرا يعلن انهيار المقاومة في بلغاريا ..

وكان هذا يعنى بداية النهاية للدولة العثانية وأن الطريق قد أصبح مفتوحا الى الاستانة أمام قوات الحلفاء ..

وبسرعة أخذت أفكر في احتمالات الموقف ، وكان علينا أن نعد أنفسنا لمواجهة تطورات الامور اذا ما تدهورت الحالة ، واضطرت الدولة العثانية للتخلى عن حلفائها العرب في طرابلس .

وفي تلك الايام كانت علاقتي برمضان السويحلي قد توثقت الى درجة كبيرة ..

كان رجلا مهيبا وله شخصية فذة ..

وكان له نفوذ عجيب على أنصاره وأتباعه ..

ورمضان السويحلي أو رمضان الشتوي السويحلي كما كان بعض الناس يطلقون عليه

عاش وترى بزواية المهجولب بناحية اسمها أم البخور بمدينة مصراته ..

كان الابن الأكبر لرجل اشتهر بالفروسية والشجاعة، اسمه الشستويى بن أحمد السويحلى ..

وقد عاش هذا الرجل حتى شهد بعض معارك ابنه البطل وتوفى في سنة ١٩١٨ ، وقد دفن في مدينة طرابلس ..

وكان لرمضان اثنان من الاخوة .. أحمد وسعدون وأربع أخوات .. فاطمة وأم السعد وعيشة وحواء ..

وتزوج رمضان اثناء المعارك من واحدة من بنات عمه .. وهى فاطمة بنت عمر شغلوف ، وقد بقيت على ذمته حتى قتل في المعارك فتزوجها أخوه سعدون الذى تولى القيادة من بعده .

وأحب سعدون من زوجة أخيه طفلا وطفلة .. سليمان وقد توفى ، ولم يكن عمره تجاوز الستين في قلب الصحراء اثناء رحلة عائلات المهاجرين الى صحراء الفيوم في مصر بعد انتهاء المقاومة .. وسكينة وقد توفيت أيضا وهى طفلة بعد وصولها الى مدينة الفيوم وكانت دون الرابعة من عمرها .

\* \* \*

المهم .. كان علينا ان نندرس الموقف لمواجهة احتمالات المستقبل .

وفى ست رمضان السويحلى .. التقيت مع زعيم قبائل أورفله الشيخ عبد النبي أبو الخير .. وكان رجلا شجاعا وقد اشتهر بالدهاء ..

وكان معنا عدد من زعماء القبائل وأنصار رمضان السويحلى عندما جلسنا نفترض كل الاحتمالات ونقلب الموقف من جميع جوانبه .

وكانت الانباء قد أخذت تتكاثر علينا في مصراته لتشير الى تدهور الموقف ، وان هناك احتمالا بأن تتقدم الدولة العثمانية بطلب الهدنة ..

وتفجرت المناقشة عندما وجهت سؤالا مباشرا الى الحاضرين ..

قلت لهم : لنفرض أن الدولة العثمانية قد انهزمت في الحرب .. فماذا يمكننا أن نفعل لمواجهة مثل هذا الموقف ؟ ..

كان سؤالى مفاجئاً .. وخشيت أن يتبادر الى اذهان الحاضرين أن هزيمة الدولة العثمانية قد وقعت فعلاً ، ولذلك بادرت أقول لهم .

إنه مجرد افتراض .. وعلينا أن نواجهه ونحن نتدارس كل الاحتمالات ..

والتفت الشيخ عبد النبي ناحيتى ، وهو يقول :

- ما رأيك انت ؟ ..

قلت له بسرعة : ليس أمامنا الا أن نقيم حكومة عربية يشترك فيها أعيان البلاد تحت رعاية العثمانيين حتى إذا ما وقع مثل هذا الافتراض أمكن للبلاد أن تستمر في جهادها وأن تطالب بحريتها واستقلالها ..

وعلت الدهشة وجه الحاضرين جميعاً .

\* \* \*

كانت أول مرة تطرح فيها فكرة انشاء حكومة عربية لمواصلة الجهاد ..

ووجد رمضان السويحلى فى تنفيذ الفكرة الحبل للموقف كله فى حالة انهزام الدولة العثمانية فى الحرب ، ولذلك بادر بالترحيب بالفكرة ..

وكان أول من وافق على تنفيذها .

أما الشيخ عبد النبي أبو الخير ، فقد تردد قليلاً .. ثم راوده شعور الحذر وسوء الظن ، وكان من السهل على أن ادرك السبب ، فقد تبادر إلى ذهنه إحتمال بأن أكون مدسوساً من العثمانيين للتعرف على ما كان يجول بخاطرهم هو ورمضان لمواجهة الموقف فى حالة انهزام الدولة العثمانية فى الحرب .. ولذلك لم يتردد فى أن يشير الى رمضان بيده محذراً من الاستمرار فى الكلام ثم أخذ يردد كلاماً يؤكد به اخلاصه هو ورمضان للدولة العثمانية ، وتعلقها بها طول حياتها ..

وكان الشيخ عبد النبي وقتئذ من أعز اصدقاء رمضان ..

وكان أيضاً مستشاره وساعده الايمن .

ولكن رمضان كان قد اقتنع باقتراحى فتحتمس له ، وقرر أن يعمل على تنفيذه .

وكان مولد الجمهورية الطرابلسية .. أول جمهورية عربية تقوم على الارض

العربية بمجرد أن أعلن انهزام الدولة العثمانية فى الحرب ..





## انتهت الحرب.. فإول الأمير التركي الرب في آخر عواصم

مرت بضعة أسابيع اتهازت أثناءها مقاومة الجيوش العثمانية .. وكانت محطتنا اللاسلكية أول من التقط انباء اعلان الهدنة بين الدولة العثمانية والحلفاء ..

ولما عرفنا الخبر في مقر قيادة الامير عثمان فؤاد في مصراته ، قررنا نكتمه .. وانهزت الطائرات الايطالية الفرصة فأخذت في القاء كمية هائلة من المنشورات تعلن فيها انتصار الحلفاء وانحجار العثمانيين وحلفائهم وعقد الهدنة بين العثمانيين والبلغار . وكان الاهالى قد اعتادوا على تصديق بلاغاتنا واتهام الايطاليين بالكذب في بلاغاتهم ومنشوراتهم ولكن اعلان انتهاء الحرب وكان له صدى قوى بالدرجة التي جعلت الأهالى يترددون كثيرا في تصديق بلاغاتنا .

ولم تفلح محاولتنا لتكتم أخبار الهدنة .

وأصيب الامير العثماني بانزعاج شديد وكان أول ما تبادل الى خاطره هو أن ينجو بنفسه في أول غواصة تصل الى الساحل الطرابلسي .. ولكن رئيس أركان حربه عبد الرحمن نافذ كان رجلا عاقلا .. وكنت قد تحدثت اليه من قبل عن أفكارى حول اعلان الجمهورية في طرابلس ..

ولم انتظر . وبادرت بدعوة الجميع الى اجتماع عاجل للتشاور في الموقف . وفي هذا الاجتماع استقر رأينا على اقامة حكومة أهلية تسلم اليها مقاليد الأمور ، وانفقنا على أن يقوم العثمانيون بتسليم كل ما في أيديهم من أموال وأسلحة وعتاد الى هذه الحكومة ، لعلها تستطيع أن تستمر في المقاومة حتى يتسنى لها أن تعقد صلحا مشرفا بقى البلاد غائلة الفتح الاستعماري والاستيلاء عليها بالقوة ..

ومع الموافقة على انشاء هذه الحكومة اقترحت أن تكون هذه الحكومة جمهورية ، وأن تبادل باعلان استقلال طرابلس ، حتى تضع العالم كله امام الامر الواقع ..

وفي تلك الايام كانت تتنازع أمر السلطة في طرابلس قوى كثيرة ..  
وكان في رأيي ان تسليم البلاد الى رجل واحد قد يؤدي الى ايقاظ الفتنة والصراعات  
القبلية التي كانت قد سادت بصفة مؤقتة في حارة الجهاد والحرب ضد الايطاليين ..  
وكان علينا ان نبحث عن اسلوب مناسب لهذه الجمهورية حتى يكون اعلانها باتفاق  
الجميع .. فقد كان انتخاب رجل واحد ليكون رئيسا لهذه الجمهورية مشكلة عويصة ..  
وكان هناك احتمال كبير الا يلقى انتخاب مثل هذا الرجل الرضا والقبول في بادية  
الأمر!

\* \* \*

كان على أن أمهد لإعلان الجمهورية ، ولذلك بادرت بالاتصال بالقوى المتصارعة من  
أعيان البلاد وزعمائها ..

ووصلت في تلك الاثناء غواصة المانية الى الشاطيء الليبي عند منطقة اشتهرت باسم  
( قصر العرعار ) .. وهناك من يطلق عليها اسم ( عرعار ) .. كانت آخر غواصة تصل  
الينا أثناء الحرب ..

وبينا كنت مشغولا باتصالاتي مع أعيان طرابلس ، فوجئت بالامير عثمان فؤاد  
يستدعيني ، ثم يطلب الى أن أعد نفسي للسفر معه ..

قال لي .. انه يرى ان نغادر ليبيا دون أن نخبر أحدا برحيلنا ..  
ولما حاولت أن أقول له .. انني افضل أن ابقى في مصراته لا تمام مشروع اعلان  
الجمهورية .. أصر على رأيه وهو يقول لي :

- انك ضابط تحت قيادتي في الجيش العثماني ، وهذا أمر عسكري .  
وهكذا لم يكن امامي الا أن أوافق علي مرافقته في محاولته النجاة بنفسه ..

\* \* \*

غادرت مصراته مع الامير وتوجهنا الى مكان الفواصة .. فلما وصلنا الى مكانها تبين  
لنا أنها قد ذهبت ، وقد ترك لنا قائدها رسالة يقول فيها أنه سيعود في اليوم التالي ..  
واضطرنا للمبيت عند الشاطيء ..

ويبدو ان رمضان السويحلي كان قد عرف بنية الأمير في السفر، فقد بعث الينا في الصباح من يقول للامير أنه يستودعه الله .. ولكنه يرجو في نفس الوقت الا يصطحبني الامير معه ..

ولما أخبرني الامير بذلك قلت له :

- الحق اني بين عاملين .. عامل النجاة بنفسى بعد أن أصبح الامل ضعيفا في خدمة هذه البلاد . وعامل الحياء من النجاة بنفسى بيها يريد السيد رمضان وزملائه أن يستمروا في المقاومة الى آخر رمق في حياتهم ..

وابتسم الأمير وهو يقول لى :

- إننى أنصحك بأن تذهب معنا ..

وكنا نقف في تلك الاثناء على الشاطيء .. الأمير وأنا .. والامير برجسانزا الالمانى وبعض الضباط الاتراك الذى جاءوا معه من الاستانة ومن بينهم ياوره الخاص شرف الدين ..

وكان معنا أيضا المجاهد سليمان البارونى ، الذى ترك مكانه في طرابلس عندما عرف بما حدث للدولة العثمانية ، وجاء الى الأمير في مصراته ليصطحبه معه الى الاستانة ..

وأثناء هذا الحديث فوجئت بنافذ بك رئيس أركان حرب الأمير وكان يشفق على موقفى ، وهو يؤيد نصيحة الأمير ..

لقد التفت ناحيتى وهو يقول لى :

- أنتى أقدر إحساسك .. ولكن الموقف أصبح واضحا ، وفى رأى أنه لم يعد هناك أى أمل .. ولا أظن ان هناك أية فائدة من أن تلقى بنفسك الى الموت ..

وجاءنى فى تلك الاثناء رسول آخر من رمضان السويحلي ليخبرنى بأن رمضان يرجو منى ألا أسافر مع الاتراك .. ويقول لى .. انه فى حالة اصرارى على السفر ، فان رمضان قد اقسام على أن يعمل على منعى بالقوة حتى أبقي بجواره .

وكانت هذه الرسالة كافية لأن اقرر البقاء حتى أساهم مع رمضان وزملائه فيما كنا قد بدأناه من عمل كبير لإعلان الجمهورية .

\* \* \*

خطر لى فى تلك الاثناء أن أعمل على تعطيل سفر الامير عثمان فؤاد ومن معه ، اعتقادا

منى بأن وجودهم في البلاد يمكن أن يساعد على تكوين الحكومة الوطنية .

وكانت ألمانيا وقتئذ لا تزال تقاتل ، ولم تكن قد عقدت الهدنة كحلفائها الآخرين ولذلك اتجهت الى بعض أفراد حاشية الأمير الألماني وافهمتهم أن العرب قد صمموا على تكوين حكومة أهلية .. وأنهم لن يتوقفوا عن الحرب ضد الطليان وحلفائهم بكل ما استطاعوا من قوة .. وقلت لهم .. أن الحكومة الجديدة ستكون مغلصة لالمانيا ..

وعرف الامير الألماني بذلك ، فانتابه الحماس ، ثم جاء يسألني عن صحة ما سمعه من رجال حاشيته وهو يقول لي :

- هل حقيقة ان العرب سيقومون حكومة وطنية ؟ .. وهل يمكن لهم أن يستمروا في المقاومة .. ؟ .

وكان ردى :

- انه ليس امام العرب الا أن يفعلوا ذلك لأن كل واحد من الزعماء العرب يعرف أن التسليم للايطاليين هو بمثابة حكم على نفسه بالاعدام ..

ولما وجدت الامير الألماني قد تحمس للفكرة بادرت أقول له :

- في رأيي الا يسافر الامير عثمان في الغواصة ، وعليه ان يعود الى مصراته وأن يبادر بدعوة أعيان البلاد الى مؤتمر كبير .. وفي هذا المؤتمر يمكن العمل على التوحيد بينهم ، واعلان قيام الحكومة التي نريدها ..

وأطرق الامير الألماني قليلا .. وكان واضحا انه قد اقتنع تماما بفائدة قيام الحكومة الوطنية في طرابلس .

\* \* \*

وفي اليوم التالي .. عادت الغواصة . فبادر الامير الألماني بايفاد احد رجال حاشيته الى قائد الغواصة بحجة الاتفاق معه على عملية نقل الامير التركي ومن معه الى أوروبا ..

وعاد الرسول بعد فترة من الوقت ليقول أن قائد الغواصة اعتذر بعدم امكانية اخذ أحد معه في رحلة عودته وانه يطمنن الامير بأنه سيعود مرة أخرى لحملة الى الشاطئ الأوربي .

وابتسمت عندما سمعت ذلك وادركت ان الأمير الالماني أوحى الى قائد الغواصة بالاعتذار عن عدم نقل الامير التركي معه بواسطة رسوله ..

وان كنت قد عرفت بعد ذلك ان رمضان السويحلي قد لعب هو الآخر، وهو في مصراته دورا مثيرا في منع الغواصة من حمل الأمير التركي ومن معه ..

كان قد عرف بعزم الأمير على مغادرة مصراته في محاولة للنجاة بنفسه .. ولم تكن العلاقات في تلك الآونة بينه وبين الامير على مايرام .. وكانت ظواهر سوء التفاهم وعدم الانسجام بين الاثنين واضحة .. فقد كان رمضان يتهم الامير بأنه لا يطلع أحدا على ماكانت ترسله اليه الاستاتنة من هدايا، وبأنه كان يحتفظ بها لنفسه .

وأن من بين ما كان الأمير يحتفظ به بدلة تشريفة .. وسيفا من الذهب مرصع بالاحجار الكريمة وقد كتب عليه اسم رمضان الشتيوى ..

ويعنى آخر .. كانت الخلافات بينها مستمرة سواء في المحيط الادارى والسياسى أو في مجال التخطيط العسكرى ..

وقد حدث بعد ان غادرنا مصراته في طريقنا الى مكان الغواصة التى أراد الامير التركى أن ينجو بها بنفسه، ان توقفنا في منطقة اسمها قصر أحمد ..

وكانت توجد عند هذه المنطقة نقطة عسكرية للمراقبة والانذار عند الخطر، وقد قام الامير بالاتصال في التليفون من هذه النقطة بأمور سر القيادة وكان اسمه بلال افندى ليطلب اليه ان يرسل فورا ثلاثة جمال الى البيت الذى كان مخصصا لسكناه في مدينة مصراته، وأن يحملها عدة صناديق قال إنه قد خلفها في إحدى حجرات البيت ..

واعتذر بلال افندى عن عدم تنفيذ تعليمات الأمير وهو يقول له :  
- آسف ياجناب البرنس .. لأن قوات رمضان تحاصر الآن البيت وهى تشدد الحراسة حوله ..

وأدرك الأمير ان رمضان قد عرف بمحاولته الهرب فثار وأزيد ..  
وقيل في تلك الأيام .. ان رمضان استدعى البارون الالماني . وكان قد تخلف في مصراته للاشراف على أجهزة الاتصالات اللاسلكية، ثم كلفه أن يطلب الى قائد الغواصة الاعتذار عن عدم حمل الامير التركي معه ..

وأنا نفسى لا أستطيع أن أجزم بصحة ما سمعته في هذا الصدد . . كما ان الفرصة لم  
تسمح لى بعد عودتنا الى مصراته بعد ذلك لمعرفة حقيقية ما حدث بالضبط . . الا أنني  
أذكر فعلا أن البارون الالماني قد لحق بنا في صباح اليوم التالى . . وكنا كما سبق أن قلت  
قد بنتا ليلتنا عند الشاطيء في انتظار عودة الغواصة . .  
وعندما ظهرت الغواصة تبادل البارون الألماني معها عدة إشارات ضوئية وبعدها عرفنا  
أن الغواصة لن تحمل معها أحدا منا . .

\* \* \*

لم تفلح محاولة الأمير التركي للهروب بواسطة الغواصة الألمانية . . وكما فهمت كانت  
الغواصة قد خرجت من ميناء ( بولا ) في النمسا . وبعد إبحارها بحوالى ثلاثين ساعة احتلت  
إيطاليا هذا الميناء . . وكانت حجة قائد الغواصة التي تدرج بها في اعتذاره للامير . . ان  
خط الرجعة قد قطع على غواصته بالدرجة التي جعلته في حالة خطيرة ، وجعلت المياه  
التي يتحرك فيها غير مأمونة . .

ولكن الامير اصر على ركوب الغواصة . . قائلاً . . انه يريد ان تحمله الغواصة معها  
كانت الحالة . .

وأصر قائد الغواصة على اعتذاره ، وهو يقول :

- آسف لا يمكن أن أحملك معى . .

ولم يكن في وسعنا الا أن نعود مرة أخرى الى مصراته ، وبصحبتنا الأمير التركي وهو  
في حالة يرثى لها من اليأس . .

وكان علينا ان نكذب بعض الاشاعات التي انتشرت بسرعة حول محاولة الامير  
الهرب . .

قلنا لهم انهم قد أخطأوا كثيرا عندما تبادر الى ذهن بعض الناس ان الأمير كان يزعم  
مغادرة البلاد . .

واطمأن الامير عندما جاء رمضان السويحلى لزيارته ثم قال له بالحرف الواحد :

- أنا . . ومن معى فداك . . ولا يكون عندك أى تفكير . . وأنت ما زلت القائد

وسواصل الجهاد تحت قيادتك . .

ولم يدرك الأمير ساعتها أن رمضان السويحلي كان يسخر به ..

\*\*\*

لم انتظر وبادرت الى العمل بسرعة ..

وكان أن ذهبت الى رمضان وأخذت في مصارحته بخطورة الحالة ، الامر الذي يستدعى مواجهة الموقف بسرعة ..

قلت له .. انه ليس أمامنا الا سبيل واحد هو أن نجتمع الناس على اختلاف شيعتهم وأمصارهم للجهاد بمحض رغبتهم واختيارهم .

واستمع رمضان السويحلي الى طويلا .. ثم أخذ يتكلم بحماس عن الحرب ضد الايطاليين ..

أن هزيمة الاتراك أو انتصارهم لم يكن يهمه في شيء .. كما أنه لم يكن يفكر في الخطر الذي كان يشغل بالنا ، وكان كل الذي يثير اهتمامه في تلك الأيام هو أن يستمر الجهاد .. ولعلت عينا الرجل الصقر ببريق عجيب وهو يقول لي :

- عبد الرحمن .. أنا موافق .. وتأكد أنني لن أكون عقبة في سبيل اتحاد كلمة الشعب ..

ولم اتمالك نفسى من الفرحة ، فأخذت اصافحه ، وانا أهز يده بقوة ، ثم قلت له :

- هذا عهدى بك دائما يارمضان .. ولا أظن أن أحدا يريد منك أكثر من ذلك !





رشحه عزام  
ملكاً على ليبيا

■ الأمير عثمان فزاد .. رشحه  
عبد الرحمن عزام ليكون ملكاً على  
ليبيا وكانت القبائل على استعداد  
لمبايعته . ولكنه اعتذر . وكان أن  
اتمه تفكير عزام لإعلان  
الجمهورية الطرابلسية ..

## عرضت عرش طرابلس على الأمير العثماني ولكنه لم يوافقها على أن يصبح ملكاً!

راودتني في تلك الايام فكرة اعلان استقلال طرابلس والمناذاة بالأمير عثمان فؤاد ملكا على طرابلس ..

وكان في تصوري أن في وسعي أن أجمع كلمة الناس حوله باعتباره أميراً عثمانياً بدلاً من أن يؤدي اختيار أي رجل آخر الى إثارة الفتن، والقتال بين القبائل ..

ولم انتظر وبادرت بعرض الفكرة على الأمير، فلم يتحمس لها في بادئ الامر .. كما أنه لم يرفضها .. ما عادت الحديث معه حول الموضوع في اليوم الثاني فوجئت به يصرخ في وجهي قائلاً ..:

- هذه مهزلة .. وفي رأيي انها لن تؤدي الى نتيجة .. وحاولت اقناعه بوجهة نظري، الا أنه قاطعني بجدة وهو يطلب الى عدم إثارة الموضوع معه مرة أخرى ..

وكما فهمت .. استطاع بعض مستشاريه من الضباط الاتراك اقناعه بأن موافقته على أن يصبح ملكاً على طرابلس لن تؤدي الى نتيجة .. وانها قد تكون سبباً في فقدانه لحقوقه كأمر من أمراء البيت العثماني .

ولم يكن أمامي بعد أن فنسلت في اقناع الامير بالموافقة على المناذاة به ملكاً الا أن أرجع مرة أخرى الى فكرة اعلان الجمهورية . وأن أعمل على انتخاب مجلس وطني لإعلان الجمهورية بواسطة مؤتمر كبير يضم كل من له نفوذ في البلاد من أعيان وعلما ورؤساء للقبائل والعشائر ..

وذهبت الى عبدالرحمن نافذ بك رئيس أركان حرب الأمير ..

قلت له .. ليس أمامنا الا أن نعمل على اعلان الجمهورية في الأراضي الطرابلسية ..

وكانت مناقشة طويلة انتهت بموافقة الرجل على رأيي ..

وبسرعة امسكت ورقة وقلما، ثم دفعته للاشتراك معي في وضع النظام الأساسي

للحكومة الجديدة ..

ولكن كانت المشكلة .. هي تخوفنا من أن يؤدي اختيار شخص لرئاسة الجمهورية الى اثاره الفتن بين مختلف الزعامات والقبائل ..

ووجدنا الحل .. عندما اتفقنا على أن تكون رئاسة الجمهورية لمجلس يطلق عليه اسم (مجلس الجمهورية) على ان يتكون من أربعة : ويكون هو صاحب السلطة التنفيذية .. وعلى أن يقوم هذا المجلس بتعيين قائد عام للجيش وآخر للشرطة .. وأن تكون له سلطة تعيين مديري المصالح المختلفة ، وحكام الاقاليم .

واتفقنا ايضا على انشاء مجلس آخر هو مجلس الشورى ليتولى السلطة التشريعية وليقوم بمساعدة المجلس الجمهورى فى عمله على أن يضم هذا المجلس ثلاثين عضوا يمثلون مختلف القبائل والعشائر .

وان يتم انتخاب المجلسين بواسطة مؤتمر كبير يضم كل من له نفوذ فى البلاد من أعيان وعلماء ورؤساء للقبائل والعشائر ..

\*\*\*

أعدنا النظام الأساسى للحكومة الجديدة . ثم أخذنا فى اختيار اسماء الرجال الذين رأينا ضرورة مشاركتهم فى العمل ضامنا للوحدة الوطنية ، وحتى يتسنى للجمهورية الجديدة النجاح ..

وكان أن رشحنا أربعة أسماء لعضوية المجلس الجمهورى .. كما اخترنا اسماء من رأينا صلاحيتهم لعضوية مجلس الشورى .. واخترنا القائد العام للجيش والشرطة ومدير المالية وحكام الأقاليم ..

ولا أظن أننا تركنا شخصا دون أن نرضيه بوظيفة أكبر شأنًا مما كان هو نفسه يتوقع .. وبمعنى آخر .. أعدنا كل شئ فى سرية كاملة لقيام الجمهورية الجديدة ..

وكان رمضان السويحلى ، على بينه بكل خطوة من خطواتنا .. كنا نتشاور معه فى كل كبيرة وصغيرة .. وكان اختيار أسماء جميع المرشحين لمناصب الجمهورية الجديدة بموافقتة ..

وكان رأيه معنا فى أن يبقى كل إعدادنا سرا حتى يتسنى لنا اعلان الجمهورية فى المؤتمر الوطنى الكبير الذى كان علينا تنظيمه ..

\*\*\*

اتفقنا على دعوة الناس للاجتماع في مؤتمر وطني كبير في ناحية اسمها ( مسلاته ) .. وتقع في نهاية جبال الاطلس من ناحية الشرق ..  
وتوجد في هذه المنطقة قلعة اسبانية قديمة يرجع تاريخها الى عدة قرون وهي تقع فوق جبل مرتفع .

وكنا قد عرضنا الامر على الامير عثمان فؤاد العثاني .. قلنا له اننا سنقوم بدعوة الناس الى هذا المؤتمر باسمه .. ولما وافق الأمير على ذلك بادرنا بارسال خطابات الدعوة الى مختلف الجهات بواسطة مبعوثين اخترناهم بدقة وعناية .. وهكذا تم كل شيء في سرية وتكتم شديد ..

١٧١٨ هـ  
جناب معالي سوزن الحكومة الطرابلسية السيد عبد الرحيم قنبرجان  
صاحب انتخاب هياكله عضواً لمجلس شورى له الحكومة الطرابلسية بنا عليه فليكنه عننا  
تدوير واجتبات وهو ذلك لوجهه فعدرك في المذاكرة اقتضت امره فانوار الله  
عضو جمهور الحكومة الطرابلسية

■ واحدة من بطاقات الدعوة التي أرسلت على جعل إلى الأيمان ورؤساء القبائل الذين تم انتخابهم  
أهداه في مجلس الشورى للاشتراك في الاجتماع الكبير الذي أهدت فيه الجمهورية ..

وفي اليوم الذي حددناه .. وكان على ما ذكره في شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ ، التقينا جميعا في المسجد الكبير المقام عند سفح الجبل الذي تقع فوقه القلعة الأسبانية القديمة ..  
ولما اكتمل جمعنا دخل الأمير ومعه خطبة كنا وضعناها من قبل بالاتفاق معه وبعد قيامه بتحية المجتمعين ليتمنى لهم النجاح فيما سيتشاورون فيه ، وما ينتهون اليه ، قال انه سيرك لي شرح الهدف من الاجتماع الكبير ..

وهنا يجب على أن أقول شيئاً هاماً . . . كان معظم المحاضرين يعرفون الهدف من هذا الاجتماع ، وكانوا جميعاً من المجاهدين الذين يخشون على حياتهم وعلى أهلهم من فتك الايطاليين بهم في حالة عودتهم للسيطرة على البلاد . . . وبالتالي لم تكن هناك صعوبة في جمع كلمتهم على ما كنا قد اتفقنا عليه . . . كما كان لهيبة الدولة العثمانية ، ونفوذ الأمير العثماني الذي حضر الاجتماع اثر كبير في نجاح المؤتمر . . .

ويحتمل كثيراً أن يكون بعض الناس قد تصوروا ان اعلان قيام الجمهورية الطرابلسية في هذا المؤتمر كان مجرد حركة مؤقتة اقتضتها الظروف السياسية والعسكرية حتى يتسنى اعادة النفوذ العثماني مرة أخرى الى البلاد . . . الا أن الواقع يؤكد غير ذلك فقد وافق المؤتمر بالاجماع على قرار اعلان الجمهورية ايماناً من المحاضرين بأنه لم يكن هناك حل آخر للاستمرار في الجهاد سواء . . .

وأذكر انني قمت في المسجد خطيباً أبين للمحاضرين كيف نهض العرب دون أية مساعدة من الدولة العثمانية أو غيرها ، وكيف أنهم بالصبر والشجاعة استطاعوا أن يطردوا الطليان من بلادهم ، وأن يستولى على ما كان في أيديهم من أسلحة وذخائر ثم انقلبوا عليهم بحاربونهم بنفس اسلحتهم وذخائرهم ، وكيف أمد الله العرب لما أخلصوا له بسلاح لم يكونوا يحسبون له حساباً جاءتهم به الدولة العثمانية بالمرابك الشراعية والغواصات برغم سيطرة الاعداء على البحار ، ثم أخذت اشرح لهم تفاصيل النظام الجديد الذي أعدناه . . . وقلت لهم إن الدولة العثمانية هي التي تقترح هذا النظام عليهم . . .

وأعلنت أن الأمير العثماني سيياد عند إعلان الجمهورية بوضع كل ما بين يديه من أموال وأسلحة وذخائر ومؤن تحت تصرفها .

\* \* \*

أدرك المحاضرون قوة اتحادهم ، فأخذوا يصفقون مع حرارة كلباتي ، ولم أنتظر وبادرت بوضع مصحف كبير وكتاب البخاري أمام واحد من كبار العلماء كنا قد وجهنا اليه الدعوة للاشتراك في الاجتماع ، وهو شيخ من « مسلاته » اسمه السيد عبد السلام الأحمر . . . ثم طلبت الى المحاضرين أن يتقدموا الواحد بعد الآخر ليضع كل منهم يده فوق المصحف ثم يقسم يمينا كنت أعدته . . .

وكان هذا القسم يقول بالحرف الواحد :

أقسم بالله العظيم قابضاً بيدي على هذا القرآن الكريم أن أجعل نفسي ومالي فداء  
لوطني وحكومتى الجمهورية الطرابلسية وأن أكون لعدوها عدواً ولصديقتها صديقا  
ولقانونها الشرعى مطيعا ..

ولما كنت أعرف أن بعض هؤلاء المجاهدين لا يعرفون القراءة أو الكتابة فقد وقفت  
بجوار الشيخ الكبير أتلو القسم مع كل واحد من الحاضرين ، وهو يردد كلماته ورائي ،  
وقد وضع يده على كتاب الله ..

وكان رمضان السويحلي أول من أقسم وحلف بين الولاء للجمهورية الجديدة ثم تبعه  
الآخرون ..

وبعد أن تم اعلان قيام الجمهورية الطرابلسية في الاجتماع ، واصلنا مشاوراتنا ..

وكان أن وقع اختيار الحاضرون على رمضان السويحلي والشيخ سليمان الباروني وأحمد  
المريض وعبد النبي بلخير ليتكون منهم المجلس الجمهورى ..

كما قاموا بانتخاب الأعضاء الثلاثين في مجلس الشورى ..

وقد توالى اجتماعاتنا قبل الظهر وبعده لعدة أيام ..

وتقرر في تلك الاجتماعات اختيار عبد القادر باشا وهو ضابط طرابلسي الأصل حارب  
مع الجيش العثماني ، وكان قد وصل لنا في آخر غواصة وصلت الى الشاطئ الليبي ،  
ليكون قائدا للجيش ..

كما اختاروا كعبار بك مديرا للهالية والضابط أحمد بك أبو شادي قائدا للشرطة ..

وتم أيضا تعيين حكام الأقاليم المختلفة ..

تم اعلان الجمهورية الطرابلسية واستقلال البلاد في قلب الصحراء ، وقد أثار إعلانها  
ضجة في العالم ، لأن أحدا لم يكن يتصور أن تخرج هذه الجمهورية من هزيمة الدولة  
العثمانية في الحرب لتؤكد انتصار شعب ليبيا في معركته ضد المستعمرين الإيطاليين ..

وقال بيان إعلان قيام الجمهورية الطرابلسية الذي صدر بتوقيع سليمان الباروني وأحمد  
المريض ورمضان الشتيوي وعبد النبي بلخير بالحرف الواحد :

في الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت المبارك الثالث من شهر صفر الحخير عام

١٣٣٧ هجرية تحررت الأمة الطرابلسية وقد توجت استقلالها بإعلان حكومتها الجمهورية باتفاق آراء علمائها الأجلاء واشرافها وأعيانها ورؤساء المجاهدين المحترمين الذين اجتمعوا في كل أنحاء البلاد، وقد تم انتخاب أعضاء مجلس الشورى الطرابلسي وانتخب أعضاء مجلس الجمهورية وافتتح أعماله بتبليغ إعلان الجمهورية الى الدول الكبرى عامة والى الدولة الايطالية خاصة ..

وهذه صورة اليمين التي أداها الحاضرون من أعضاء الجمهورية ومجلس الشورى في الاجتماع العام في جامع مسلاته :

« أقسم بالله العظيم قابضا بيدي على هذا القرآن الكريم أن أجعل نفسى ومالى فداء لوطنى وحكومتي الجمهورية الطرابلسية وأن أكون لعدوها عدوا ولصديقها صديقا ولقانونها الشرعى مطيعا .. »

وإن الأمة الطرابلسية تعتبر نفسها حائزة لاستقلالها الذى اكتسبته بدماء أبنائها وقوتها منذ سبع سنين، وسعيدة بالوصول الى هذه الغاية التى هى أشرف ما تصل اليه الأمم وتتمى أبناءها بتمام نجاحهم واتحادهم على الثبات التام فى الدفاع عن وطنهم وحكومتهم الجمهورية والتوفيق بيد الله وحده ..

١٣ صفر سنة ١٣٣٧ هجرية ..

سليمان البارونى - أحمد المريض ..

رمضان الشيتوى - عبد النبي بلخير ..

كان بيانا يتكون من عدة أسطر، وكنت قد أعدته من قبل التقاء المؤتمر حتى يتسنى للمجلس الجمهورى إصداره بمجرد إعلان تشكيله ..

ومع هذا البيان أصدر المجلس الجمهورى منشورا للقوات المسلحة، وقد تم إبلاغه بالاسم لكل واحد من الضباط الوطنيين ..

ويقول هنا المنشور بالحرف الواحد :

الى حضرة الضابط .. فلان .. الوطنى .

بما أن جنابك وطنى صادق ومجاهد فى سبيل الدين والوطن منذ ابتداء الحرب الطرابلسية فانتا ندعوك الى تقديم طاعتك لحكومتك الجمهورية الجديدة، والقيام بما تقلدك

إياه من الخدمة والدفاع عن شرف الوطن العزيز حتى تنال منها شرف الاحترام الرفيع  
وتبرهن للعالم أنك ابن الوطن العزيز وأحد رجاله الذين سيحفظ التاريخ ذكرهم المجد ..

\* \* \*

هكذا كنا قد أعدنا كل شيء بدقة ، بما في ذلك البلاغات الرسمية التي وجهتها حكومة  
الجمهورية الجديدة الى الدول العظمى ..

ويقول نص البلاغ الذي وجهناه الى الحكومة الإيطالية :

الى رئيس الحكومة الإيطالية ..

١ - تفخر الامة الطرابلسية بتتويج استقلالها بإعلان الحكم الجمهورى وانتخاب نواب  
عنها من كافة انحاءها لمجلس الحكومة والشورى ولا هدف لها الا ضمان وحدتها وحريتها  
داخل حدودها الاساسية المعروفة كما أنها لا تقصد إلا أن تعيش عيشة هنية مسالمة للجميع  
الأمم التي لا تحاول غصب حقوقها ..

٢ - لذلك ندعو الحكومة الإيطالية الى الاعتراف بها وسد كل باب يضطر الحكومة  
الطرابلسية الى مداومة الحرب الى أن تحقق أملها المشروع ..

١٣ صفر سنة ١٣٣٧ هجرية ..

ومع هذا البلاغ الرسمى ، أرفقت الحكومة ملحقا تضمن الشروط التي وجدتها مناسبة  
لعقد الصلح مع ايطاليا ..

وكانت الشروط كما تضمنها هذا الملحق بالنص الكامل :

١ - فى حالة دوام المذاكرة يجب على كل من الطرفين المحافظة على مواقعه بصورة  
هدنة .

٢ - لا تقترب السفن الحربية من السواحل غير المحتلة بالعاكر الإيطالية .

٣ - لا تتجاوز الطائرات حدود الاستحكامات .

٤ - لا تقع مخابرة خصوصية مع أى أحد كان لا من جهة المناطق الحربية ولا مع  
غيرها ..

٥ - تقطع كل ما فيه وسيلة للاختلاط بالأهالى من طرف الحكومة الإيطالية كأخذ



وإعطاء البضائع وتوزيع الإعانات على أى صورة وبأى طريقة كانت .

٦ - المخابرات الرسمية والدخول والخروج لا يكون الا من الموقع الذى يصير تعيينه في منطقة الخمس من طرف الحكومة الطرابلسية ..

٧ - الحكومة الجمهورية الطرابلسية مستقلة في شؤونها وحركاتها تمام الاستقلال وغير مسئولة بأى شرط أوقيد تضعه حكومة أخرى أو تتعهد به للحكومة الإيطالية في طرابلس ..

٨ - ضباط الترك والالمان والنمسا الموجودون في داخل طرابلس هم بمنزلة ضيوف الحكومة الطرابلسية ولا تسمح بسفرهم الا بصورة تكفل منفعة وشرف الأمة الطرابلسية وحكومتها الجديدة .

٩ - بما أن الأمة الطرابلسية لها الحق في إظهار صوتها للعالم الخارجى وبالخصوص للحكومات الموجودة قناصلها في طرابلس مثل إنجلترا وفرنسا وأمريكا فعلى الحكومة الإيطالية قبول وإيصال ما يرسل من الحكومة الطرابلسية إليهم بدون الاطلاع عليه ، وأخذ سندات من القناصل المذكورين وإرسالها الى الحكومة الطرابلسية ، حتى لا تضطر إلى اتخاذ طريقة أخرى لمواصلة مخابراتها المذكورة ..

\*\*\*

وفي نفس الوقت كان التبليغ الى رئيس الحكومة البريطانية كالتالى :

نتشرف بأن نحيط فخامتكم علما بأن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلانها الحكم الجمهورى ، وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٨ أعلنت نتيجة انتخابات مجلس شورى وبمجلس جمهوريتنا ، وليس بين الأمم من هو جدير بحريته واستقلاله أكثر من الأمة الطرابلسية التى تقاتل إلى الآن ثمانى سنوات ضد غاصب أرضها وحربتها ، وأنها لا تشك في أن إحساساتكم العالية نحو حرية الأمم والحكومات الصغيرة ، كما أن غيرتكم على حماية العرب تحببكم على العطف على جمهوريتنا الجديدة الحرة وأنا نؤكد لكم أيضا أن فومنا وضعوا جل آمالهم في إنجلترا حامية حقوق الأمم الصغيرة ، فرجاؤنا أن تفضلوا بوضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومية حتى تنال جمهوريتنا ما يضمن لها سعادة مستقبلية والمرجو قبول عظيم احترامنا ..

وقنا أيضا بإرسال بلاغ شبيه يحمل نفس المعنى الى الحكومة الفرنسية ، كما أبلغنا حكومة الولايات المتحدة عن طريق القنصل الأمريكى في مدينة طرابلس نفس البيان ..

## .. وأعلنت إيطاليا الحرب على الجمهورية

ومع اعلان الجمهورية، قام الأمير عثمان فؤاد بصرف مرتب سبعة أشهر مقدما لكل واحد من الضباط الأتراك الذين كانوا معه من النفود التي كانت في خزانته ثم سلم الخزانة بما تبقى فيها من أموال الى حكومة الجمهورية الجديدة ..

ومرت عدة أيام ثم تلقينا رسالة من طرابلس تقول .. إن مندوبا من الدولة العثمانية اسمه أكرم بك قد وصل اليها من الاستانة في مهمة لمقابلة الأمير عثمان فؤاد وزعماء البلاد . وتشاورت الحكومة الجمهورية في الموقف بمجرد أن عرفت بوصول مندوب الدولة العثمانية ، ثم كلفتني بالتوجه الى منطقة العزيزية لاستقباله عند قدومه من طرابلس ..

وفي العزيزية رحبت بالرجل ، ثم جلست معه نتحدث عن مهمته قال لي .. إنه يحمل الى الأمير تعليمات هامة من الاستانة ..  
وابتسمت وأنا أقول له :

- أم يصل إلى علمك أن البلاد أصبح لها الآن حكومة جمهورية مستقلة ..  
قال الرجل :

- وأين ذهب الأمير؟ ..

قلت له : إنه يقيم في منطقة أوغلة ضيفا على حكومة الجمهورية ، ولم يعد الأمر بيده ..  
وسكت الرجل ، ولم يقل شيئا ..  
ولم أنتظر وبادرت أقول له :

- نصيحتي أن تسلم ما معك من أوراق إلى الحكومة ، وهي تتصرف فيها ..

ولما تأكد الرجل من تغيير الأوضاع في البلاد ، أخذ يحدثن بصراحة عن مهمته ..

قال لي إن التعليمات التي يحملها كتبت تحت ضغط الحلفاء ، وهي تطلب الى الأمير

العثماني أن يعمل على دعوة جميع المنتسبين للدولة العثمانية لتسليم أنفسهم إلى السلطات الإيطالية ..

كما تتضمن نصائح إلى الأهالي بعدم المقاومة ..

ولم يكن في وسعي إلا أن أنصح الرجل بأن يتكتم ما يحمله من تعليقات . وأنا أؤكد له بأن تسرب هذه التعليقات الى المسؤولين في الجمهورية قد يعرضه للمسئولية ..

\*\*\*

كان علينا أن نقضى الليلة في العريزية ، قبل أن نعود الى مصراته ..

وفي تلك الليلة أخذت أستدرج الرجل في الحديث ، وكأن وحشته قد زالت ، فأخذ يكشف لي عن عواطفه نحو العرب .

ولمعت عينا الرجل فجأة ببريق عجيب ، ثم قال لي :

- إن الإيطاليين عندهم حوالي ٨٠ ألف جندي منهم ٥٠ ألفا في مدينة طرابلس وحدها .. وفي اعتقادي أنهم يحشدون الآن قواتهم لشن هجوم عليكم ..

ثم أخذ الرجل يرسم لي على ورقة مواقع احتشاد القوات الإيطالية التي شاهدها بنفسه أثناء رحلته من طرابلس الى العريزية ..

ولم أكن أريد أن أعرف منه أكثر من ذلك ..

\*\*\*

كانت تعليقات الدولة العثمانية التي حملها أكرم بك إلى الأمير عثمان فؤاد صريحة وواضحة ..

وعرف الأمير بتلك التعليقات ، فلم ينتظر ، وقرر المبادرة بتنفيذها ..

وكان أن اتفقتنا معه على أن يسلم نفسه ومن معه الى الفرنسيين في تونس ، بدلا من الإيطاليين في طرابلس ..

قلنا له .. إن الإيطاليين قد يسيئون معاملته ، وأن الأحرى به أن يسلم نفسه إلى الفرنسيين حفاظا على كرامته وهيبته كأمر عثماني ..

ووافق الأمير على ذلك ..

\*\*\*

وأرسل الأمير رسالة تليفونية الى أعضاء المجلس الجمهورى يودع فيها الشعب الطرابلسى ..

ويقول نص ترجمة هذه الرسالة الى كتبها باللغة التركية :

إن المغفور له الخليفة الأعظم السلطان محمد خان الخامس الذى كان قلبه يخفق كالطير على الممالك العثمانية عندما تفضل بتعيينى قائدا للقوات العثمانية فى طرابلس الغرب ، قد أظهر لى من الاحساسات نحو هذا الوطن مالا استطيع تصويره ولا تبليغه إذ اغرورقت عينا السلطان الكريمتان بالدموع فى تأثر عندما خاطبنى بصوت نابع من صميم قلبه قائلا : - اذهبو فشاركوا اولادى الذين فى طرابلس الغرب مسراتهم وأكدارهم واثبتوا ما للبيت العثمانى من حق على المسلمين من الاحساسات السامية ..

وامتثالا لهذا التوجيه الأبوى الرحيم أسرعرت بالهجمه أركض ركضا ، وأنا بدون شك أحمل من المشاعر ما هو فوق العادة ولم تكذب تظأ قدمى سواحل طرابلس الغرب الدافئة حتى رأيت وشاهدت بعينى ما فى هذا الوطن من المزايا والبطولات .

إن أسعد الأيام التى عشتها فى الدنيا هى الأيام التى امضيتها فى هذا الوطن المبارك وسوف أحمل ذكريات هذه الساعات الجميلة لآخر عمرى دون أن أنسى دقيقة واحدة ..

يا أعيان طرابلس الغرب وأشرفها وأهاليها المحترمين وأبطالها الكبار

تفرق اليوم بينى وبينكم صدمة أليمة مع الأسف هى الفراق .. الفراق .. لكن صدقونى أن قلبى بل قلب شعوب العالم الاسلامى جميعا معكم ولا تفرق بين الموحدىن أى قوة مها كانت الا القدر طبعاً .. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .. وللمعنى الجليل الوارد فى هذه الآية اترككم مطمئنا وإذا صبرنا لتجليات القدرة الالهية ( ان الله يحب الصابرين ) لعلنا بما جاء فيها موقنين بالنصر الأكيد وإن شاء الله عند وصولى الى مركز الخلافة وتشرفى بالثول بين يدى سلطاننا سأعرض عليه حقيقة الأوضاع التى تثير القلق بينكم وبين الخلافة

وإنكم أبناء وطن وقوم مجباء لكم مشاعر وأحاسيس عالية ، وبعد أدعو لكم دعاء الوائق بموقفكم وشرعية حاكم وكلى تأثر بشاتكم المتين . كان الله فى عونكم .

الأمير

عثمان فؤاد

و بمجرد أن تلقى أعضاء المجلس الجمهورى هذه الرسالة التليفونية من الأمير بادروا بكتابة رسالة ثم بعثوا بها اليه فى أوفلة :

و كانت هذه الرسالة مؤرخة بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٧ هجرية . . و تقول بالحرف الواحد :

الى حضرة صاحب الدولة والنبل النجيب الأمير فؤاد أفندى . . فى الجبل . .

وصلنا تليفرافكم المبين لقرب مفارقة جنابكم لوطننا العزيز، وقد تلى على الهيئة الجمهورية والأعيان الموجودين هنا . وإن ما بذلته الدولة العثمانية نحو العالم الاسلامى من جهود وما تفضلت من المعاملة الأبوية الحنون التى جلبت فى الحقيقة من روابط القلوب ما حدا بهذه الشعوب المتعددة بالالتفاف حتى آثرت أن تفتدى الهلال العثمانى بكل مالدسها ، وقدمت دماء بنينا معلنة بطولاتها للعالم بينا عملت الدولة العثمانية لهو التعديت الفاشمة من هذه الرقعة وقدمت من المساعدات الايجابية من فوق البحر وتحتة وحسب الظروف الزمنية ما نتركة جانبنا اذ تفضلت ومنحت بشخص دولتكم من البيت المالك والأمر الذى لم يسبق له مثيل فى التاريخ الاسلامى والذى ستسجل ذكراه بماء الذهب . أن ما رأيناه منكم من الخدمات الأصيلة منذ شرفتم هذه الرقعة بقدمكم قد غرس فى نفوس أهالى طرابلس الارتياح الكبير، وتركهم الآن يخلف لوعة عميقة من الألم لفراقكم . .

لهذا فإن حكومتنا الجمهورية الناشئة ستظل فى معاملاتها المشحونة بالوداد لمقام الخلافة الأعلى ونطلب منكم بكل فخر أن تعرضوا ذلك على مولانا السلطان أفندم . .

وقام بالتوقيع على هذه الرسالة الشيخ سليمان البارونى عضو المجلس الجمهورى - ومحمد سوف رئيس مجلس الشورى وعدد كبير من الأعيان ، ثم أرسلت الى الأمير العثمانى فى أوفلة قبل أن يغادرها فى طريقه إلى تونس . .

\*\*\*

كنت قد استأذنت زعماء الجمهورية فى مرافقة الأمير حتى الحدود التونسية . .

قلت لهم . . إننى سأقوم بتوصيله إلى أقرب نقطة عند الحدود التونسية وبعدها سأعود لأواصل العمل فى خدمة الجمهورية . .

ووافق زعماء الجمهورية على ذلك . .

وفى اليوم المحدد تحرك موكب الأمير العثمانى ومن معه من رجال حاشيته والضباط

الأتراك من مصراته .. وكان الضابط الوحيد الذى رفض أن يصحب الأمير هو اسحاق باشا الذى اخترناه قائدا للجيش ..

قال إن الفرصة لم تسنح له للجهاد مع العرب ضد الايطاليين ، وقد اتخذ قراره ألا يترك البلاد الا مضطرا ، أو أن يموت مع العرب مدافعا عن حريتهم واستقلال أراضيهم .. وكان موقفا وطنيا رائعا من الضابط العثماني ..

\*\*\*

المهم .. توجهنا عن طريق بنى وليد الى ترهونة ، ثم إلى غريان حتى وصلنا الى الحدود التونسية بعد مسيرة خمسة أوسنة أيام ..

وهناك ودعت الأمير التركى ومن كانوا معه بحجارة وعدت مرة أخرى الى مصراته .. وفى مصراته نشرت خبر رحيل الأمير فى صحيفة كنت أصدرها على البالوظة وكان اسمها .. «الرجل الحر» .. وكانت هذه الجريدة هى اللسان الرسمى للجمهورية .

قلت .. إن الأمير التركى رفض أن يستسلم للإيطاليين أعداء البلاد وأنه قام بتسليم نفسه للفرنسيين ..

وقد أردت بهذا الخبر أن أحافظ على ماء وجه الأمير التركى .. والدولة العثمانية .. !

\*\*\*

أخذت الأنباء تتوالى علينا بأن الايطاليين يحشدون قواتهم للهجوم علينا .. وبدأنا نستعد من جانبنا لمواجهة الموقف .

وفى صباح اليوم الذى بدأ الايطاليون هجومهم علينا ، كنت مع عدد من الزعماء والأعيان فى العزيزة ..

ولم يكن هناك ما يوحى بأن القتال يمكن أن ينشب بيننا وبين الايطاليين فى ذلك اليوم ..

ولكن فجأة أخذت الأنباء تتوافد علينا . : بأن الايطاليين قد بدأوا مناوشاتهم بإطلاق المدافع فى اتجاه معسكرنا العام ، وكان فى نفس منطقة العزيزة .

وكانت الحرب عندما اتجهت قوة إيطالية الى ناحية معسكر قواتنا العام، وهناك اصطدمت بالجنود والمجاهدين العرب ..

ولم أنتظر وبادرت بالقيام عند الظهر ومعى نحو ٢٠ فارساً أذكر من بينهم الحاج صالح بن سلطان وعدداً من المجاهدين التونسيين .. وتبعنا كل من استطاع اللحاق بنا من المدربين على القتال لنصل الى جبهة القتال بعد ثلاث ساعات ..

وكانت المدفعية تمزق الفضاء مع أصوات انفجار القنابل .. كما كان صوت الرصاص يدوى في كل مكان بينما كانت سحب الدخان تنعقد في السماء ..

ومن خلال المنظار المكبر رأيت قوة عربية وكانت تراجع من مواقعها ولما وصلت الى مكاننا قال لى ضابطها، إنه ظل يقاوم حتى خشي أن يحيط به الأعداء، وأنه اضطر لأن يتراجع وهو لا يدري بما كان يجري في بقية جبهة القتال .

وفي تلك المعركة، لم يكن للقوات العربية قائد عام بمعنى الكلمة، فقد كان كل ضابط ممتاز يتولى القيادة في موقع من مواقع الجبهة ..

ولم يكن في وسمى الا أن أندخل .. وكان أن طلبت الى هذا الضابط أن يقوم بتنظيم رجاله على أن يعود لملاقاة العدو .. ووعدته بأن نلحق به بعد قليل .

\* \* \*

أخذنا في تجميع الجنود والفرسان، وقبل المغرب بقليل تمكنا من جمع أكثر من مائتي فارس من بينهم الضابط الشجاع المرحوم ابراهيم عوض الذى كلفته بقيادة هؤلاء الفرسان . ثم اقترحت عليه الدوران حول مسيرة قوات العدو وأنا أقول له :

- إذا استطعت بفرسانك دخول «نخل الزاوية» وراء خطوط العدو فإنك تحقق بذلك انتصاراً كبيراً .. وعليك أن تصمد في مكانك لتصبح كشوكة في عنق قوات الإيطاليين .. ولمعت عينا ابراهيم ببريق عجيب بعد أن أدرك ما كنت أهدف اليه، ثم التفت ناحيتي، وهو يقول متحمساً :

- سأفعل المستحيل حتى أحتل بفرسانى الزاوية .

وكان هدفي من احتلال هذه المنطقة أن يعرف العدو أن خطوط مواصلاته لم تعد آمنة وبالتالي يتوقف عن التقدم حتى يتسنى وصول النجدة اليها من مصراته ..

\* \* \*

تحرك الفرسان بقيادة ابراهيم ، ولكنهم ما كادوا يتبعون عن مكاننا بنحو ثلاثمائة متر حتى أخذت مدفعية العدو تنطلق في اتجاههم ..

ورأيت من مكاني قبيلة تثير غبارا كثيفا فظننت أنها قد قضت على ابراهيم ولكن الخيل كانت تركز مندفعة الى الأمام فلم تكترث كثيرا للقتال التي كانت تنفجر حولها وتحت أرجلها ..

وبقيت أنا ومعى عدد قليل من الفرسان أرسلهم يمينا ويسارا لرد الفارين وتشجيع المجاهدين على القتال ..

وعندما أسدل الليل ستاره كان ابراهيم قد تمكن مع فرسانه من دخول مغل الزواية والسيطرة عليها ..

وعرفت قوات الأعداء أن قواتنا قد التفت حولها فتوقفت عن التقدم ثم أخذت في التراجع الى قاعدة هجومها ، وكانت في المنطقة التي اشتهرت باسم قلعة الرأس الأحمر .. ومع الليل أخذ المجاهدون يتوافدون علينا في الظلام ..

وتلاحقت علينا بعد ذلك التقارير عما حدث أثناء المعركة .. كانت معركة حامية ، وإن كانت خسائرنا لم تكن فادحة ..

وكان ذلك على الرغم من أن قواتنا لم يكن عددها يزيد على الأربعة الاف رجل بينما كانت قوات الاعداء تقدر بنحو ٢٠ ألف رجل ..

وكانت الشكوى عامة من قلة الذخائر .. وكان اجماع المجاهدين على أنه لو كان معهم ما يكفي من الرصاص لهزموا الإيطاليين في ذلك اليوم ..

وقال بعضهم أن في رأيه أن تنسحب قواتنا الى ناحية العزيزية حتى يتسنى لنا إعادة تنظيم صفوفنا ..

وكان المجاهد عبد العاطي الجرف موجودا فاخليت به قليلا ، فقد كان في نظرنا أفضل ما يمكن استشارته في مثل هذا الموقف ، لشجاعته وخبيرته التامة بحالة الجنود المعنوية ..

ولما استعرضت معه مختلف وجهات النظر التي استمعنا اليها من المقاتلين قال لي الرجل :

- اسمع يا عبد الرحمن .. ان الانسحاب هو رأى الجبناء وفي رأى أنه لو أصبح



الايطاليون ووجدوا أننا قد تركنا مراكزنا وتراجعنا الى العزيزة يشجعهم ذلك على متابعتنا بقواتهم .. أما إذا ما بادرنا بالهجوم عليهم فيأتهم سيترددون كثيرا في مواصلة الهجوم علينا .. وسيكون عندنا الوقت الذى يسمح لنا بجلب النجدة والذخائر التى يحتفظ بها رمضان السويحلى فى مصراته ..

قلت : أنا موافق على هذا رأى .. ثم تركته ورجعت الى قادة المقاتلين حيث أخذت أسفه بكل قوة فكرة الانسحاب الى العزيزية .

واذكر أننى قلت لهم .. إن من لا يجيد فى نفسه القدرة على القتال فلينسحب الى العزيزية .. أما أنا فسأتحرك ومعى كل مجاهد شريف عند الفجر لنتلقى بالاعداء ..

وتحس المحاضرون معى ضد فكرة التراجع والانسحاب !

وأذكر من بين هؤلاء الذين تحمسوا للقتال العويضى بك ، وكان رجلا شجاعا والشيخ المنصورى الذى هاجم بشدة وعنف فكرة التراجع الى العزيزية ..

\*\*\*

تعيينا وبعدها أخذ السنوسى العبلى وعبد العاطى من المجاهدين ينظمان الورديات للتعهد نحو مواقع العدو والاستكشاف ..

وفى أواخر الليل كلفت بعض الجماعات بالتقدم من مختلف الاتجاهات حول مواقع الاعداء وطلبت الى هذه الجماعات أن توقد النار فى أماكن تقدمها حتى يتوهم الاعداء استقرار قواتنا فى تلك المناطق .

ومع طلوع الشمس أدرك العدو أننا نحاصر قواته من كل جانب فلم يتحرك من أماكنه كما توقعنا ..

وبقيت الدوريات فى الجبهة بينما رجع المجاهدون الى معسكرنا العام يأكلون ويشربون فى خيامهم ..

ومر اليوم بطوله بلا قتال ولكن ما كاد النهار ينتهى حتى جاءت الطائرات الايطالية لتغير على مراكزنا بقسوة وضراوة ..

\*\*\*

واضطر الجنود للتفرق في مساحات واسعة من الأرض الرملية ..  
وأذكر أنني كنت جالسا مع بعض الضباط في خيمتي عندما بدأت الغارات الجوية ..  
وعندما أخذت الطائرات الايطالية تلقى بقنابلها على معسكرنا، خرجت من الخيمة  
لأرى القنابل وهي تنفجر حولنا ..  
ولم يكن في وسعنا إلا أن نترقد على الأرض لعدة ساعات حتى انتهت الغارات  
الجوية ..

وعندما غابت الشمس كان أزيز الطائرات لا يزال يصم الأذان .  
وأخيرا ابتعدت الطائرات فأخذ الجنود يتحركون من أماكنهم ..  
ولما بدأنا في تقدير خسائرنا تبين لنا أن بعض جنود المترابوز قد جرحوا ، وأن عددا  
منهم قد استشهدوا، كما أصيب عدد كبير من الحيوانات ..  
وبات المعسكر في تلك الليلة في رعب من الطائرات التي توقعنا أن تعود مرة أخرى ..  
ولا أريد أن أقول إن هذه الغارة الجوية كانت أسوأ غارة شهدتها طوال تلك السنين  
التي عشتها مع المجاهدين العرب وهم يقاتلون الانجليز والايطاليين ..

\* \* \*

ومرت بضعة أسابيع لم يحاول العدو لحسن الحظ القيام بأى هجوم على مواقعنا ،  
واكتفت قواته بما كانت تقوم به من مناوشات هنا وهناك ..  
ولكن الطائرات الايطالية استمرت في ضرب خطوط القتال بالقنابل .  
كما أخذت في ضرب الاهالي وحيواناتهم في المناطق التي تمتد وراء جبهة الحرب ..  
وكان في تصور الايطاليين أن ما كانوا يقومون به من غارات جوية وحشية على القرى  
والكفور الآهلة بالسكان يمكن أن يخضع الناس ..

ومع الغازات الجوية لجأ الايطاليون الى القاء المنشورات وكان أن أخذت طائراتهم  
تقذف بالآلاف منها فوق معسكراتنا ، وفوق المناطق الآهلة بالسكان ..  
وفي هذه المنشورات كان الايطاليون يتكلمون كثيرا عن ضعف مركز الجمهورية في

مواجهة قوة إيطاليا ومركزها، واستعداداتها للقضاء على أى مقاومة ..

كما كانت تتحدث عن رغبتها فى حقن دماء الشعب وتمدينه وتعمير بلاده ..

وكان ردنا على الغارات الجوية وهذه المنشورات أن نظمنا فرقا من المتطوعين الفدائيين للقيام بعمليات التخريب وراء خطوط الاعداء وداخل معسكراتهم ..

وأطلقنا على هذه الفرق .. اسم .. الفلانة

واستطاعت هذه الفرق فى عدة اسابيع أن تثير الرعب فى قلوب الايطاليين ..

كانت تضرب .. ثم تختفى ..

واهتزت إيطاليا بعنف لشدة الخسائر التى حاققت بقواتها على أرض طرابلس ..



كانت موكبة جمهورية مصر على الأستان العرب مدينة على رأسها .. والظفر أحد المصيرين الإقليميين على العسيرة القوية (الضمان العسكري) وهو يتقدم فرسانه وكان شعارها سلاماً .. وشعارها  
وإطلاق العنان للعنق الجمهوري ودمع مع الرجز حراً .. والعسيرة القوية العرب لا تطيقهم إلا من العظم الإقليميين وهم يتكلمون على الشراع الذي أصبح اسم الأثر التاريخي...



## .. ودخلنا الى مدينة طرابلس

وجاء الى مصراته في تلك الأيام يهودى اسمه « خلف الله ناحوم » وكانت له علاقات طيبة مع رمضان السويحلى ..

قال .. انه موفد من الايطاليين للبحث في شروط الصلح مع الجمهورية ..

وتحدث الرجل اليهودى مع أحمد المريض بك .. ومع سليمان البارونى بك .. ومع الهادى كعمار بك ، وغيرهم من أعيان البلاد الذين كانوا يعرفونه ..

وعرف رمضان السويحلى بك بالوساطة التى يحملها الرجل اليهودى فقال له :

- ان العرب لا يمانعون فى الصلح ، ولكن بشرط أن تعترف إيطاليا بالجمهورية الطرابلسية ..

وعاد الرجل الى طرابلس ليبلغ الايطاليين بما قاله رمضان السويحلى عن شروط الصلح معهم ..

ولم يوافق الايطاليون على الاعتراف بالجمهورية ..

وبادروا بالعودة الى ضرب مواقعنا بطائراتهم وبالمناوشات الحربية من جديد .

وحدث فى تلك الأيام . ان فاجأت قوات الايطاليين احدى فرق « الفلاته » أثناء قيامها بعملية فدائية وراء خطوط الاعداء ..

كانت الفرقة تضم نحو ١٠٠ رجل من الفدائيين وقد استمات افرادها فى القتال ضد القوات الايطالية التى كانت محاصرتهم حتى وصل خبر المعركة التى كانوا يخوضونها بشراسة إلى قواتنا النظامية فبادرت بنجدهم ..

وأثناء المعركة تصادف ان وجدت احدى وحداتنا نفسها وراء قوات العدو وكانت هذه الوحدة بقيادة المجاهد البطل السنوسى العبل فلم تنتظر وقامت بإصلاء قوات الايطاليين بنيران عدد من مدافع المتريوز التى كانت معها ..

وتساقط عشرات الايطاليين قتل برصاص مدافع المترليوز ..

وانتشر القتال في تلك الاثناء ليشمل جميع مناطق الحسب التي كانت تمتد من مدينة طرابلس حتى منطقة الزاوية ..

واضطرت قواتهم التي كانت تحاصر وحدة « الفلانة » للانسحاب ..

واصبحت هذه القوات أثناء انسحابها أيضا بخسائر كبيرة ..

وكانت نتيجة المعارك انتصارا رائعا مبينا للمجاهدين العرب ..

ومرة اخرى طلب الايطاليون الدخول في مباحثات الصلح .. وكان ان اقترحوا الاجتماع بأعيان البلاد، ولما عرض الأمر على المجلس الجمهورى قال اعضاؤه .. لماذا لا نستمع الى ما يريد ان يقوله الايطاليون ..

وقرروا تأليف وفد من الأعيان لمقابلتهم ..



ودارت المفاوضات بيننا وبين الايطاليين ..

وأثناء هذه المفاوضات رفض الايطاليون مرة اخرى الاعتراف بالجمهورية ..

كما رفضوا الاعتراف بأى حق من حقوق العرب .. وكان كل الذى عرضه هو السماح للعرب بالاشتراك في وظائف الادارة .. والوعد بنشر التعليم والعمران ورد الأملاك المصادرة الى أصحابها والعفو العام عن المجاهدين الذين شاركوا في الحرب ضد الايطاليين ..

كان هذا هو كل الذى عرضه الايطاليون في مقابل عقد الصلح بيننا وبينهم ولما اجتمعنا في العزيزية للنظر في نتائج هذه المفاوضات كتبت بخط يدي رد العرب على العرض الايطالى السخى ..

وفي هذا الرد قلت بالحرف الواحد .. ان العفو العام ليس ثمنا للضحايا والدماء التي اريقت في سبيل الحرية ، وهو لا يعوض العرب ثمن اغتصاب أوطانهم .. واننا كنا ننتظر ان يدفع الايطاليون ثمن عفونا عنهم ، لأنهم جاءوا الى البلاد فخربوها وظلموا أهلها ولا قيمة للتلويح بالعفو في نظر قوم تعاهدوا على التضحية في سبيل حريتهم ..

وذكرت ان العرب يريدون السلم ويغضون سفك الدماء ..

وقلت إن الموقف أصبح كما قال الشاعر:

إذا لم يكن من الموت يد . . . فن العجز ان تموت جبانا

كان هذا هو رد العرب، وقد أرسلناه باسم المجلس الجمهورى الى الايطاليين ..

واذكر ان الايطاليين استأنفوا المفاوضات بعد أن تلقوا هذا الخطاب بروح اكثر اعتدالا ..

وكان هناك رأى بأن يتنازل العرب عن تمسكهم بالجمهورية مقابل اعتراف ايطاليا باستقلال ذاتى للبلاد، على أن يقوم فيها نظام يشبه نظام «الدومنيون» فى جنوب افريقيا ..

\* \* \*

كنا نعرف ان حالة البلاد لم تكن تسمح باستمرار القتال الى مالا نهاية أو على الاقل حتى يتسنى لها تحقيق جميع مطالبها، فقد كانت مواردها قد اخذت تنضب شيئا فشيئا .. وكنا فى نفس الوقت أكثر الناس ادراكا. بأن اتحاد الزعماء كان قائما على الخوف من فتك العدو بهم الواحد بعد الآخر .. وكنا نعرف أيضا أن بعض هؤلاء الزعماء يسايرون الحركة الوطنية على بأسهم من نتائجها، خوفا من أن ينتقم منهم خصومهم ..

كانت هذه هى حالتنا عندما بدأنا المفاوضات .. وفى نفس الوقت لم نكن ندرى شيئا عما كان يعانىه الايطاليون أنفسهم فى بلادهم، ولا عن عصيان جنودهم الذين انهكت الحرب قواهم، ولا عما كانوا يكابدونه من حلفائهم أثناء مفاوضات مؤتمر الصلح فى فرساي ..

وعندما قبل الايطاليون فى اجتماع عقدناه للمباحثات مع الايطاليين بالقرب من منطقة العزيرية، اعطاء العرب نوعا من الاستقلال الذاتى وأن يكون لطرابلس مجلس نواب منتخب ومجلس حكومة من أعضاء يختارهم مجلس النواب ليشترك مع الوالى الذى تعينه ايطاليا فى حكم البلاد ومزايا اخرى فرعية. أجمع الزعماء على قبول الصلح وجاء رمضان السويحلى الى العزيرية بنفسه ليعلن موافقته على الصلح ..

وليقع على وثيقة الاتفاق بين الزعماء العرب والايطاليين ..

وكان ذلك على ما أذكر فى ابريل سنة ١٩١٩ ..



وكانت أهم الأسس التي تضمنتها اتفاقية الصلح :

- ١ - تسمى الحكومة .. حكومة القطر الطرابلسي ..
- ٢ - يدير أمور قطر طرابلس مجلس حكومة مؤلف من ثمانية أعضاء وطنيين ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي من بين أعضائه ومن عضوين إيطاليين ينتخبهما الحاكم العام ..
- ٣ - يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطان الملكية والعسكرية على أن يعين من جانب ملك إيطاليا .. ويحدد القانون جنسية الحاكم فقد يكون عربيا . وقد يكون إيطاليا ..
- ٤ - يسن قوانين البلاد مجلس نواب ينتخبه الأهالي يتمتع بما لمجالس الدول الأخرى المتقدمة من سلطات وحقوق وتكون مدته أربع سنوات وكلما جدد انتخابه اختار النواب مجلس الحكومة من بين أعضائه ..
- ٥ - لا تنفق ضرائب البلاد الا فيما وحسبما يقرره مجلس نوابها عن وضعها وتوزيعها وجبايتها ..
- ٦ - لا يطبق من قوانين إيطاليا في طرابلس الا ما يقبله مجلس النواب الطرابلسي ويوافق عليه لمصلحة البلاد ..
- ٧ - ينظم من أبناء البلاد جند وطني بالتطوع حسبما تقتضيه الحاجة وقائده هو الحاكم العام ..
- ٨ - للوطنيين حق التوظف في الوظائف العالية ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالامتحان ..
- ٩ - التعليم الاهلي تحت اشراف الحكومة ..
- ١٠ - اللغة العربية رسمية كالايطالية .
- ١١ - ينتخب الاهالي رؤساء البلديات في العاصمة والملاحقات ..
- ١٢ - يؤلف مجلس شرعي تستأنف اليه الاحكام الشرعية وهو يعين القضاة .
- ١٣ - للطرابلسيين الحائزين على الشهادات العالية الحق في مزاوله المهن الحرة كالطب والعمارة وغيرها في إيطاليا كما في طرابلس ..



١٤ - الأوقاف تدار بمعرفة هيئة اسلامية ..

١٥ - تراعى حرمة الدين والتقاليد الوطنية المحسنة .

الى آخر ما جاء في اتفاقية الصلح ، وكانت تحتوى على أكثر من ٤٠ مادة .

وقد تم توقيع الاتفاقية عند منتصف الليل في خيمة وضعت في منطقة محايدة بين الوفدين العربى والايطالى ..

وكان أول من وقع على الاتفاقية على ما أذكر هو الشيخ سليمان البارونى عضو المجلس الجمهورى .. والى جانبه قام بالتوقيع عليها رئيس أركان حرب القوات الايطالية .. وقام بالتوقيع رمضان بك الشتيوى وأحمد المريض بك عضو المجلس الجمهورى ثم بقية أعضاء وفد المفاوضات العربى والايطالى ..

ومع توقيع اتفاقية الصلح أعلن الشيخ سليمان البارونى اعتزاله العمل في المجلس الجمهورى ليسافر الى الاستانة حيث عين عضوا في مجلس الأعيان العثماني ..

\*\*\*

ومع اعلان الصلح أصدر الملك ريتوريو عمانويل الثالث ملك ايطاليا قانونا سمي بالقانون الاناسي تضمن بعض ما تم الاتفاق عليه بين العرب والايطالين ..

وفى رأبى ان بعض كبار الزعماء .. مثل رمضان السويحلى بك .. لم يكن يهمهم كثيرا المجادلة فى الجزئيات بل كان كل ما يهمهم هو وقف القتال مع احتفاظهم بكل ما كان فى ايديهم من سلطات واسلحة حتى اذا ما نكث الايطاليون أو أرادوا بهم شرا ، قابلوهم بالقوة ..

وبالرغم من أننى قد اشتركت فى جلسات المفاوضات باعتبارى مستشارا لبعض أصدقائى أصحاب النفوذ والقوى فى ترونة ومصراة فاننى لم أوقع على وثيقة الصلح ..

وكان الجنزال الايطالى قد طلب منى أن أوقع عليها إلا أننى بادرت بالاعتذار له باللغة الفرنسية وأنا أقول له :

- إن مهمتى قد انتهت بهذا الصلح .. وأنا اريد مغادرة هذه البلاد ولا اعتقد أن امضائى يمكن أن يكون له قيمة عملية مادمت قد اعترمت الرحيل ..

وحاول الجنرال الايطالى اقناعى بالتوقيع على اتفاقية الصلح ولكنى أصرت على موقفى .

\* \* \*

ومع توقيع اتفاقية الصلح طلب المارشال وينصو غاريونى الحاكم العام الايطالى وفدا من العرب لمقابلته فى دار الحكومة بمدينة طرابلس ، فذهبت اليه أنا والشيخ سليمان البارونى والمريض بك .. وكان معنا واحد آخر لا أذكر اسمه ولعله العويضى بك ..

وكان الايطاليون لا يخشون أحدا من الزعماء كما كانوا يخشون رمضان السويحلى بك فقد كان أكبرهم نفوذا وأقواهم جيشا وأكثرهم قدرة على المناورة ..

وحاول الجنرال الإيطالى اقناعه بالتوجه معنا الى طرابلس لمقابلة الحاكم العام الايطالى ولكنه اعتذر فى بادىء الأمر ..

ولما أُلح عليه الجنرال الايطالى اشترط أن يكون مصحوبا فى دخوله الى مدينة طرابلس بالزعماء وبقوة مكونة من ١٥٠٠ فارس على الأقل بأسلحتهم ..

وكانت مناقشة طويلة .. انتهت بأن وافق الايطاليون على هذا الشرط ..

وفى اليوم المتفق عله .. توجهنا الى مدينة طرابلس فى موكب يحف بنا الفرسان بأسلحتهم وذخائرهم ..

وكان أن دخلنا الى المدينة يتبعنا الفرسان وهم يركضون يخيوهم العربية الاصلية ثم توجهنا الى مقر الحاكم الايطالى ، حيث دخلنا من الباب الشرقى الجنوبي .. ولا أريد أن أقول إن دخولنا المدينة كان كما وصفه حمدان المنجم ..

وكان أهل المدينة فى فرح شديد فقد استقبلتنا النساء بالصياح والزغاريد .

وظهرت الحمرة على وجوه الاجانب وخاصة الايطاليين وهم يراقبون دخول فرساننا الى المدينة من النوافذ فقد كانوا يرون جيشا يشبه الجيش الفاتح وهو يدخل بلدا قضى ثمانية أعوام كاملة تحت الاحكام العرفية وكانوا فى نفس الوقت يعرفون أن جيش الايطاليين لم يقهر ..

وكان آخر ما يمكن أن يتصوره أى واحد منهم ان يعود العرب الى المدينة فاتحين هكذا ..

وكنت أسير بمحصاني الى جوار رمضان السومحلي بك الذي كانت عيناه تتلفتان حوله  
كعيني الصقر..

ولما ترجلنا أمام قصر الحاكم الايطالى تركت سلاحى فى جرابه الذى كان معلقا فى  
سرج الحصان .. أما رمضان فقد علق بندقيته فوق كتفه وسار فى اتجاه السلم بينما كان  
احد رجاله يمشى أمامه ليفسح له الطريق ومن حوله جماعة من أشد رجاله وبنادقهم على  
أكتافهم ..

\* \* \*

دخلنا قصر الحاكم العام .. بينما كانت الخيول بفرسانها المدججين بالسلاح تسد باب  
القصر وتملأ الشوارع التى كانت تحيط به ..

وكان اللقاء مثيرا بين المارشال غاريونى الحاكم الايطالى العام .. ورجل الجبل  
رمضان بك ..

لقد أخذ كل منهما يتفرس فى الآخر .. وبعدها تملك الحاكم العام الايطالى نفسه فأخذ  
يرحب بنا بمحاوة ..

وتكلم المارشال غاريونى عن رغبة ايطاليا فى تعمير البلاد وترقيتها وكسب صداقة  
العرب ومعاونتهم ..

ورد عليه رمضان وبعض الأعيان معلنين ترحيبهم بالصداقة والتعاون

وبعدها انصرف المارشال غاريونى .. وبقى معنا مساعديه الذين كانوا قد اشتركوا معنا  
فى مفاوضات الصلح وبعض كبار الموظفين .

ولكن رمضان لم يبق لحظة بمجرد أن انسحب الحاكم العام الايطالى من المكان . فقد  
بادر بمغادرة القصر ثم ركب جواده وأمر الفرسان أن يتبعوه ..

وانطلق رجل الصحراء خارجا من المدينة ..

## وزع الإيطاليون الذهب فأثاروا الفئنة بين القبائل

كانت مدينة طرابلس محكمة التحصين وكان يحيطها سور مدعم بالاسمنت المسلح على شكل نصف دائرة ..

وكان طرفا هذا السور ينتهيان عند شاطئ البحر ..

وفي خارج السور كانت هناك أكثر من قلعة أقامها الإيطاليون ..

وخلف هذه القلاع كانت تمتد سلسلة من الخنادق والاسلاك الشائكة ..

وعندما نزلنا من قصر المحاكم العام الإيطالي الى دار الضيافة نتساءل عن السر في انصراف رمضان بك السويحلي بسرعة، فقد كان انصرافه مفاجأة لنا وبدون سابق انذار ..

ولكن دهشتنا لم تدم طويلا، وخاصة عندما عرفنا أن كل واحد من فرسانه كان يخفي مقادير كبيرة من الذخيرة تحت التبن في الأكياس التي تأكل منها الخيل وكان الإيطاليون قد تأهبوا للطوارئ فوزعوا بعض جنودهم فوق أسطح بعض المنازل ..

ويعني آخر كان أقل احتكاك كافي لإحداث مذبحة دموية في ذلك اليوم ..

ولم يكن في وسعنا الا أن نقر بأن رمضان قد أحس بما كان يحيط به من أخطار فبادر بالانصراف، وأخذ معه فرسانه .

واذكر ان الجيرال الإيطالي الذي رأس وفد مفاوضات الصلح كان يقف معنا في قصر المحاكم العام قد ابدى استياءه من انصراف رمضان، فلم أجد ما أقوله له سوى انه قد خشي أن يطعم رجاله في النهب فبادر الى سحبهم ..

وقد استطعت بعد جهد كبير اقناع الجيرال بأن انسحاب رمضان لم يكن ينطوي على أي حذر أو تخوف من الإيطاليين ..

ولما عرفت أن السلطات الإيطالية كانت قد أعدت معسكرا في خارج اسوار المدينة للفرسان العرب ليتناولوا فيه طعامهم والراحة أرسلت من يلحق بربضان ويخبره بذلك .. وكان أن أمر رمضان رجاله بالعودة .. أما هو فقد واصل رحلته الى مصراته .. ولم يعد ..

وفي اليوم التالي شكوا الايطاليون اليينا من أن الفرسان قد أخذوا الأطباق وأدوات الاكل وبعض خيام المعسكر ثم ذهبوا ..

وضحكت عندما سمعت هذه الشكوى ، ولم يكن في وسعي الا أن أقول للجنرال الايطالى مازحا ..

- أعتقد أنهم ظنوها هدية لهم من الحكومة الإيطالية ..

وفي نفس اليوم خرجنا من المدينة ثم توجهنا الى ثكنات الجيش الايطالى وكان معنا بعض أعيان مصراتة للبحث في موضوع تبادل الأسرى ..

وكان جميع الاسرى الايطاليين في يد رمضان وحده ..

أما الاسرى العرب عند الايطاليين فقد كان عددهم كثيرا جدا ..

وكان من بين هؤلاء الاسرى أخوا رمضان نفسه .. وهما أحمد السويحلى ومحمد سعدون وكذلك بعض أقاربه وأصحابه ..

كما كان يوجد من بينهم فريق من أعيان برقة ..

وأثناء هذه المفاوضات كان واضحا أن رمضان كان يعمل على تخليص أخويه ، ولذلك لم يكن يعبأ كثيرا في الحصول من الايطاليين على شيء من نفقات اعاشة الاسرى الايطاليين الذين كانوا عنده وفي تصوري أنه لو كان قد طلب أى مبلغ من المال مقابل نفقات اعاشة هؤلاء الاسرى لما ترددت ايطاليا في تلك الأيام في دفعها اليه .. ولكنه لم يطلب أى مقابل لا طلاق سراح هؤلاء الأسرى

وكان ان تمت عملية تبادل الأسرى بلا عقبات ..

\*\*\*

## جناب رمضان الشتيوي المحترم

بعد اهداء السلام قد جئت اليك بالسفينة  
 الحربية التي وصلت الآن امام مرسى ابي شعيبة  
 وسمى اخوتك الذين كتبوا لله الجواب المفقود لهذا  
 وليس قصدي اذ المذاكرة معك قبل مباشرة الحرب  
 ووقوع الهدايا والهن . وأنا كلابي فهو سيكون كلانا  
 حادلا . ولك ان تسأل اذا شئت كل الاهالي  
 الذين يعرفوني بصفتي مقبلا بالضيافة وباسهل  
 ونسمع منهم بلا شدة اني صحت صادق كفاية  
 ابناي البلاد . والامور شاه ان تقدم هذا (رضي مساه  
 اسبت عند غروب الشمس) الى العمل هناك وانت  
 الحامل الى البر فان اعظم بالسفينة هناك وانت  
 تقدر ترتيب فوقها وجعل المذاكرة معي ومع اخوتك  
 وأنا اناكم دائما كما كان بشرفي واموري ولا يكون في  
 ذلك عندكم اذنى شدة وعند ختام المذاكرة فلك الحمد  
 التام في رجوعك الى البر . واذا لم يصل هذا الجواب  
 اليه في حينه فنحن راجعون الى طرأس وننتظر رد  
 الجواب هناك مع صحتك للزمان والمكان لا قبل المذاكرة  
 المحذورة والسلام  
 ١٩٤٢

الكولونيل جنتيلوتشي

Gentilotti

■ واحدة من وثائق الجمهورية الطرابلسية . وهي رسالة بعث بها الكولونيل الإيطالي جنتيلوتشي إلى رمضان السرحل الشتيوي يدعوها فيها للمفاوضة معه بشأن الإفراج عن إخوة رمضان . وكانت السلطات الإيطالية قد اعتقلتهم وأودعهم السجن للضغط عليه بعد أن أعلن الحرب على الإيطاليين ..



ومع اصدار الملك بتوريو عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا القانون الاساسى اذاع المحاكم الايطالى بياناً رسمياً كان بمثابة الاعلان للنظام الجديد للحكم فى طرابلس ..

وأثار انتباهى فى مقدمة هذا البيان ما جاء فيها بأنه اعلان الى شعوب طرابلس الغرب ..

ولعلمنى كنت أول من أدرك ان الايطاليين قد استخدموا كلمة شعوب فى هذا البيان لتكون مسهارة فى نعش وحدة شعب طرابلس ..

ولعلمها كانت أيضاً ذريعتهم لاثارة الفرقة والخلافات فيما بعد فى صفوف أهل ليبيا ..

المهم .. صدر القانون الاساسى ..

وكان أن أخذت البلاد شيئاً من مقومات الحرية والحكم الوطنى ..

ومع الافراج عن الأسرى العرب عاد بعض اهالى مصراتة الذين كانت السلطات الايطالية قد اجبرتهم على الزواج عنها أثناء عمليات الانسحاب الأول من شاطئ مصراتة ..

ثم أخذت تتكشف للمجاهدين مع تنفيذ اتفاقية الصلح بعض الشروط الخطيرة فى الاتفاقية ..

فقد كان من شروطها مثلاً ان يكون جمرك مصراتة فى ايديهم .. أى تحت اشراف الايطاليين ..

كما كان من شروطها أن يكون عندهم ضابط برتبة ميجر فى نفس مدينة مصراتة .. وأن يكون مع هذا الضابط عشرة أنفار من أجل الاشراف على أجهزة التلفزيون المركزية .

وكان من بين هذه الشروط أيضاً .. أن يكون لهم .. أى للايطاليين نقطة عسكرية فى مصراتة على أن تتكون من مائتى عسكري ما بين نفر وصف ضابط .. وضابط

كانت الاتفاقية شأن أى اتفاقية تبرمها دولة صغيرة مع دولة مستعمرة قوية ..

ولكن ما كان يبعث الرضا عند المجاهدين هو بند آخر فى الاتفاقية يسمح بأن يكون الجيش الوطنى كله من أنفار وضباط من أهل البلاد على أن تتحمل الحكومة الوطنية

نفقات ملابس هذا الجيش ومراتب ضباطه وجنوده .. وبشرط أن تتضمن تنظيماً الجيش ضابطاً واحداً إيطالياً برتبة كولونيل كمستشار عسكري للجيش الوطني ..

وصحيح أن الحكومة الوطنية قد عملت على تنظيم الجيش الوطني وكتائب المجاهدين إلا أنها لم تجد غضاضة في الإبقاء على هذا الكولونيل الإيطالي .. وبالرغم من أن رمضان السويحلي كان على يقين من أن هذا الضابط له مهمة أخرى وهي أن يكون جاسوساً على الجيش الوطني .. إلا أنه لم يعترض على الإيطاليين أثناء المفاوضات عندما أصرروا على تعيين هذا الضابط الجاسوس في الجيش الوطني ..

ولكني سرعان ما أدركت أنه عندما وافق على تعيين هذا الضابط كان يضر في نفسه شيئاً آخرًا لمواجهة إصرار الإيطاليين .

كانت له أساليبه ..

وقد راودته قبل أن يحف الممداد الذي كتبت به اتفاقية الصلح أكثر من فكرة لماصرة كل العيون التي أراد الإيطاليون استخدامها على طريق الاتفاقية لمتابعة تحركاته ..

وأذكر أنه بعد أن تم اختيار الضابط الإيطالي الذي خصص للعمل في مدينة مصراته ، إن استقبله رمضان السويحلي بحفاوة ، ثم قام بانزاله في بيت جميل

وفي الوقت الذي كان يأمر فيه أتباعه بتقديم كافة التسهيلات لهذا الضابط كان رمضان قد أتم محاصرة بيت الضابط بالجواسيس والعيون من بين أتباعه ..

وكانت تعليقات رمضان صريحة وواضحة بأن كل من يدخل على هذا الضابط الإيطالي أو يحاول الاتصال به يعاقب عقاباً شديداً ..

وتخوف الناس من الاتصال بالرجل ولا سيما أصحاب النفوس المريضة الذي أخذ لعابها يسيل مع بريق الذهب الأجنبي ..

وانتهى الأمر بالضابط الإيطالي لأن يجد نفسه أسيراً أو معتقلاً ..

ولم يكن امامه إلا أن يستغيث بحكومته وهو يقول لها :

- أنا هنا شبه محاصر ولم يعد في وسعي أن أبذل نشاطاً أو أن اتحرك ..

واضطرت حكومة طرابلس لأن ترسل تعليقاتها إليه بان ينسحب من مصراته بعد أن يحمل آلة اللاسلكي التي كانت معه إلى منطقة قصر أحمد ..

وهكذا كانت طريقة رمضان في مواجهة مثل تلك الأمور بالصبر.. وبالدهاء..

\*\*\*

وكنت في تلك الأيام قد بقيت في مدينة طرابلس ، ومعى بعض أعيان الصحراء في بيت استأجرناه ..

والتف حولنا أهل المدينة وشبابها .. ولم أنتظر وبادرت بإصدار جريدة أطلقت عليها اسم اللواء الطرابلسي ..

ولا أريد أن أقول أن انتسابى الى الحزب الوطنى فى تلك الأيام هو الذى أوحى لى باختيار هذا الاسم للجريدة الطرابلسية ..

كنت أريده قريبا من اسم جريدة اللواء التى أصدرها الحزب الوطنى فى القاهرة وكانت لسان حاله ..

والى جانب هذه الجريدة قمت بافتتاح مدرستين لتعليم الأهالى ..

وأثار نشاطى انتباه المسئولين الايطاليين فأخذوا فى تشجيعى ..

ولم يدرك أى واحد منهم فى تلك الايام ما كنت أجري وراءه .. فقد كان هدفى أولا وقبل كل شىء هو تقوية معنويات الشعب والأهالى ..

كنت أريد أن ينتشر العلم بسرعة ، حتى يستطيع هذا الشعب المسكين أن يرفع رأسه أمام الايطاليين ، وأن يتحرر من الهوان الذى عاش فيه سنوات طويلة ..

وفى تلك الايام اتخذ الايطاليون بعض الخطوات لا نشاء مجلس النواب وتشكيل أول مجلس للحكومة الوطنية ..

واذكر فى تلك الأيام أننى كنت مع الجنرال الايطالى فى مقر الحكومة عندما همس فى أذنى قائلاً :

- لماذا لا تطلب بعض المال لمشروعاتك فى الصحافة والتعليم ..

وانتفضت فى مكافى وأنا أقول له :

أعتقد أن المدة التى قضيتها هنا كانت كافية لأن تعرفنى جيدا ، وأن تؤمن بأننى رجل شريف ..

وحاول الجنرال الايطالى أن يقول شيئاً ولكننى كنت أسرع منه عندما استطردت أقول له :

- سيدى إن أهل طرابلس عندهم الكفاءة والقدرة على تنفيذ المشروعات الاصلاحية والاتفاق عليها.. وأنا أسف لمجرد أن تبادل الى خاطرک أننى أطمع فى أموالکم الايطالية ..

ولم يتالك الجنرال نفسه بعد الذى سمعه منى ، فأخذ يعتذر لى ، وهو يقول :  
- أنا أسف لأنک لم تفهمنى جيداً .. فقد كنت أعرض عليك فقط استعدادنا للمعاونة فى الأعمال الاصلاحية العامة .

\*\*\*

تركت الجنرال الايطالى وأنا فى أشد حالات الانفعال والغضب .. وتبادر الى خاطرى فى ذلك اليوم احتمال ان يكون الايطاليون قاموا بمثل هذه المحاولة مع غيرى .  
وفى بادىء الأمر استبعدت أن يكون استخدامهم لسلاح المال قد ادى الى أبة نتيجة ، فقد كنت على يقين من وطنية المجاهدين الذين جاءوا معنا الى طرابلس ، ومن اخلاصهم للجهاد فى سبيل حرية بلادهم ..

وصحيح ان اشاعات كثيرة ترددت فى تلك الايام عما كان الايطاليون يقومون به لرشوة الاعيان فى غريان وغيرها .. ولا فساد ذم الضباط والجنود ..  
ولكن احدا لم يكن يستطع أن يصدق شيئاً من هذه الاشاعات ..  
وأنا نفسى قد مر على وقت طويل قبل أن أتحقق من حقيقة ما كان يتردد فى هذا الصدد ..

واستطيع أن أوكد ان السلطات الايطالية قد لجأت الى سلاح الذهب منذ أول دقيقة بعد توقيع اتفاقية الصلح ..

\*\*\*

نجحت السلطات الايطالية باستخدام سلاح الذهب فى اثاره الفتنة و المنازعات بين الكثيرين من الاعيان وزعماء العشائر .. واستطاعت بأساليبها الاستعمارية أن تسلطهم بعضهم على بعض ..

وأصبحت الحرب الأهلية وشيكة الاندلاع .. وجاءنى فى تلك الأيام من يهمس فى أذنى قائلاً .. ان الايطاليين ينتظرون انطلاق الشرارة الأولى بين بعض العشائر ليبادروا

بالقبض على وابعدى عن مدينة طرابلس ..

وذهبت الى الشيخ عبد العاطى الجرم .. قائد القوة العربية التى تصكر فى خارج المدينة أسأله عن حقيقة الموقف .

وقال لى الرجل .. ان الحالة سيئة للغاية . وأنه لا بد لى من الانسحاب الى الشرق ..

وفى تلك الايام كان المارشال غاريونى قد نقل من طرابلس ، وجاء فى مكانه حاكم ايطالى مدنى وكنت ألتق بهذا الحاكم الجديد أحيانا .. ودعانى الرجل يوما لتناول العشاء معه والسهرة فى دار التمثيل .

وأثناء السهرة لاحظت أن الرجل يعاملنى بمنهجية وتكبر ..

وفى بادىء الأمر تصورت أن كراهيتى للايطاليين هى التى أوحى إليه بذلك ولما انتهت السهرة انصرفت وقد صممت على الخروج من المدينة فى أقرب فرصة ..

وعندما وصلت الى البيت تذكرت نصيحة الشيخ عبد العاطى الجرم فأخذت احزم امتعنى .. وكلى تصميم على ترك المدينة فى صباح اليوم التالى ..

كان قرارى نهائيا ولما جاء الصباح تسللت من البيت دون أن أخبر رفقاءى الذين كانوا يسكنون معى بما عزمت عليه وان كنت قد أوصيت خادمى بأن يجلس أمام الباب ويقول لكل من يسأل عنى .. أننى نائم ومتعب ولا أستطيع مقابلة أحد ..

ولم انتظر وبادرت بالتوجه إلى منطقة العزيزية ..

وهناك نزلت فى دار الحاج نعناع الزينى .. وكان قائمقام المنطقة .. أى حاكما لها ..

كان رجلا معروفا بوطنيته وبولائه للجمهورية منذ أن توقفت الحرب ، وعقدت اتفاقية الصلح .. ومنه عرفت أن الايطاليين قد قاموا باصلاح استحكامات سيدي رمضان .. وانهم يعسكرون فيها ..

وكانت هذه الاستحكامات تمتد فوق ربوة تشرف على بلدة العزيزية ..

ولم أتمالك نفسى من الغيظ لأن اصلاحهم لهذه الاستحكامات كان مخالفا لا تفاقية الصلح التى نصت صراحة على عدم اقامة الاستحكامات فى داخل البلاد أو احتلالها بقوات ايطالية ..

وكان واضحا أن الايطاليين قد استطاعوا بسط نفوذهم على داخل البلاد ..

وأثناء تجولى فى منطقة العزيزية .. كان من السهل على أن أدرك أن الحالة المعنوية للعرب قد ساءت وأنهم قد نسوا أيام الجهاد بعد أن جنحوا للسلم تاركين الجبل على الغارب للإيطاليين بالدرجة التى مكنت ضباط الاتصال الإيطاليين من أن يصبحوا المحكام الحقيقيين للبلاد ..

\* \* \*

رأيت من قبيل الاحتياط الا أبيت فى العزيزية ، وكان أن اخبرت الحاج مفتاح الزينى بعزمى على الرحيل .. قلت له أننى أزمع السفر ليلا الى ترهونة ..

وحاول الرجل اقناعى بقضاء الليل فى بيته . على أن أستأنف سفرى فى صباح اليوم التالى ولما وجدنى مصرا على رأىى قال لى : ان الضابط الإيطالى عنده سيارات كثيرة وانه يستطيع أن يطلب منه واحدة لتقوم بتوصيلى الى ترهونة ..

ورحبت بالفكرة ليتصل الحاج مفتاح بالضابط الإيطالى فى التليفون ويطلب اليه ارسال احدى سياراته لى حملى الى ترهونة فوعده بارسالها ..

ولكن السيارة لم تصل ولما طال انتظارنا ذهب اليه بنفسى وبصحبى الحاج مفتاح ولما رأى الضابط الإيطالى أخذ يعتذر بحرارة بحجة أن عشرات السيارات التى بين يديه ليس من بينها سيارة واحدة يضمن توصيلى بها سالما الى ترهونة .. وكانت حجته طبعاً واهية .

وحدث بيننا كنت أتحدث مع الضابط الإيطالى أن لمحت عينى بدوية حسنة القوام وهى تخرج من مسكنه الخاص ..

كانت تتسلل من الباب وهى تلتفت حولها وكانت تبدو كمن تريد ألا يراها أحد .. وأثار منظر البدوية وهى تتسلل من بيت الضابط الإيطالى الام والمرارة فى نفسى ولما انصرفنا من عند الإيطالى بادرت بسؤال الحاج مفتاح عن البدوية .. فقال لى .. انها زوجة أحد رجال الشرطة ..

قالها بهدوء وببساطة وكان الأمر لايهمه من قريب أو بعيد .. وأدركت ما أصبحت عليه حالة الاهالى فى هذه المنطقة بعد أن وصل اليها الإيطاليون فقد كان يكفى أن تقوم امرأة بمخدمة ضابط إيطالى حتى يسيء بها الناس الظنون حتى لو كانت خدمتها له بريئة من كل سوء ..

قلت لنفسى ماذا حدث يارب للاهالى العرب ؟ وأخذت أتعجب لتطورات الأمور .. وما كدت أصل الى بيت الحاج مفتاح حتى طلبت

اليه أن يرسل مناديا الى السوق ليدعو الناس للاجتماع ..

قلت له .. اننى أريد أن ألقى فيهم كلمة ..

واجتمع الناس كالعادة الجارية تلك الأيام ووقفت فيهم خطيبا ..

وكانت مفاجأة عندما سمعوني وأنا أقول لهم .. لقد غبت عنكم شهرين أو ثلاثة ثم

عدت لأرى قوما غير القوم .. قد نسوا الجهاد وانصرفوا الى الشهوات وذلوا ذلا

كبيرا .. وهاهو ذا سيدى رمضان يشرف عليكم من مرقده .. وقد تحكم فيه النصارى

دون أن تحتجوا ودون أن ينهض منكم رجل رشيد فيأتى البنا فى المدينة ويخبرنا بما جرى .

وأثار كلامى حماس الناس .. وأخذ بعضهم يدافع عن نفسه رغم موقفه وهم فى عجب

لكلامى ..

ولم أتمالك نفسى فقد كانت جميع حججهم واهية فبادرت أقول لهم :

- لقد ساءت والله حالكم وأنا لم يعد فى وسعى المقام ولذلك قررت أن انصرف اليوم

عنكم ..

وحاول الأهالى تهدئة ثورقى .. والتف بعضهم حولى لاقناعى بالعدول من قرارى ..

ولكن لم أنتظر وبادرت بترك المدينة ..

وكانت البدوية الحسنة التى شاهدها وهى تتسلل من بيت الضابط الايطالى هى

السبب .

## أراد شيخ القبيلة تكريمي فزوجني ابنته !

نسيت أن أقول .. إنني تزوجت من بدوية حسناء أثناء حياتي في طرابلس ..  
كانت ابنة واحد من أكبر مشايخ القبائل في ناحية غريان ..  
وكنت قد ذهبت الى الرجل في مهمة قبل أن تنشب الحرب بيننا وبين الايطاليين ..  
وأراد شيخ القبيلة تكريمي ، فعرض على أن يزوجني ابنته ..  
ووافقت بلا تردد ..  
وكان لهذا الزواج أثر كبير في اندفاع قبيلة الشيخ الكبير معنا في الجهاد ضد  
الايطاليين ..  
ولا أذكر أنني قد رأيت وجه عروسي الا في ليلة الزفاف ..  
وبهذه المناسبة أقيم احتفال كبير اشترك فيه عدد كبير من الاعيان وزعماء العشائر ..  
ولن أنسى في حياتي .. أنني أمضيت ١٩ يوما فقط مع عروسي ، وبعدها اضطرت  
للخروج للجهاد مع المقاتلين العرب ..  
كانت الحرب قد بدأت ، وكان على أن أحمل بندقيتي لأقاتل مع المجاهدين ..  
وكان شعوري عندما خرجت للحرب ضد الايطاليين ، أنني أقاتل مع إخواني المجاهدين  
دفاعا عن أرضهم العربية .. وعن بيتي الذي تركت فيه عروسي في غريان .  
أما المجاهدون ، فقد تزايدت ثقتهم بي ، بعد أن تزوجت هذه البدوية ابنة شيخ القبيلة  
في غريان ..  
كنت اسمعهم يقولون .. ان عبد الرحمن عزام أصبح منا بعد أن تزوج من بناتنا ..  
وهكذا ذهبت الى الحرب وتركت عروسي ورائي ..  
وأراد القدر أن تمر الأيام دون أن تسمح لي ظروف الجهاد بالعودة الى بيتي في  
غريان ..  
كانت الاحداث تجري بسرعة ..  
وعندما اضطرت لمغادرة طرابلس ، لم تسنح لي الفرصة لوداع البدوية التي تزوجتها  
قبل أن تنشب الحرب بيننا وبين الايطاليين بعدة أسابيع .



ومرت الأيام ، ثم عرفت بعد عدة سنوات ، اننى تركت عروسى عندما ذهبت للحرب ، وهى حامل منى ، وانها ماتت بحمى النفاس بعد أن وضعت طفلة صغيرة أطلق عليها أخوالها اسم زينب .

ولم أعرف بمنثل تلك المأساة التى خلفتها ورائى فى منطقة غريان الا بعد عودتى الى القاهرة .

أن أحدا من أهل عروسى لم يكن يعرف شيئا عن مصيرى ، فقد تصور بعضهم اننى استشهدت أثناء المعارك .. وكان أن قام اخوال الطفلة بتربيتها والعناية بها ..

وصحيح أن صلتى بعد عودتى الى القاهرة لم تنقطع مع زملاء السلاح من المجاهدين الذين حاربت معهم ، الا أن أحدا منهم لم يخبرنى بأننى قد تركت ورائى طفلة صغيرة فى الجبل ..

ومرت السنوات قبل أن يعرف أخوال الطفلة الصغيرة فى غريان اننى حى أرزق . وفى سنة ١٩٣٦ جاءت زينب .. وكان عمرها ١٤ سنة الى القاهرة مع أحد أخوالها ، وهو أحمد الغريانى ..

قال لى : يا عبد الرحمن .. هذه زينب ابنتك ، وقد شئت بيننا حتى عرفنا أنك لم تستشهد فى الحرب ، وعرفنا عنوانك ..

وكانت أول مرة أرى فيها ابنتى الصغيرة ..

وكنت فى تلك الأيام استعد للسفر الى بغداد ، حيث كان قد صدر قرار بتعيينى سفيرا لمصر لدى أربع دول اسلامية دفعة واحدة وهى العراق وتركيا وايران وافغانستان ، ولذلك بادرت بتقديم ابنتى الى المرحومة والدقى لتعيش معها فى بيتى فى حلوان ..

وعملت أُمى رحمها الله على تعويضها الكثير مما كانت قد افتقدته من حنان الام التى لم ترها ..

ومرت عدة سنوات ، وكان ابن أخى أبو بكر عزام قد تخرج فى الكلية الحربية ، وجرى تعيينه فى نقطة خفر السواحل بناحية الهمام فى ضواحي الاسكندرية ، عندما جاءنى فى أبو قير بعض اصدقائى الليبيين من زملاء الجهاد ، وكان من بينهم الشيخ الوقور الحاج الفيتورى السويحلى

انه من عائلة رمضان السويحلى .. وكانت اخته متزوجة من سعدون شقيق رمضان .. وبعد استشهاد سعدون فى المعارك التى دارت بعد تركى طرابلس تزوجها أحمد الاخ الثالث لرمضان ..

وكان الحاج الفيتورى السويحلى يقيم وقتها مع عائلات المجاهدين الليبيين التى هاجرت

الى صحراء الفيوم بعد انتهاء المعارك ثم انتقلت الى تاحية المهام ، فتعرف على ابن اخى  
أبو بكر عزام ..

وكانت مفاجأة عندما بادرني الشيخ الفيتورى قائلا :

- يا عبد الرحمن .. مارأيك .. احنا اجتمعنا مع الإخوان الليبيين وقررنا تزويج ابنتك  
زينب الى ابن أخيك أبو بكر ..

وكانت واحدة من لحظات السعادة فى حياتى عندما أجبتة على الفور:

إن زينب ابنتكم .. واذا كنتم قد قررتم هذا فأنا موافق ..

وتزوجت ابنتى زينب من ابن أخى أبو بكر عزام !



## أنقذت مصر من ويلات الحرب العالمية الثانية

وقر الأيام لتحصل مصر على الاستقلال بمقتضى معاهدة ١٩٣٦ ..  
ومع هذه المعاهدة أصبح السير مايلز لامبسون المندوب السامى البريطانى سفيرا لبلاد  
في القاهرة .

وفي سنة ١٩٣٩ اختارنى المرحوم على ماهر لأنولى منصب وزير الأوقاف في الحكومة  
التي كلف بتشكيلها ..

ولم أكن موجودا في القاهرة ، فقد كنت اعمل سفيرا في تركيا ..  
وكنت قد تلقيت قبل تشكيل الوزارة برقية تدعونى للعودة فورا الى القاهرة لمقابلة  
هامة ..

ولم أعرف باختياري وزيرا في الحكومة الجديدة الا في ميناء بيريه باليونان عندما  
توقفت الباخرة التي كنت عائدا عليها في طريق عودتى الى الاسكندرية فقد جاء القنصل  
المصرى لتحيى .. ومنه عرفت بقرار تعيينى وزيرا للأوقاف في الحكومة الجديدة ..  
وأذكر اننى لم أشعر كثيرا بالارتياح عندما سمعت خبر تعيينى وزيرا ..  
كان القرار قد اتخذته على ماهر رغم ارادتى ، ولكنه كان صديقا وقد أراد كما قال لى  
عندما قابلته بعد وصولى الى الإسكندرية أن أكون معه في الوزارة ..

\*\*\*

كانت الوزارة لانتزال في الإسكندرية بمناسبة الصيف ، ولذلك كانت اجتماعاتها تعقد في  
بولكلى ، ولقد اضطرتت للاقامة في فندق سان استفانو ..

وكان على ماهر يقيم في نفس الفندق ..  
وفي تلك الأيام اخذت رائحة الحرب تفوح في الأفق الدولى مع تهديدات هتلر بغزو  
بولندا والاستيلاء على مدينة دانزينج ..

ولم يكن السير مايلز لامبسون موجودا في مصر ، فقد كان يقضى اجازته في لندن ..  
وكان الذى يقوم بأعماله هو الوزير المفوض بالسفارة البريطانية .. وكان اسمه باتمان ..  
وأذكر أن القائم بأعمال السفير البريطانى قام بمقابلة رئيس الوزراء عدة مرات للتشاور

في موقف مصر في حالة اعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا ..

وفي أواخر شهر أغسطس سنة ١٩٣٩ عاد السفير البريطاني من لندن وقام فور وصوله بالسفر الى الإسكندرية حيث زار على ماهر ..

قال له ان الحكومة البريطانية يهملها أن تبادر مصر باعلان الحرب رسميا على المانيا بمجرد أن تعلنها الحكومة البريطانية تنفيذًا لبنود المعاهدة الانجليزية المصرية ..

ولم يكن طلب السفير البريطاني مفاجأة لرئيس الوزراء فقد سبق أن تلقى تليفًا شبيها من المستر باتمان القائم بأعمال السفير قبل عودته السير مايلز لامبسون من لندن ..

وكان في رأى على ماهر .. وفي رأى غالبية وزراء حكومته .. ان تقوم الحكومة المصرية باعلان الحرب على المانيا بمجرد اشتراك انجلترا في الحرب ضدها ..

وعندما قابل السير مايلز لامبسون رئيس الوزراء كان يحمل معه طلبين رسميين : الأول يقول بالحرف الواحد : إنه يسعد الحكومة البريطانية بصفة خاصة .. أن تعلن

مصر أنها في حالة حرب مع ألمانيا ..

والثاني يطلب رسميا أن تقوم السلطات المصرية باعتقال الرعايا الألمان واحتجازهم في أحد معسكرات الاعتقال باعتبارهم أسرى حرب ..

والثالث رسميا أنني حاولت مع بداية غزو الالمان لبولندا اقناع على ماهر بالاخطار التي يمكن أن تحيق ببلادنا في حالة اشتراكنا في الحرب .

قلت له : ان هذه الحرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل ..

وطلبت اليه اقناع لانجليز بالساح للرعايا الالمان بالعودة الى بلادهم تأمينًا للرعايا المصريين ، وخاصة الطلبة الذين كانوا يعيشون في ألمانيا ..

وأثارتني على ماهر عندما قال لي أن في رأى غالبية وزراء حكومته أن تعلن مصر حالة الحرب على المانيا في نفس الوقت الذي تقرر فيه بريطانيا دخول الحرب ضدها تنفيذًا

لبنود المعاهدة الانجليزية المصرية ..

واعترضت بشدة ، وأنا اقول له :

- ان هذا القرار خطير ، ولا يمكن أن أوافق عليه ..

وكانت مناقشة حامية تقرر بعدها عقد جلسة لمجلس الوزراء لمناقشة هذا القرار الخطير ..

وبعث على ماهر الى المرحوم عبد الحميد بدوى فقيه مصر الدولى ، وكان في تلك الأيام رئيسًا لقلم قضايا الحكومة يطلب اليه فتوى في تفسير بنود المعاهدة ..

وعندما عقد مجلس الوزراء اجتماعه الطارئ جاء عبد الحميد بدوى يحمل فتوى

قانونية تقول صراحة إن بنود المعاهدة تلزم مصر بدخول الحرب الى جانب الانجليز .. وكانت مناقشات مثيرة . قلت أثناءها للمرحوم عبد الحميد بدوى بالحرف الواحد : - أنا عوف أنتى لست متفقها فى القانون الدولى الا أنتى استطيع أن أؤكد لك أن المعاهدة لا تلزمنا باعلان الحرب على ألمانيا وفى رأى أن المعاهدة تلزمنا فقط باحدخول فى الحرب فى حالة واحدة وهى أن يقع اعتداء مباشر على بريطانيا ..

وقلت له .. الواضح أن مايجرى الآن هو صراع بين دولتين فى عصبية الامم المتحدة التى ترتبط بها جميعا ، ولا يمكن أن يكون هناك الزام لنا بدخول الحرب الى جانب الانجليز قبل أن تتحدد عصبية الأمم .. من هو المعتدى .. ومن هو المعتدى عليه .. كانت جلسة عاصفة استغرقت أكثر من أربع ساعات ..

وكان فى رأى الوزراء السعوديين فى الوزارة أن تعلن مصر الحرب فورا الى جانب الانجليز حتى يتسنى لها أن تصبح باشتراكها فى هذه الحرب قوة عسكرية وأن يكون لها جيش وطنى ..

وقال بعض هؤلاء الوزراء السعوديين .. ان مصر تستطيع بمثل هذا الجيش الوطنى أن تفرض ارادتها الوطنية على الانجليز بعد الحرب ، وأن تفرض نفسها على مجتمع الصلح عندما ينتهى القتال ..

وتحس المرحوم صالح حرب وكان وزيرا للحربية لاتجاه اعلان الحرب .. وكان فى رأيه كما قال .. ان مصر لم تشترك فى أية حروب منذ سنوات طويلة وان اشتراكها فى الحرب الى جانب الانجليز يمكن ان يثير روح التريبة العسكرية بين الشباب ، فضلا عما سيعود على مصر من فائدة عندما يصبح لها جيش وطنى قوى ..

ولم أتمالك نفسى من الغضب وأنا أسمع مثل هذا الحماس للاشتراك فى الحرب . وكان ان أخذت افند آراء الوزراء وأنا أقول لهم :

- كيف يمكن أن أعلن الحرب على دولة تعادى عدو بلدى الجائم على صدرى قبل أن يعلنها اصداقاه الايطاليون ..

وقلت لهم : فى رأى أن هذه الحرب ستدوم خمسا أو ست سنوات .. والله أعلم بما يمكن أن تجره هذه الحرب على وطننا وعلى شعبنا المصرى وجيشه من دمار وخراب .. وكان فى رأى الذى سجلته رسميا فى محضر الاجتماع أن بريطانيا تريد أن تقا تل بأخر جندى مصرى حتى يتم لها الاستعداد للحرب التى أخذتها على غرة ..

وحاول بعض الوزراء أن يعارضنى فى رأى ولكنى لم أنتظر ، وأخذت أسأل عن اليمن الذى يمكن أن تدفمه بريطانيا لمصر مقابل اعلان الحرب على ألمانيا ..

قلت للوزراء .. لو كان هناك مقابل لاتخاذ مثل هذا القرار الخطير كوعد بالجلء ، أو تعويض لما يحتمل أن يجيق ببلادنا من خسائر بعد الحرب لكان هناك مبرر للموافقة على اعلان الحرب .. أما وان بريطانيا تريد منا اتخاذ هذه الخطوة بلا مقابل فهذا مالا أوافق عليه .

وفي تلك الاثناء لم يكن على ماهر يتكلم أو يشارك في المناقشة ، لقد ظل صامتا وهو يتابع محاولات اقناع الوزراء بوجهة نظرى ..

ولكنه فجأة قرر أن يحسم الموقف بالتصويت على القرار ..

وتلفت حولى وأنا أتابع الوزراء الواحد بعد الآخر وهم يدلون بأصواتهم ..

كانوا ١٤ وزيرا .. وقد وافقوا جميعا على اعلان الحرب الى جانب بريطانيا ..

وكنت وحدى الذى لم يوافق على اتخاذ هذا القرار الخطير ..

أما على ماهر ، فقد امتنع عن التصويت مفضلا عدم إبداء رأيه ..

ولم أمالك نفسى وبادرت بسحب ورقة صغيرة ، ثم كتبت عليها استقالتي من الوزارة ..

كانت مختصرة للغاية .. وكل ما أذكره هو اننى قلت فيها لرئيس الوزراء : اعتقد أن

مهمتى قد انتهت ، ولذلك أرجو إعفائى من عملى كوزير فى الوزارة ..

ولم أنتظر ، وبادرت بتقديم الاستقالة الى على ماهر .. ثم انصرفت من حجرة

الاجتماع ..

أثار موقفى ارتباكا فى مجلس الوزراء ..

وبادر على ماهر بفض الاجتماع ، ثم قام من مكانه ليلحق بى ، وكنت قد توجهت رأسا

الى حجرتى بفندق سان استفانو .

وكانت مناقشة حامية بينى وبينه ، وقد قلت له اثناءها :

- اننى كوزير لا أستطيع أن أشارك فى مسئولية اتخاذ مثل هذا القرار أمام الله

والتاريخ ..

وحاول على ماهر تهدئة ثورقى ، فقال لى إنه قرر عدم إذاعة قرار مجلس الوزراء ..

كما قرر عدم ابلاغه للانجليز ..

واستمرت المناقشة بيننا من الساعة العاشرة والنصف مساء حتى الساعة الواحدة .

صباحا ..

وبدا لى أن على ماهر قد اقتنع بوجهة نظرى فطلب الى أن أقوم بمحاولة لاقناع

المسؤولين فى السفارة البريطانية حتى يكفوا عن التمسك بطلب اشتراك مصر فى الحرب ..

ووعد بأن يقوم بنفسه بالاتصال بالسفير البريطاني للاتفاق معه على إجتماعى به ومحاوله اقناعه بوجهة نظرى ..

وبمعنى آخر .. كان على ماهر هو الذى طلب الى الاتصال بالسفارة البريطانية ..

\* \* \*

عرف السفير البريطانى بما حدث فى إجتماع الوزراء من المرحوم كامل سليم سكرتير عام المجلس الذى كان حاضرا فى الاجتماع .

وعندما اتصل به على ماهر يقترح عليه مقابلتى والاستماع الى وجهة نظرى لم يرحب كثيرا واقترح أن يكون اتصالى مع مستر باتمان .. الرجل الثانى فى السفارة البريطانية .. المهم عقدت عدة اجتماعات مع المستر باتمان .

كما اجتمعت مع أكثر من واحد من القواد العسكريين الانجليز فى القاهرة .. وكانت تربطنى ببعضهم صداقات قوية ، ومن هؤلاء الجنرال ويلسون الذى كثيرا ماكان يطلب مقابلتى لاستشارتى حول موقف قواته فى الصحراء الغربية ..

وأثناء مباحثاتى مع مستر باتمان قلت له .. إن بريطانيا تريد منا أن نضحى وأن نعلن الحرب ضد ألمانيا دون مقابل ..

وسألنى الرجل عما يمكن أن تقدمه بريطانيا الى مصر مقابل موافقتها على الاشتراك فى الحرب ..

قلت .. اعلان استعداد بريطانيا للجلاء الكامل عن الأراضى المصرية بمجرد انتهاء الحرب .. وأن تدفع الحكومة البريطانية جميع تكاليف هذه الحرب حتى لا تخرج منها مصر مدينة .. وأن تعلن بريطانيا إستعدادها للموافقة على مطالب مصر فى السودان ، وكذلك موافقتها على تأييد أمانى الشعب المصرى فى الوحدة العربية . واستغرقت هذه الاتصالات عدة أيام .

وبعثت السفارة الى على ماهر بأكثر من مذكرة شفوية تتضمن آرائى ، والمطالب التى أبلغتها الى المستر باتمان فى لندن .

وتصورت أن الانجليز سيوافقون على الاستجابة لموقفنا ، ولكن مرت عدة أيام ثم جاء الرد من لندن مع تصريح اذاعته وكالات الانباء للورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية فى تلك الأيام وكان يقول فيه :

- ان الحكومة البريطانية ليست على استعداد للمساومة فى هذه الظروف .. وأدركنا أن الحكومة البريطانية لاتزال عند موقفها وانها لا توافق على الشروط التى وضعتها لاعلان الحرب على الالمان ..



المهم .. اقتنع على ماهر أن لا فائدة لمصر من إعلان الحرب على الالمان .. وكان أن أخذنا في إعادة تفسير المعاهدة المصرية الانجليزية لدراسة التزامات مصر تجاه الانجليز في هذه المعاهدة ..

وتقرر ألا تعلن مصر الحرب ، إلا في حالة واحدة .. وهى أن يكون الهجوم على بريطانيا ذاتها .. لا لارتباط مصر بالانجليز ولا لوجود قوات بريطانية في أراضيها ! وكان تحولا خطيرا في الموقف كله ..

وبعث على ماهر في يوم ٩ سبتمبر الى السفير البريطاني بمذكرته التى تراجع فيها عن قرار اعلان الحرب على ألمانيا بحجة أنها لم تعلن الحرب على مصر .. وأن تطورات الموقف تستدعى اتخاذ هذا القرار ..

وفي نفس الوقت عهد الى على ماهر باعداد الخطاب الذى قام بالقائه في مجلس الشيوخ تحديدا لموقف مصر في الحرب العالمية .. وقد بادرت بكتابة هذا الخطاب ..

ولا أريد أن أقول .. اننى كنت أول من استخدم عبارة .. تجنّب مصر وبلات الحرب .. التى جاءت في هذا الخطاب ..

وطبعا لم يعجب هذا السير مايلز لامبسون ، ولذلك لم يتالك نفسه عندما اتهمنى في حديث له مع على ماهر بعد ذلك بعد عدة أيام بأننى لم أتخذ موقفي في معارضة اعلان الحرب على ألمانيا الا لسبب واحد ، وهو أن لى ميولا نازية ..

قال له .. ان كل التقارير التى تجمعت لدى المخابرات البريطانية تؤكد أن عزام له ميول نازية ..

وعرفت بما قاله السفير البريطانى ، فلم أتمالك نفسى من الغضب وذهبت أقول لعلى ماهر :

- كيف ترضى يا باشا أن يتهم وزير يعمل معك في الوزارة بأنه خائن ، وأن مصلحة بلده لا تمه بقدر اهتمامه بمصلحة دولة أجنبية أخرى .. دون أن ترد على هذا الاتهام ..

وحاول على ماهر تهدئتى ، ولكننى بادرت بتقديم استقالتى من الوزارة وأنا أقول له :

- ازاء هذا الموقف لا أستطيع أن استمر في الوزارة ..

وغضب على ماهر كثيرا ، وهو يقول :

- يا عزام لا تسبب لى مشاكل جديدة بعد الذى حدث في أزمة عدم إعلان الحرب .

ثم طلب الى ألا أزيد من متاعبه بتصعيد الموقف .

واذكر اننى ذهبت الى غرفتى في فندق سان استفانو .. ثم طلبت المسر سمارت

المستشار الشرق للسفارة البريطانية في التليفون ..

ولما لم أجدته طلبت الى مساعده .. أن يوافيني بسرعة لأمر هام ..

وجاء الرجل .. لأقول له باللغة الانجليزية ماترجمته بالحرف الواحد :

- أنتى قد سمعت أن السفير مايلز لامبسون قال لعلى ماهر أن لى ميولا ألمانية .. وأنتى

لأرجوك أن تذهب اليه .. وأن تقول له .. اننى لا اخجل من أن يكون لى ميولا ألمانية

لأن الالمان لم يكونوا فى يوم من الأيام أعداء لبلادى ، ولكن الذى يخجلنى حقا أن تقول

عنى أن لى ميولا انجليزية !

واتزعج مساعد المستشار الشرق للسفارة البريطانية عندما سمع كلمات رسالتى التى

طلبت اليه أن ينقلها الى السفير البريطانى .

ومرت عدة أيام .. ثم جاء الرجل يقول لى .. إن السفير البريطانى بنى بشدة أنه قال

عنى مثل هذا الكلام ..

وكانت نهاية أزمة بينى وبين السفير البريطانى - السير مايلز لامبسون الذى أصبح اسمه

بعد ذلك اللورد كيلرن !



## الفصل الخامس والعشرون

# فرغت فكرة الجامعة العربية من لندن .. ولكن !

اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية .

ومع دخول ايطاليا الحرب الى جانب الالمان أخذت الحرب تدق أبواب بلادنا بعنف ..

وأخذت المعارك تدور بشراسة وضراوة على أرض الصحراء ..

وعندما اقتربت قوات المارشال روميل من الاسكندرية استعد الانجليز لنقل قيادتهم من

القاهرة الى فلسطين ..

وكان في رأى بعض القواد الانجليز أن يكون الانسحاب من القاهرة الى الخرطوم في

السودان ..

وفي تلك الايام .. كانت غالبية شعوب الأمة العربية لا تزال تحت سيطرة الدول

الاستعمارية ..

وارتفعت بعض الاصوات الوطنية تطالب بانتهاز الفرصة للحصول من الانجليز على

تصريحات رسمية حول مستقبل البلاد التي كانت لا تزال تحت الاحتلال في حالة انتصار

الحلفاء في الحرب ..

وكان في رأى الذى لم يتغير منذ اشتغلت بالسياسة .. أن الأمة العربية لا تستطيع أن

تحقق أهدافها الا بالتضامن والوحدة ..

ومن هنا ظلت تراودني منذ شبابه الكثير من الأحلام حول امكانية تحقيق هذه الوحدة

العربية ..

وفي تصورى أن موقف مصر عندما رفضت الاشتراك في الحرب العالمية الثانية الى

جانب الانجليز، قد أثار اهتمام بقية الشعوب العربية ..

وكان أن انتشرت روح النضال في مختلف أرجاء البلاد العربية !!

ويحتمل كثيرا أن يكون بعض الزعماء العرب قد لجأوا الى أسلوب المساومات في

اتصالاتهم سواء مع الانجليز أو مع الالمان ، الا أن كل هذه المساومات لم تكن في رأى

تهدف الا لشيء واحد ، هو انتهاز حالة الحرب لتحقيق أهداف شعوبهم العربية من أجل

أن تتحرر وأن تحصل على استقلالها ..

وكانت الحكومة البريطانية قد حاولت كما فعلت في مصر أن تفرض إرادتها على شعب العراق للاشتراك في الحرب العالمية الى جانب القوات الانجليزية ..  
قالت .. المعاهدة العراقية الانجليزية التي عقدت في سنة ١٩٣٠ ، تلزم العراق بالاشتراك في الحرب ..

وحاول نوري السعيد ، وكان رئيسا للحكومة العراقية أن يجر بلادها الى الحرب ولكن القوى الوطنية في الجيش العراقي وقفت في وجهه ..  
ووقع خلاف كبير بين العناصر الوطنية في العراق وبين عملاء الاستعمار البريطاني حول تفسير المعاهدة الانجليزية العراقية ..

وارتفعت الاصوات الوطنية تطالب برفض الاشتراك في الحرب ، كما فعلت في مصر وكانت ثورة رشيد عالي الكيلاني التي تفجرت في منتصف سنة ١٩٤١ ..  
وفي رأيي .. ان نجاح هذه الثورة كان يمكننا أن يغير من نتائج الحرب العالمية الثانية كلها ..

كانت تهدد خطوط مواصلات الامبراطورية البريطانية مع الهند ..  
ولكن هتلر وقع في خطأ كبير عندما تردد في نصرته الجيش العراقي ، مما ساعد القوات الانجليزية على توجيه ضربات قاسية اليه ..  
واشترك الجيش العربي الأردني بقيادة جلوب باشا الانجليزي في الزحف على العراق .

كما ساهم الفيلق اليهودي الذي كان الانجليز قد قاموا بتشكيله من يهود فلسطين في الحرب ضد الجيش العراقي ..  
ومما سمعته .. أن موسى ديان كان ضابطا في الفيلق اليهودي ، وانه اشترك في القتال ضد العراقيين ..

ومع هزيمة الجيش العراقي فشلت ثورة رشيد عالي الكيلاني التي كانت من أهم أهدافها تحقيق الوحدة العربية والمساعدة على تحرير فلسطين واستقلال الدول العربية التي كانت لا تزال تحت الاحتلال البريطاني ..

\*\*\*

وليس سرا .. أن فكرة انشاء الجامعة العربية خرجت لأول مرة من لندن .. وأن انطوني ايدن كان هو الذي أوحى الى الدول العربية بانشاء هذه الجامعة عندما كان وزيرا للخارجية في حكومة تشرشل أثناء الحرب العالمية .

ولا أخق انى تحمست كثيرا لفكرة انشاء هذه الجامعة ..  
كانت حلما من أحلامى فى شبابى ، ومنذ بدأت الاشتغال بالسياسة ..

قد يقول البعض .. ان الانجليز قد أرادوا باقتراحهم انشاء هذه الجامعة امتصاص  
مشاعر الجماهير التى اشتد حماسها مع الانتفاضة الوطنية لتحقيق الوحدة العربية .  
ولكننى أختلف مع أصحاب هذا الرأى .. فقد كانت الوحدة العربية هدفا تسعى  
الجماهير العربية لتحقيقه ..

كانت تعرف أن لا سبيل لتحقيق مطالبها الوطنية بدون التضامن والوحدة بين الشعوب  
العربية ..

وكان من رأى .. انه اذا كان الانجليز قد بادروا بطرح فكرة انشاء الجامعة العربية ،  
الا أن هذه الجامعة ما كان ولم يكن فى وسعها ان تقوم ما لم يعمل العرب بأنفسهم على  
انشائها ..

وان على العرب أن يلتقطوا الفكرة وأن يستغلوا حماس الانجليز لا نشاء الجامعة  
العربية ، حتى إذا ما تحقق حلم انشائها وأصبحت حقيقة ملموسة . أمكن للعرب تطويرها  
لتكون أداة لتحقيق مطالبهم الوطنية .

وبمعنى آخر كانت الجامعة العربية فى رأى خطوة على طريق الوحدة العربية ..  
وكان يقينى أن فى وسع الامة العربية أن تطور هذه الجامعة لتصبح أداة اتصال وكفاح  
فى سبيل تحقيق الأهداف القومية لمختلف شعوبنا العربية ..

\*\*\*

والثابت تاريخيا .. أن أنطونى ايدن قد ادلى فى يوم ٢٩ مارس سنة ١٩٤٠ بتصريح  
قال فيه بالحرف الواحد :

- إن كثيرين من مفكرى العرب يرغبون فى أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من  
الوحدة أكبر من النصيب الذى تتمتع به الآن ، وهم يأملون منا المساندة فى تحقيق هذه  
الوحدة ، لذلك لا يجوز لنا أن نهمل أى دعوة يوجهها إلينا اصداقأونا العرب فى هذا  
الصدد ، ويبدو لى أن من الطبيعى وأن من الحق أن تتوثق الروابط الثقافية والاقتصادية  
والروابط السياسية أيضا بين الدول العربية .. وعليه ستساند حكومة جلالة الملك  
مساندة تامة أى مشروع تم الموافقة عليه فى هذا الصدد ..

كان هذا التصريح من أنطوني ايدن هو البداية ..

ومرت الأيام ، حتى كان يوم ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣ عندما وجه أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني من حزب المحافظين سؤالا إلى وزير الخارجية البريطانية عما اذا كانت بريطانيا قد اتخذت أى خطوة لتحقيق التعاون السياسى والاقتصادى المنشود بين الدول العربية ..

وكان واضحا ان النائب البريطانى قد وجه هذا السؤال بإيعاز من انطونى ايدن وزير الخارجية البريطانية حتى يتيح له الفرصة لادلاء بتصريح جديد حول الموضوع .. انه أسلوب برلمانى معروف ، وقد جرت عادة الانجليز على اتباعه ! وقال انطونى ايدن ردا على السؤال المتفق عليه :

- ان الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى أية حركة بين العرب تهدف الى تعزيز الوحدة الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية فيما بينهم .. ولكن من الواضح أن الخطوة الأولى فى هذا الصدد يجب أن يقوم بها العرب انفسهم !

والثابت تاريخيا أيضا .. انه لم تمض أكثر من خمسة أسابيع على هذا التصريح حتى كان المرحوم مصطفى النحاس باشا ، وكان رئيسا لوزراء مصر ، يقف فى مجلس الشيوخ المصرى ليلقى بيانا عن فكرة انشاء جامعة الدول العربية ..

وفى هذا البيان قال مصطفى النحاس باشا كما تقول مضبطة مجلس الشيوخ المصرى حرفيا :

- منذ أعلن المستر ايدن تصريحه قمت بالتفكير فى الموضوع طويلا ، ورأيت أن الطريقة المثلى التى يمكن أن توصل الى غاية مرضية ، هى أن تتداول الحكومات العربية فى هذا الموضوع .. وقد انتهت من دراستى الى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هذا السبيل باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمى اليه من آمال ، على حدة ، ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها فى التوفيق والتقريب بين آراء مختلف الحكومات العربية ما استطاعت السبيل الى ذلك ، ثم تدعوهم جميعا الى مصر فى اجتماع ودى لهذا الغرض حتى يبدأ السعى للوحدة العربية من جهة متحدة بالفعل ، فاذا تم التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد فى مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لاكمال بحث الموضوع واتخاذ اللازم من القرارات حتى تتحقق الأغراض التى تنشدها الامة العربية ..

\*\*\*

كان هذا هو التصريح الذى أدلى به المرجوم مصطفى النحاس باشا فى مجلس الشيوخ  
المصرى ..

وقيل إن أنطونى ايدن كان قد أرسل برقية الى اللورد كيلرن السفير البريطانى فى  
القاهرة فى تلك الايام يطلب اليه قبل أن يلقى مصطفى النحاس بهذا البيان أن أوحى الى  
رئيس الوزراء المصرى بالقيام بمشاورات مع المسؤولين فى الحكومات العربية حول انشاء  
هذه الجامعة العربية ..

وإن ممثلى بريطانيا فى العراق وسوريا ولبنان والسعودية وشرق الاردن قد تلقوا برقيات  
مماثلة من وزير الخارجية البريطانية حتى يعملوا على حث حكومات هذه البلاد على  
الاشترك فى هذه المباحثات !

\*\*\*

المهم .. دارت الاتصالات بين القاهرة وبقية العواصم العربية ، وقد انتهت بالاتفاق  
على عقد مؤتمر الاسكندرية فى الفترة بين ٢٥ سبتمبر و٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ..  
واتهى هذا المؤتمر بعقد بروتوكول أطلق عليه اسم بروتوكول الاسكندرية ..

ويعتضى هذا البرتوكول أعلنت الدول العربية اتفاقها على التعاون والتضامن فى نطاق  
منظمة رسمية تحمل اسم جامعة الدول العربية ..  
واتفق على تكليف لجنة فنية بوضع مشروع ميثاق الجامعة العربية !

\*\*\*

وأذكر أن المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية  
لم يكن مرحبا فى بادىء الأمر بفكرة انشاء الجامعة العربية .  
كان من رأيه ان اقتراح مستر انطونى ايدن بانشاء هذه الجامعة يثير الشك فى نوايا  
الانجليز ..

وكان الامام يحيى بن حميد الدين ملك اليمن لا يميل هو أيضا لفكرة انشاء الجامعة ،  
العربية ، ولكنه اضطر تحت ضغط القاهرة ، وبعد إلحاح طويل أن يبعث وفدا برئاسة أحد  
مستشاريه للاشتراك فى اجتماعات المؤتمر الذى انعقد فى الاسكندرية ..

وكانت تعليقات الامام يحيى لمبعوثه أن يكون مستمعا ، والا يتكلم أثناء المناقشات ..



قال له : لا تفتح فك بكلمة واحدة ..

والتزم السيد حسين الكبسى بتعليقات الامام يحيى بدرجة أثارت انتباه أعضاء المؤتمر ..  
وعندما حاول احدهم اخراجه من تحفظه قال لاعضاء المؤتمر بصراحة :  
- أنا ما عندي كلام .. انا مستمع كما أمرني مولانا جلالة الامام يحيى بن حميد الدين  
ملك اليمن المعظم حفظه الله ..

ومن يومها أصبح ( الكبسى ) نكتة يطلقونها في الجامعة العربية على أى عضو يحضر  
أحد الاجتماعات دون أن يشارك في المناقشات ..  
أنه يصبح كما يصفونه ( مثل الكبسى ) ..

\*\*\*

قرر المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فجأة الا توقيع المملكة العربية  
السعودية على ميثاق الجامعة العربية ..

وكان هذا يعنى أن الامام يحيى هو الآخر قد يتحول من موقف الاستماع الذى التزم به  
مبعوثه السيد حسين الكبسى الى المقاطعة الكاملة لفكرة الانضمام الى الجامعة العربية ..  
وتأزم الموقف .. ولكن حدث أن كلف المرحوم أحمد ماهر بتشكيل الحكومة المصرية  
بعد إقالة وزارة المرحوم مصطفى النحاس باشا ..

وكانت اللجنة الفنية التى كلفت بوضع ميثاق الجامعة العربية قد انتهت من مهمتها  
وتحدد يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ لاجتماع ممثلى الدول العربية للتوقيع على هذا الميثاق  
واعلان مولد الجامعة العربية ..

وكان المرحوم مصطفى النحاس ( باشا ) يضع عينيه على الدكتور محمد صلاح الدين  
ليكون أول أمين للجامعة العربية عند إنشائها ..  
ولما أقيمت وزارته رشحنى المرحوم أحمد ماهر بعد توليه الوزارة الجديدة لهذا المنصب ..

وكان أن كلفنى بالمشاركة فى المشاورات التى كانت تجرى مع الدول العربية استعداد  
لتوقيع الميثاق ، وكنت وقتها أعمل سفيرا بديوان وزارة الخارجية المصرية .

ودارت فى تلك الايام اتصالات مع المملكة العربية السعودية لاقتناع المرحوم الملك  
عبد العزيز آل سعود بالعدول عن موقفه ..  
ولكن جلالته أصر على رأيه ..

ولما كان موسم الحج في تلك السنة على الأبواب ، تقرر إيفادى على رأس بعثة الحج المصرية كأمير للحج في تلك السنة حتى يتسنى لى مقابلة الملك عبد العزيز ، والعمل على إقناعه بالموافقة على اشتراك بلاده في ميثاق الجامعة العربية ..

\* \* \*

سافرت إلى المملكة العربية السعودية ، على رأس بعثة الحج المصرية .. وعرف المرحوم الملك عبد العزيز بمهمتى الأصلية ، فقرر حتى لا يتم اللقاء بينى وبينه ألا يخرج للحج في تلك السنة ، وأن يبقى في الرياض .. وما سمعته أنه قال لبعض مستشاريه :

- إذا قابلنى عزام فلا بد أن أدخل الجامعة ، وأنا لا أريد دخولها على هذه الصورة ! ولم أياس ، وانتظرت حتى انتهى موسم الحج ، ثم ذهبت إلى المرحوم الملك فيصل ، وكان أميراً لمجدة ، وقلت له :

لن أغادر المملكة العربية السعودية حتى يتسنى لى مقابلة جلالة الملك عبد العزيز وأنا على استعداد للسفر إليه بالطائرة .. في أى مكان يوجد فيه مهما كانت الظروف .. كنت لا أريد أن أعود إلى القاهرة قبل مقابلة جلالته ، وإقناعه بانضمامه إلى الجامعة العربية ..

ولم أنتظر ، وبادرت بإعداد كل شيء للسفر بالطائرة إلى الرياض لمقابلة الملك .. ولكن حدثت مفاجأة في الليلة السابقة للسفر .. أن أخذت أرتعش في سريرى واشتدت على وطأة المرض .. وجاءنى أحد الأطباء ليقول لى .. أنتى مريض بحمى الملاريا .. ثم حاول إقناعى بتأجيل رحلتى إلى الرياض ..

ولم أوافق ، وقلت له .. إننى سأذهب إلى الملك وأنا مريض بالحمى .. وعرف المرحوم الملك فيصل بما أصابنى ، فحاول إقناعى بالبقاء في جدة حتى يتم شفائى من مرضى .. ولكننى أصرت على رأىى وقلت له .. إننى سأطير لمقابلة الملك ولا يهم اذا ما تعرضت لنكسة أثناء رحلتى بالطائرة ..

وابرق فيصل الى والده المرحوم الملك عبد العزيز في الرياض يقول له :

- ان عبد الرحمن عزام يعرض حياته للخطر في حالة سفره بالطائرة وهو مريض بالحمى ..

وجاء الرد من المرحوم الملك عبد العزيز في نفس الليلة :

- إمنعوا عزام من السفر بالطائرة ، وسأحضر بنفسى من الرياض للاجتماع به فى جدة !

ومرت عدة أيام .. ثم وصل جلالة الملك عبد العزيز إلى جدة ..



وكنت قد تماثلت للشفاء ..

وفى أثناء اللقاء الذى تم بينى وبين جلالة العاهل السعودى الكبير كشف لى جلالاته عن المخاوف التى كانت تراوده حول فكرة انشاء الجامعة العربية ..

وكان فى رأى جلالاته .. ان واحدا مثل اتونى إيدن لا يمكن أن يتطوع بالايحاء إلى الدول العربية بإنشاء الجامعة العربية إلا إذا كانت بريطانيا تجسرى وراء تحقيق بعض المآرب الاستعمارية من إنشائها ..

وبادرت أقول للعاهل السعودى الكبير :

- قد يكون هذا صحيحا يا طويل العمر .. ولكن المهم أن يتم انشاء هذه الجامعة ، وبعدها يمكن للعرب أن يجعلوا منها أداة تعمل فى خدمتهم ، لا فى خدمة بريطانيا !  
ووافق الملك عبد العزيز على اشتراك بلاده فى التوقيع على ميثاق الجامعة ..

وكان طبيعيا أن يوافق الإمام يحيى هو الآخر على توقيع الميثاق بعد أن عرف بموافقة الملك عبد العزيز على التوقيع .

وقيل أن العاهل السعودى الكبير كان له شرط واحد للموافقة على توقيع الميثاق ، وهو أن يسند منصب الأمين العام للجامعة العربية إلى ..

وأنه قد أوفد مبعوثا خاصا من المملكة العربية السعودية لينقل إلى الملك السابق فاروق وإلى المسئولين فى الحكومة المصرية رسالة من جلالاته ، وجاء فيها بالحرف الواحد :

- ان طويل العمر ليس لديه مانع من التوقيع على الميثاق بعد الذى سمعه من عزام .. وأن رغبة المملكة العربية السعوديه هى إختياره بالذات ليعمل أمينا عاما للجامعة حتى نضمن أن تكون الجامعة فى خدمة العرب ، ولا تسيير فى ركاب سياسة الإنجليز !



وفى يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ اجتمع ممثلو سبع دول عربية ليتم التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية الذى تم إعداده بإعتباره وثيقة دولية تتكون من ديباجة و٢٠ مادة وثلاثة ملاحق ..

وكان التوقيع على هذا الميثاق بمثابة الإعلان الرسمي لمولد جامعة الدول العربية من الدول العربية السبع التي قامت بالتوقيع على الميثاق، وهى مصر والمملكة العربية السعودية وسوريا والعراق وشرق الأردن ولبنان والمملكة الهنئة المتوكيلة وهو الاسم الذى إشتهرت به اليمن فى تلك الأيام .. ومن غيرها من الدول العربية التى يمكن أن ترغب مستقبلا بعد أن تحصل على الاستقلال فى الانضمام لعضوية الجامعة ..



ظلت الأمانة العامة للجامعة العربية لمدة سنة كاملة بعد إعلان مولد الجامعة، وليس لها مقر ..

وفى تلك الأثناء كنت أباشر عملى أمينا عاما للجامعة فى مكتبى فى إحدى غرف الطابق الثانى بوزارة الخارجية المصرية الذى يطل على ميدان التحرير .. ولم يكن معى فى جهاز الأمانة العامة على مدى هذه السنة الكاملة سوى اثنين من الموظفين .. أحدهما بطل من أبطال ثورة سنة ١٩١٩ وهو محمد وجيه، وكان يعمل مديرا لإحدى الإدارات بوزارة الخارجية، ثم نقل أثناء الحرب العالمية الثانية ليعمل مديرا لمصلحة البريد ..

وكان أول ما فعلته بعد اختيارى أمينا عاما للجامعة هو استعارته للعمل فى المكتب المؤقت الذى أنشأته للجامعة العربية بوزارة الخارجية المصرية .. أما الثانى .. فكان ابن شقيقى محمد وحيد الدالى، وكان قد تخرج فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة، وقد وقع عليه اختيارى ليعمل سكرتيرا خاصا لى .. ولم تكن ميزانية الجامعة تسمح بتعيينه فى تلك الأيام، ولذلك بقيت أدفع إليه مكافأة من جيبى الخاص حتى تم تشكيل جهاز الأمانة العامة وأمكن تعيينه فى إحدى وظائف الجامعة !

ومع الأثنين كان يعمل بالجهاز الإدارى والكتابى للأمانة العامة إثنان من الكتبة، وقد أعارتهما وزارة الخارجية للعمل فى مكتبى وأحدهما على ما أذكر كان اسمه محمد سليم .. والثانى .. كان اسمه محمد عبد الله ..

ومع إنشاء المكتب المؤقت للأمانة العامة تكلفت الحكومة المصرية بدفع مصروفات الأمانة العامة فى سنة ١٩٤٥ حتى يتسنى للدول الأعضاء فى الجامعة العربية الإتفاق على حصة كل منها فى ميزانية الجامعة ..

وقدرت هذه المصروفات في أول ميزانية خصصت للجامعة العربية .. أى في سنة ١٩٤٥ .. بحوالى ١٣ ألف جنيه ..

وارتفع هذا الرقم سنة ١٩٤٦ إلى ٦٨ ألف جنيه .. وكان نصيب مصر الذى دفعته من هذه الميزانية ٤٥٪ ..

\*\*\*

بقيت أباشر عملى أميناً عاما للجامعة العربية في مكتبى بوزارة الخارجية المصرية لمدة سنة كاملة ..

وكان أول عمل قمت به هو الرد على مذكرة احتجاج بعثت بها وزارة الخارجية البريطانية إلى الحكومة المصرية .. وإلى بقية الحكومات العربية التى قامت بالتوقيع على الميثاق ..

كان احتجاجا على ما أسمته الحكومة البريطانية روح الميثاق ..

ومع مذكرة الاحتجاج البريطانية تكشفت نوايا الانجليز. فقد تصورت الحكومة البريطانية فى تلك الايام أنها تستطيع أن تعتمد على بعض عملائها من السياسيين العرب فى تسخير الجامعة العربية لتكون فى خدمتها .

وفى رأبى .. ان هذا التصور قد كشف عنه الصراع الرهيب الذى شهدته الجامعة العربية فى أولى سنوات انشائها بين اتجاهين :

- الاتجاه القومى العربى الذى أراد أن تكون الجامعة العربية فى خدمة قضايا النضال العربى ..

- الاتجاه العميل الذى ارادها أن تكون فى خدمة المصالح البريطانية ..

وكان يقود الاتجاه الثانى بعض السياسيين العرب الذين عرفوا بأنهم من عملاء الانجليز أمثال نورى السعيد وفاضل الجهالى .. وبعض السياسيين القداماء فى شرق الاردن ..

وفى اعتقادى .. أن نورى السعيد لم يتحمس لفكرة انشاء الجامعة العربية إلا لتصوره أن العراق التى عاشت أيام ثورة رشيد عالي الكيلانى قاعدة تجمع للقوى الوطنية العربية يمكن أن تصبح الدولة الرائدة للجامعة العربية . وبالتالي يمكن أن يجعل من نفسه وصيا على هذه الجامعة لحساب الانجليز ..

وكان الصراع بين هذين الاتجاهين هو بداية الخلاف بينى وبين نورى السعيد !

\*\*\*

ومع إنتقال الامانة العامة الى مبنى قصر البستان في قلب القاهرة بدأت في تكوين جهاز الأمانة العامة للجامعة العربية ..

إنه نفس القصر الذى كان يعيش فيه الملك السابق أحمد فؤاد الأول عندما كان أميراً، وقبل أن يصبح ملكاً ..

وقد إحتفل فيه الأمير السابق بعد أن أصبح سلطاناً بزفافه إلى الملكة السابقة نازلى ..

وأصبح هذا القصر بعد انتقال الأمانة العامة للجامعة إلى مبناها الجديد في ميدان التحرير متحفا للعلوم !

ومع إنتقال جهاز الأمانة العامة إلى مبنى قصر البستان بدأت في اختيار عدد من الموظفين للعمل في الأمانة العامة .

وكان تفكيرى ان فى وسعى أن أحقق رسالة الجامعة العربية بأقل عدد ممكن من الموظفين ..

وكان أن أخذت أدق فى اختيار كل واحد من هؤلاء الموظفين ..

وفى سنة ١٩٤٦ .. بدأت الأمانة العامة بعدد لا يزيد على ١٦ موظفا ..

وقد وقع عليهم اختيارى من بين المناضلين الذى عرفوا بدورهم فى معارك الكفاح الوطنى على مستوى مختلف البلاد العربية ..

وكان هدفى .. هو ان اعمل مع هذه العناصر الوطنية على أن تصبح الأمانة العامة بمثابة قاعدة النضال العربى على امتداد المنطقة العربية كلها ..

وكان اعتقادى .. ان نجاحى فى تحقيق هذا الهدف الكبير يمكن أن يدعم كيان الجامعة العربية للمحافظة عليها من الوقوع تحت سيطرة بعض الزعامات العميلة التى كانت تعمل على جرها لتكون فى خدمة المصالحة الاستعمارية ..

وبمعنى آخر .. كنت أريد أن يصبح جهاز الأمانة العامة على مستوى الآمال التى وضعتها الشعوب العربية فى الجامعة ..

وكان الجهاز الذى أنشأته هو الإدارة التى ساعدتني فى الصراع الرهيب الذى دار بينى وبين هذه الزعامات العميلة ..

وتكشف المحاضر السرية لاجتماعات اللجنة السياسية لمجلس الجامعة عن الكثير من

صور المعارك التي اضطررت أن أخوضها ضد الاتجاه الذي كان يقوده نوري السعيد وبعض السياسيين العرب من عملاء الانجليز في تلك الأيام .. وأذكر أنني اضطررت لأن أقول مرة لنوري السعيد كما يقول أحد هذه المحاضر السرية بالمحرف الواحد :

- اسمع يا نوري .. أنا لست موظفا عندك .. أو عند الانجليز .. ولازم تفهم أنني مسئول أمام سبع دول عربية .. وبريطانيا كما تعرف ليست واحدة من هذه الدول ! وفي اجتماع آخر .. قلت لا أعضاء اللجنة السياسية من رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية العرب بالمحرف الواحد اثر خناقة حامية وقعت بيني وبين نوري السعيد :

- عليكم أن تفهموا جميعا .. أن الجامعة العربية ليست الا مرآة لكل واحدة من الدول الاعضاء فيها .. ولا أظن اذا ما نظرنا الى هذه الدول اننا سنجد فيها شيئا غير الصورة الحقيقية لبلادنا العربية ..

الملك فيصل وعزام  
سنة ١٩٤٦



■ صورة تاريخية للمرحوم الملك فيصل في سنة ١٩٤٦. وكان وزيرا للخارجية السعودية عند مفاخرته مبنى وزارة الخارجية المصرية وبصحبه المرحوم عبد الرحمن عزام بعد اشتراكهما في أول اجتماع يشهده المرحوم الملك فيصل للجنة السياسية بمجلس الجامعة العربية بصفتة رئيسا للوفد السعودي في دورة اجتماعات مجلس الجامعة ..





## واجهت مع الدول العربية مؤامرة تقسيم ليبيا

أخذت مع إنشاء جهاز الأمانة العامة للجامعة العربية أدق أجراس الخطر لإثارة انتباه الحكومات العربية حول قضية ليبيا . .

كان مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى الذي انعقد في لندن في شهر سبتمبر سنة ١٩٤٥ قد قرر مناقشة مستقبل المستعمرات الإيطالية السابقة . .

وجاءت في تلك الأيام بعض التقارير تقول . . أن الدول الكبرى تجرى مشاورات فيما بينها لتقسيم ليبيا بحيث تعود إيطاليا إلى نصفها الغربي ، وأن تعطى فرنسا منطقة فزان بينما يوضع النصف الشرقي تحت تصرف بريطانيا . .

ولم أنتظر ، وبادرت بإرسال مذكرة إلى حكومات الدول العربية أشرح فيها تطورات قضية ليبيا وكانت أول مذكرة تخرج من الأمانة العامة عن هذه القضية ، هذا نصها :  
- ان قرب اجتماع وزراء الخارجية في لندن وما يقال عن بحث المسألة الإيطالية في هذا الاجتماع وما علمت من أنه على رأس المسائل المعروضة في جدول أعمال ذلك الاجتماع قضية المستعمرات الإيطالية يستلزم بيانا عاجلا بوجهه النظر العربية سواء كانت لأهل البلاد أنفسهم أو للدول العربية المشتركة في الجامعة ، أو للرأى العام العربي ، فلذلك يحسن ان ابعث الى حضراتكم المسائل الآتية ملخصة على وجه السرعة :

١ - ان البلاد المعروفة قديما باسم طرابلس الغرب المعبر عنها حديثا باسم ليبيا هي عبارة عن المساحة الواسعة التي تبتدىء من حدود مصر الغربية وتنتهى عند الحدود التونسية والجزائرية والتي تحد جنوبا بأملاك فرنسا والصحراء الكبرى . . وهي بلاد يسكنها العرب ويدين أهلها الاصيلون جميعا بدين الاسلام منذ أكثر من عشرة قرون . وقد كانت طوال الفترة الاسلامية أى في الثلاثة عشر قرنا الأخيرة بلادا واحدة لم تنفصل عن بعضها إلا فترات قصيرة ولم يتغلب عليها الا جانب الافتقار قصيرة ايضا . . وقد

استمرت في نضالها اثناء هذه الفترات حتى استردت وحدتها وحريرتها . . وبالتالي فان كل تغيير بتجزئتها يناقض تاريخها الطويل بل إن وحدتها هذه كانت موجودة منذ فجر المسيحية . . وهذه الوحدة ليست ضرورية من الناحية الادارية فحسب بل هي ضرورة اقتصادية لا سبيل لتجاهلها . إذ أن هذه البلاد قليلة السكان مترامية الاطراف فقيرة في مجموعها وتتعاون أجزاؤها لتكمله بعضها البعض لتأمين حياتها . فثلا تدر بعض المناطق محاصيل لا تنمو في المناطق الاخرى . فالتمر يكثر في جهات « فزان » وبعض الشواطىء والزيتون يكثر في مناطق الجبال وبعض السهول والقمح يجود في بعض الوديان بينما ينمو الشعير في مناطق أخرى وكذلك الذرة وأشجار الفاكهة ، كما أن رعى الابل يصلح في بعض المناطق بينما لا تصلح نفس هذه المناطق لرعى الماشية والبقر وهكذا . . فلو ان هذه المناطق مزقت أو فصلت بعضها عن البعض هلكت بينما هي مناطق متكاملة تتبادل ما عندها وتستعين بذلك على عيش محدود وأمطارها تختلف سنة في جهة عنها في جهة أخرى ، وقد جرت عادة البدو على تتبع سير هذه الاحوال فهم ينتقلون في أرجائها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . ويعيش بعضهم فترة من السنة حضرا وفترة أخرى بدوا ليكثروا أقواتهم ولينقلبوا على طبيعة البلاد .

كما أن مصلحة الأمن والادارة تقضى بوحدة الحكومة في هذه البلاد الشاسعة . . وقد عرفت جميع الحكومات التي حكمت طرابلس بما فيها الحكومات الاجنبية هذه الحقيقة بالتجربة . . ففي العهد العثماني والعهد الايطالي كانت إدارتها موحدة ولم تلجأ الحكومة الفاشية في آخر سنى حكم موسوليني إلى تجزئتها إلى ولايات إلا لدواع سياسية وعسكرية مؤقتة ناشئة عن استمرار أهل البلاد في مقاومتهم الطويلة وحروبهم التي دامت لمدة عشرين سنة كاملة ومع ذلك فإنه بالرغم من هذا التقسيم فقد عملت ايطاليا على ان تبق الولايات الاربع التي قسمت اليها البلاد في حكومة واحدة تشرف عليها ادارة واحدة وان كانت هذه الادارة قد اتخذت روما مقرا لها . .

بناء عليه فان كل تجزئة لطرابلس الغربية ( ليبيا ) الى قسمين أو ثلاثة هو ضد مصلحة البلاد وضد رغبة الاهالى ولا ترضاء الدول العربية التي ترتبط بميثاق الامم الجامعة والتي اتفقت في هذا الميثاق على ان ترعى شئون العرب ومصالحهم اينما كانت .

٢ - وقد يظن لاول وهلة ان البلاد الطرابلسية لا تستطيع أن تنشئ لنفسها ادارة مختارة أو مستقلة من ابنائها أو أنها قد تحتاج الى مران طويل لاقامة حكومة حديثة صالحة والواقع ان طرابلس قد حكمت نفسها فترات متعددة في التاريخ ومن المحقق انها لم تحكم

حكما اجنبيا ضد ارادتها إلا لفترات قصيرة لم تتوان في أثنائها عن الكفاح والمقاومة للحكم الاجنبى لتظفر بالحرية ، وهو ما حدث ايضا مع الايطاليين في أوائل القرن الحالى . . أما الحكم العثماني فانه لم يكن قهرا اجنبيا وانما كان بدعوة من أهل البلاد وبرغبتهم قبل الاستقلال على يد الدولة « القرة منلية » منذ قرنين ومرة اخرى في أوائل القرن الماضى ، ففي كلتا المرتين جاء العثمانيون الى طرابلس برغبة أهل البلاد ونتيجة لوفود ارسلوها لدعوة الخليفة لا ستلام الحكم في البلاد بعد أن تدهور « بيت القره منى » على يد آخر ولاته وكان اسمه يوسف باشا . . ولما داهم الطليان طرابلس في سنة ١٩١١ نهض أهل البلاد عن بكرة ابيهم لتأييد حكومة العثمانيين والنضال معها تأكيدا بأن الحكم العثماني لم يكن في نظرهم حكما اجنبيا وقد استمروا في المقاومة بعد هزيمة العثمانيين عشرين سنة أخرى . والواقع ان الحكم العثماني لم يجرد البلاد من الحكم الذاتي فقد كان ابناء تلك البلاد يتولون المناصب الرفيعة في بلادهم وفي خارج بلادهم سواء كانت هذه المناصب عسكرية أو ادارية أو مالية ، وهو ما أهل البلاد لا إعلان الحكم الجمهورى عقب الحرب العالمية الاولى والاستمرار في المقاومة لمدة اثنتى عشرة سنة بعد انتهاء الحرب العالمية . . وينتشر من ابناء هذه البلاد نخبة ممتازة من ذوى التجربة والدراية في جميع الاقطار العربية كمصر والمملكة العربية السعودية والعراق وشرق الاردن وتونس والجزائر وسوريا ولبنان . كما يوجد من بينهم عدد كبير في تركيا وفي أواسط افريقيا وخاصة في منطقة اسمها كانو وكذلك في المنطقة حول بحيرة تشاد ، وفي هؤلاء الكفاية لاقامة حكومة موحدة في برقة وفزان وطرابلس ومن المتيسر اقامة مثل هذه الحكومة وادخالها عضوا في جامعة الدول العربية وإمدادها بالمعونة التى تلزمها في بادىء الأمر من البلاد العربية .

ان رغبة أهل البلاد التى لاشك فيها والتى يظهرها بأجلى معانيها الرجوع الى رأيهم واستفتائهم هى الانضمام الى مصر بارادة مختارة أو استقلالهم واندماجهم فى كتلة الامة العربية عن طريق مصر أو الجامعة العربية . .

وهم فى سبيل هذه الوحدة لن يتأخروا عن بذل كل مجهوداتهم للحصول على حريتهم والتعاون مع إخوانهم وجيرانهم العرب . .

ولقد وردت الى عدة كتب وعرائض من السادة السنوسية ومن أعيان البلاد وزعماء العشائر فيها ومن الفئات المتنورة كلها ترمى الى هدف واحد هو الوحدة فى طرابلس والانضمام الى الكتلة العربية والنفور من تجزئة البلاد أو الحكم الاجنبى فيها مباشرة أو بالواسطة .

وأعيان البلاد وقادتها وزعماء العشائر وأصحاب الرأي فيها معروفون ويمكن دعوتهم إلى مؤتمر يضم المقيمين فيها وغيرهم من المشتتين في مختلف بلاد العالم هربا من الحكم الإيطالي الجائر واستبداد الفاشيست .

ولا شك في أن مثل هذا المؤتمر سيقدر الرغبة العامة الواضحة لأهل البلاد وهي استقلالهم وحرثهم واتحادهم مع بقية الأقطار العربية .

٣ - ظهرت أقوال وآراء في الصحف وفي بعض الدوائر العالمية تشير إلى احتمال تقسيم البلاد بحيث يعاد نصفها الغربي إلى حكم الطليان ، وعلى أن يعطى جزء من جنوبها إلى فرنسا وان يسلم نصفها الشرق إلى بريطانيا .  
وقيل كذلك إن ليبيا قد توضع كلها تحت وصاية دولة واحدة من الدول الكبرى .

ولا شك أن هذه الأقوال فضلا عما فيها من نكران لحقوق العرب ونكران لمجهوداتهم العظيمة في معونة الحلفاء بالسلاح وبكل الوسائل فإنها تضر بمصلحة البلاد ورفقها واستقرار الأمن والسلام فيها . . وهي فضلا عن مخالفتها لمصلحة الطرابلسيين تتعارض مع أغراض الجامعة العربية وأهدافها وبالتالي لا يمكن للجامعة أن توافق على مثل هذه الآراء ولا أن تعين عليها بالوقوف مكتوفة الأيدي أمام مؤيديها . . فأهل البلاد هم أصحاب الرأي في تقرير مصيرهم . كما أن أحق الناس برعاية مصالحهم وتأييد مطالبهم هم أبناء عمومتهم وخواصهم في العقيدة وجيرانهم في الوطن من أهل الأقطار العربية . . ولا أظن أن من مصلحة الأمن العالمي في هذه المنطقة أن يحمل أهلها وجيرانهم على قبول تسوية للمسألة الطرابلسية تخالف التاريخ والعرف والمصلحة الاقتصادية للبلاد فضلا عن الشعور القومي لهذه البلاد ، وحتى إذا فرض - وهذا غير صحيح - أن البلاد تحتاج إلى معونة أجنبية ووصاية خاصة خارجية فإن أحق الناس بهذه الوصاية هي الدول العربية المشتركة في ميثاق الأمم المتحدة .

كما أن أبسط قواعد الانصاف تستلزم أخذ رأي أهل هذه البلاد في اختيار الأوصياء عليهم ، ولا شك أن التجربة الأليمة للبلاد العربية وما قاسته من تجربة الانتداب كما طبقتها عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى قد كشفت عن الأثرة والأنانية ، وأن انتداب دولة معينة ذات مصلحة خاصة على قطر من الأقطار لا يعنى إلا تحكيم هذه الدولة في مقدرات شعب لا ترى هي من مصلحتها أن تسارع في تدريبه على الحكم الذاتي أو تهيبته للاستقلال ، ولما كانت هذه التجربة لا تزال ماثلة أمام أعين الجماهير في البلاد العربية

فهى لذلك ترفض كل وصاية تأخذ شكل الانتدابات الماضية التى جربوها .

لهذه الأسباب كلها اعتقد أن الدول العربية تؤيد ما أشرت إليه ، ولا شك أن الخطة التى تضمنتها مواد هذه المذكرة تصلح أساسا لسياسة يجمع عليها الرأى فى دول الجامعة العربية بل فى البلاد العربية كلها .. وأعتقد أن المطالبة بتنفيذ هذه الخطة والسعى لتحقيقها يتفق مع أمانى أهل البلاد ومع المبادئ التى يرمى إليها ميثاق الجامعة العربية ..

ان طرابلس تقف فى هذه اللحظة فى مفترق الطرق تنتظر كما ينتظر العالم العربى موقفا حاسما يحول دون سقوطها مرة أخرى فريسة للحكم الأجنبى سواء كان مباشرا أو بالواسطة وأنى أعتقد أن الجامعة قد نسقت خططها فى سياستها بالنسبة لهذه المسألة لتحظى بتأييد أهل البلاد أنفسهم لها بكل الوسائل ..

كما أعتقد أن الدفاع بحزم وثبات ينتج التأثير المطلوب والنجاح المرجو إن شاء الله .

وقد جاء هذا السعى من الأمين العام متمشيا مع ما جاء فى أحد ملاحق ميثاق جامعة الدول العربية بشأن التعاون مع الدول غير المشتركة فى الجامعة والذى ينص على ما يأتى :

« نظرا لأن الدول المشتركة فى الجامعة ستبأشر فى مجلسها ولجانها شئوننا يعود خيرها وأثرها على العالم العربى كله ولأن أمانى البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغى له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها فإن الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنىها بوجه خاص أن يوصى مجلس الجامعة عند النظر فى اشتراك تلك البلاد فى اللجان المشار إليها فى الميثاق ( مادة ٤ ) بأن يذهب فى التعاون معها إلى أبعد مدى مستطاع وألا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وتفهم أمانيتها وأمالها وأن يعمل بعد ذلك على اصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهبه الوسائل السياسية من أسباب .. »

عبد الرحمن عزام

\*\*\*

كانت مذكرة واضحة ، وقد عرضت فيها بسرعة رأى .. وهو أنه فى حالة إصرار الدول الكبرى على وضع ليبيا تحت الوصاية أو الانتداب .. تكون الجامعة العربية أو إحدى دولها هى الوصية على ليبيا ..

وكان فى تفكيرى أن فى وسعى أن أسد الطريق أمام الدول الكبرى لتقسيم ليبيا

أو محاولة فرض الوصاية عليها ..

كانت هذه المذكرة كما سبق أن قلت هي أول ورقة تخرج من الجامعة العربية إلى الدول الأعضاء لتثير انتباههم إلى الخطر الذي يهدد قضية ليبيا ..

وقد بادرت الحكومة المصرية بإرسال مذكرة إلى وزراء الدول الكبرى تشرح فيها موقفها من هذه القضية .. وفي منتصف سنة ١٩٤٥ قمت بزيارة بعض الدول العربية وانتهزت الفرصة لمواصلة اتصالاتي لاثارة انتباه الدول العربية إلى الخطر الذي يهدد استقلال ووحدة ليبيا ..

وكان أن عملت أثناء زيارتي للمملكة العربية السعودية على مقابلة الوزير الأمريكي المفوض في جدة .

ودار بيني وبين الرجل حديث طويل حول مستقبل الأراضي الليبية ثم طلبت إليه أن يلفت انتباه حكومته إلى أهمية وقوفها إلى جانب حق شعب ليبيا في الاستقلال والوحدة ..

وعندما تشرفت بمقابلة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود قمت بعرض قضية ليبيا على جلالاته ..

قلت لجلالاته .. إن وقوف الدول العربية وراء قضية شعب ليبيا ، هو أول امتحان للجامعة العربية ..

وابتسم طويل العمر وهو يقول لي :

- ان المملكة العربية السعودية بكل إمكانياتها تقف وراء الحق العربي لشعب ليبيا .

كان رحمه الله سريما وحاسما في اتخاذ قراره ولذلك لم أنتظر وبادرت بترك المملكة العربية السعودية لأقوم بجولة سريعة في بقية العواصم العربية ، حيث عرضت القضية على المسؤولين في بغداد وعمان ودمشق ..

كان واجبي أن أضع الحقائق كلها ، وأنا الحبير بقضية شعب ليبيا أمام المسؤولين في الحكومات العربية ..

ولم أعد إلى القاهرة إلا بعد أن تقرر أن تقوم الحكومات العربية الأعضاء في الجامعة

العربية بمساع لدى وزراء خارجية الدول الكبرى أثناء اجتماعاتهم في لندن لتأييد حق شعب ليبيا في الاستقلال والوحدة ..



وفي يوم ١٥ سبتمبر ١٩٤٥ سافرت إلى لندن للإتصال بوزراء خارجية الدول الكبرى .

كانت أول مرة تظهر فيها الجامعة العربية بعد اعلان مولدها على مسرح الاتصالات السياسية الدولية ..

وكان حدثا تاريخيا عندما وجهت في يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٥ مذكرة إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى باسم الجامعة العربية ..

وكانت ترجمة هذه المذكرة تقول بالحرف الواحد .

ان ليبيا بلد عربي تحده تونس وبلاد المغرب غربا ومصر شرقا والصحراء الكبرى جنوبا .

ويقطن هذه البلاد منذ قرون قوم من أصل عربي ، وهم يتكلمون لغة واحدة ويتبعون تقاليد وعادات ودينون بدين واحد .

وهي بلاد مترامية الأطراف غير أنها فقيرة الموارد .

وقد ظلت ليبيا منذ ذلك الحين بلادا متحدة يعيش سكانها داخل حدودها ويتبادلون محصولات أراضيهم ويتعاونون على استغلالها ، ولم تكن هناك أية حدود تفصل بين مناطقها ، وكان البدو الرحل من السكان ينتقلون في أنحاء البلاد في حرية تامة طلبا للرعى وكثيرا ما استوطنوا حيث طاب لهم المقام ، والبلاد في طبيعتها غير قابلة للتجزئة ، ولذلك فإن كل فكرة ترمى إلى تقسيمها إلى مناطق أو ولايات أو دوائر نفوذ أو وضع أى قسم منها تحت نظام الانتداب فكرة لا شك عائدة بالضرر على البلاد اقتصاديا واجتماعيا وأديبا ، وخاصة انه لم يسبق أن حصل تقسيم هذه البلاد منذ آلاف السنين .

وقد ورث الليبيون عن أجدادهم حب العرب التقليدى للحرية ، وتاريخهم الطويل ملي بالأدلة التي تشير إلى دفاعهم الجيد عن بلادهم ، وآخرها مقاومتهم العنيفة للعدوان الايطالى والفاشى لمدة عشرين عاما كاملة ، بحيث لا يمكن ارغام هذا الشعب العربى على



قبول أى حل لا يتفق مع أمانيه القومية التى تلخص كما أعرفها بنفسى فى الرغبة فى بقاء بلادهم موحدة وفى أن يترك له الحرية فى إدارة شؤونه بنفسه وأن تصيح ليبيا عضوا فى جامعة الدول العربية .

هذه هى الحقيقة . . وقد استقيت بنفسى وبواسطة اتصالاتى الشخصية هذه المعلومات من أهل ليبيا ، وقد فوضنى زعماءهم ورؤسائهم فى أن أوضح لكم قضيتها وأن أدافع عنها . .

ولقد تأكدت جميع دول الجامعة العربية من هذه الحقائق وأرسل بعضها على انفراد بمذكرات فى هذا الصدد إلى مجلسكم . . ويمكنكم بدوركم أن تتأكدوا من ذلك وأنى لعلى يقين من أنه إذا جرى استفتاء فى البلاد تحت اشراف ممثلى الأمم المتحدة . . لأسفر عن أن شعب ليبيا أجمع سيطلب بصوت واحد تحقيق أمانيه القومية .

ولا شك فى أن أى تأخير فى الوصول إلى حل يحقق هذه الأمانى يؤدى إلى خيبة أمل مريرة ليست فى ليبيا فحسب بل فى أنحاء العالم العربى أجمع .

ومن الطبيعى إذا دعت الحال إلى فترة انتقال أن تسند مهمة ارشاد الشعب الليبى لتحقيق هدفه المنشود وهو الاستقلال التام إلى دولة عربية أو إلى الجامعة بأجمعها ولا شك فى أن اختيار أمة عربية للرعاية على شعب عربى ، فى جوهره . . مما يتفق مع الروح التى تسود المنظمة العربية الجديدة . .

عبد الرحمن عزام

الأمين العام لجامعة الدول العربية

\*\*\*

وانتهزت فرصة تقديم هذه المذكرة للتعرف على وجهة نظر الحكومة الفرنسية حول مستقبل قضية ليبيا .

وكان سفير فرنسا فى لندن يرأس الوفد الفرنسى فى اجتماعات وزراء خارجية الدول الكبرى . ولذلك بادرت بالاتصال به . .

وكانت مفاجأة عندما أخذ الرجل يتحفظ فى الحديث معنى . . قال لى إن حكومته لم تحدد موقفها بالضبط . .

ولم استسلم . . وبادرت أقول له بالحرف الواحد :

لا أظن أن فرنسا تخشى جوار العرب تصورا منها بأن وجود حكومة مستقلة فى ليبيا

مرتبطة بجامعة الدول العربية قد يؤثر على سياستها الاستعمارية في شمال أفريقيا ولذلك أريد أن أقول لك إن على فرنسا أن تختار أحد أمرين . . أما أن تستمر على السياسة الاستعمارية القديمة وهذا لن يؤخر الحرية والاستقلال لليبيا لأن الحرية تنفذ من كل مكان ودعوات الحق تصل إلى القريب والبعيد . . وأما أن تكون فرنسا الجديدة وهو ما أتمناه واعتقده يحمها بناء عالم جديد على أسس من الحرية والمساواة وعندئذ يكون جوار الجامعة العربية لها سببا للاستقرار والسلم والتعاون . .

قلت له هذا الكلام ثم طلبت إليه أن يتصل بحكومته لتحديد موقفها بالضبط حول قضية ليبيا . .

\*\*\*

وفي لندن أيضا عملت على اقناع الحكومة البريطانية بتأييد استقلال ليبيا ووحدتها وكان أن قت باتصالات مع المسؤولين في الحكومة البريطانية .

ولكن جميع محاولاتى باءت بالفشل ، وان كان وزير الخارجية البريطانية قد وعدنى بأن يبذل جهده حتى تقوم حكومته بالنظر فى حقوق ومصالح عرب ليبيا .

ولما عدت إلى القاهرة وجدت فى انتظارى مذكرة من الحكومة الأمريكية ترد فيها على مذكرتى التى وجهتها إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى . .

وكان هذا الرد لا يحتوى على أكثر من وعد من الحكومة الأمريكية بدراسة موضوع القضية الليبية والنظر فى حقوق ومصالح عرب ليبيا بعناية واهتمام . .

\*\*\*

لم اقتنع بموقف الدول الكبرى . ولذلك بادرت بعرض نتائج اتصالاتى على مجلس الجامعة العربية فى دور الاجتماع العادى الثانى . .

ودارت مناقشات طويلة حول تطورات الموقف ، وفى الجلسة الثانية عشرة من هذا الاجتماع ، وهى الجلسة التى عقدت فى يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٥ تقدمت إلى المجلس بمشروع قرار وقد تمت الموافقة عليه بالإجماع . . وهذا نصه :

« يؤيد مجلس الجامعة المذكرات التى قدمتها الدول العربية والتى قدمها الأمين العام لمجلس وزراء خارجية الدول المجتمع فى لندن فى سبتمبر الماضى .

وينتهز فرصة اجتماعه ليقرر أنه يؤيد حق العرب في حريتهم الكاملة في بلادهم وتقرير مصيرهم بأنفسهم .

ويقرر المجلس تكليف الأمين العام بالاتصال بالسلطات البريطانية لازالة أسباب الشكوى من قسوة الحكم العسكري القائم في هذه البلاد» .

ومرت عدة أشهر قت أثناءها باتصالات متعددة مع مختلف الدول الكبرى . . ومع هذه الاتصالات أخذت صورة المؤامرة على شعب ليبيا تتكشف . .

ولم أياس ، حتى كانت الجلسة الثامنة في دور الاجتماع العادى الثالث لمجلس الجامعة العربية ، وهى الجلسة التى انعقدت في يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٤٦ .

لقد انتهزت الفرصة لألقى بيانا في المجلس حول تطورات القضية الليبية . .

وفي هذا البيان قلت كما جاء في محضر هذه الجلسة بالحرف الواحد :

- ظهر ما كنا نخشاه بعد أن تكشفت نية بعض الدول نحو تقسيم ليبيا ، ففى رأى فرنسا مثلا أن تعود طرابلس إلى الايطاليين وهذا رأى أعلنته الحكومة الفرنسية في مجلسها النيابى كما صرح به الجنرال ديجمول وأعلنه وزير خارجية فرنسا في بيان رسمى ، والواقع أن هذا الاتجاه في سياسة فرنسا كان ظاهرا في الصيف الماضى عندما أخذت فرنسا تنادى بأن تأخذ المجلترأ برقة وأن تأخذ ايطاليا طرابلس وان تحتفظ لنفسها بقران . وفى رأى أن هذه السياسة تعتبر أخطر سياسة يمكن أن يبتلى بها بلد عربى باعتبارها سياسة ظالمة تضع البلاد تحت وصاية دول لا يرجى من أحدها خير للبلاد فإن نية ايطاليا مثلا فى طرابلس هى الاستعمار ونقل المهاجرين الايطاليين إلى طرابلس واجلاء العرب عن أراضيها ، وتقصد فرنسا بامتلاك قران حماية الحالة السيئة التى يشكو منها العرب فى شمال أفريقيا ، وهى ترمى من وراء عودة الطليان إلى طرابلس إلى استمرار حالة استعمارية شنيعة فى هذه البلاد لتكون هذه الحالة نذيرا للمطالبيين بالحرية من أهالى تونس والجزائر ومراكش ، ولعل أكبر دليل على هذا هو ما حدث فى سنى ١٩١٧ و ١٩١٨ و ١٩١٩ عندما لم تكترت فرنسا على الرغم من تحالفها مع ايطاليا بأمر الليبيين الذين تشتتوا هربا من نير الاستعمار الايطالى فى الوقت الذى كانت ايطاليا تطمع فيه فى احتلال تونس ، وذكرت ما حدث عند اعلان الحكومة الطرابلسية الجمهورية فى سنة ١٩١٨ وموافقة هذه الحكومة على عقد صلح مع ايطاليا اعترفت فيه ايطاليا باستقلال طرابلس ، أن انزعجت فرنسا

وبادرت بالاحتجاج لدى ايطاليا بحجة أن قيام حكومة عربية في طرابلس قد يثير أهل الجزائر وتونس ومراكش .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى فإن برقة لن تستفيد كثيرا من حكم إنجلترا لها أو من وصايتها على العرب لأن من أساليب الإنجليز في الحكم أن ينشروا أمنا وعدالة نسبية دون أن يبدوا اهتماما بالنواحي الأخرى فلا ينشئوا مستشفيات ولا مدارس ولا طرقا، وبمعنى آخر لا ينظرون إلى الحالة الاجتماعية بأى اهتمام ..

ثم استطرقت أقول في بياني :

- أنا أعرف الإنجليز وقد شهدت بنفسى ما يفعلونه في السودان ولا شك في أن أهل برقة في غنى عن ذلك الأمن وتلك العدالة النسبية وهم الذين عاشوا يتمتعون بها طويلا في عهد الدولة العثمانية ، وفي رأيسى أن كل ما يحتاجون إليه هو التقدم المستمر ونشر العلم والثقافة في بلادهم والتقدم الاجتماعى والمدنى ورغم ظنى بأن حكم الإنجليز في برقة سيكون أحسن من حكم الطليان في طرابلس والفرنسيين في فزان فإنى أعارضه وما زلت أعتقد أن المجلس سيقف بكل قوته لتحقيق وحدة هذه البلاد واستقلالها وأنه سيعارض كل المعارضة في تقسيمها .. وقد ابلغنا هذه المعارضة في التقسيم إلى الإنجليز والأمريكيين بصور متعددة سواء بإرسال المذكرات اليهم أو باتصالاتى الشخصية معهم ، وقد كنت أبين لهم في اتصالاتى معهم أن هذا التقسيم سيضر كثيرا بأهالى البلاد الذين يعيشون في وحدة اقتصادية لا تنجزأ ؛ فالهصولات المتوافرة في طرابلس لا توجد في برقة وما يوجد في فزان من التمر تخلو منه منطقتنا برقة والجبل .

ومضيت أقول في هذا البيان :

- ان هذه البلاد جميعا تتبادل المحاصيل التى تنتجها ولا تستطيع واحدة منها أن تعيش بغير مساعدة الأخرى ، لذلك فإنه يتعين عدم تقسيمها ومن صالح أبنائها وشعبها رحمة بهم وانصافا لهم وللإنسانية أن يجمعهم صعيد واحد لا يفرق بينهم شئ ، وقد اثبت التاريخ الحاجة إلى تلك الوحدة ، فهؤلاء الناس تربطهم صلات القرابة والنسب ولا يمكن بحال من الأحوال أن نقبل هذا التقسيم كما أن التقسيم مضر جدا من الناحية الادارية ..

ثم استطرقت أقول :

- بقى بعد ذلك شكل الحكم الذى يجب أن يقوم في البلاد ان الإنجليز والفرنسيين يميلون إلى الوصاية الجزأة ويقول الروس انهم أولى بهذه الوصاية ، وكل ما لدى من الأخبار أن الروس جادون تماما في طلب الوصاية على طرابلس وكان في اعتقادى أن

المسألة لا تصدو أن تكون من باب المساومة وأن الروس يطالبون بالوصاية ليصلوا إلى ترضية في البلقان أو غيرها ، ولكن قيل لي أنهم ينظرون إلى طلبهم للوصاية على أنه طلب سياسى جدى ، لقد طلبت روسيا الوصاية لنفسها ثم جاءت أمريكا ونادت بوصاية الدول الخمس بالاشتراك مع مندوب عن عرب طرابلس ومندوب آخر عن الايطاليين المقيمين في تلك البلاد واقترحت أيضا أن تشترك دولة أوروبية صغيرة مع الدول الخمس في الوصاية على ليبيا على ان يختار المندوب السامى في طرابلس هذه الدولة الأوروبية الصغيرة ، وبعد محادثات بينى وبين ممثلى الولايات المتحدة قلت لهم أثناءها أنه إذا كان لابد من هذا الأمر فإنه يوجد بين الدول العربية دولة صغيرة رئيسها مسيحي وهى لبنان ويمكن لهذه الدولة الاضطلاع بالمهمة وقد فشلت اتصالاتى بالانجليز بغية الوصول بهم إلى إدراك حقيقة الأمر والتفاهم معهم مما دفعنى لأن أقول لهم إنهم إذا استمروا على سياستهم فإن التفاهم بيننا لن يتم كما أن أهل ليبيا لن يقبلوا وصاية دون قتال . وقلت لهم صراحة إنهم إذا قاموا بفرض هذا التقسيم والوصاية الأجنبية ، فإننى أؤذره بأن هذا العمل لن يمر بسلام .

\* \* \*

كان بيانى واضحا وصرىحا ، وبعد مناقشة طويلة حول تطورات القضية ، قرر مجلس الجامعة ارسال مذكرة إلى الدول المشتركة في مؤتمر الصلح مع ايطاليا للمطالبة بحق أهالى ليبيا في الوحدة والاستقلال وحقهم في اختيار نظام الحكم الذى يرتضونه لأنفسهم على أن تكلف الأمانة العامة باعداد هذه المذكرة وتبلغها إلى هذه الدول مع مداومة المساعى لتحقيق هذا الغرض .

وتنفيذا لهذا القرار وجهت الأمانة العامة إلى جميع الدول التى اشتركت في مؤتمر الصلح مع ايطاليا مذكرة رسمية في يوم ١٨ أبريل سنة ١٩٤٦ وهذا نصها :

تشرف الأمين العام لجامعة الدول العربية في يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٥ باسم الجامعة العربية المفوضة من كل من الدول المشتركة فيها بتقديم مذكرة بشأن ليبيا ( طرابلس وبرقة وفزان ) إلى مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى الذى انعقد في لندن في غضون الحريف الماضى .

والآن يتشرف الأمين العام للجامعة العربية بأن يقدم هذه المذكرة باسم الجامعة وبالنيابة عن كافة الدول الممثلة فيها وهو مطمئن كذلك إلى تأييد عرب ليبيا ومعبر عن رغباتهم وهى :

١ - أن أية فكرة ترمى إلى تقسيم هذه البلاد إلى مناطق يهدد إلى دول أجنبية بالصيانة عليها أو تضم إلى دول مختلفة ستقابل برفض إجماعى من الشعب الليبى يظهره العالم العربى .

- إن من حق الشعب الليبى استنادا إلى حقوق الإنسان فى تقرير المصير واعتمادا على ميثاق الأطلنطى وروح ميثاق سان فرنسيسكو أن يستشار للأعراب عن مشيئته الحرة فى اختيار نوع الحكومة التى يريدونها .

٣ - إن أى إجراء يرمى إلى تقرير مصير الليبيين بدون إعطائهم الفرصة الكاملة لإجراء استفتاء حر تحت إشراف الأمم المتحدة والجامعة العربية سيوجد معارضة من شعب ليبيا بكل ما فى وسعه من قوة .

٤ - إن أى إدعاء يصدر من الجانب الإيطلالى للمطالبة بإعادة أى ارتباط بين تلك البلاد وبين إيطلاليا وذلك بإقامة أى نوع من أنواع النظام الحكومى سيقاوم بالسلاح وبكافة الوسائل الأخرى التى تتوافر لدى الشعب الليبى . ولا شك أن تاريخ نضال هذا الشعب خلال هذا القرن ضد إيطلاليا هو تاريخ قتال استمر أكثر من عشرين عاما فقدت البلاد خلالها زهاء نصف عدد سكانها .

٥ - أوضح الأمين العام فى مذكرته السابقة ان وحدة تلك البلاد أمر لا رجوع فيه لكفالة رفاهيتها كما أنه لا مندوحة عنه لضمان تقدمها الاقتصادى وإقامة إدارة صالحة بها وتوفير أسباب تقدمها العام وذلك لأن كل منطقة فى تلك البلاد تعتمد على المناطق الأخرى ولن يفضى تقسيمها إلا إلى مجاعة اقتصادية . هذا ولقد احتفظ أهالى ليبيا من قبائل وعرب رحل فى ظل الظروف العادية بمستوى معين للمعيشة يتناسب مع حياتهم عن طريق تنقلهم الحر فى مختلف المناطق .

وأن تاريخ تلك البلاد منذ عهد الفينقيين والأغريق حتى وقتنا الحاضر يؤكد ضرورة وضع ليبيا تحت نظام ادارى موحد تتاح فى ظله حرية التنقل إلى البلاد المجاورة سواء فى الشرق أو فى الغرب أو حتى فى الجنوب .

وعلى هذا فإن أية فكرة ترمى إلى تقسيم تلك البلاد إلى مناطق نفوذ أو وضعها تحت الصيانة هى فكرة توحى بها دوافع ومطامع أجنبية ضد مصلحة شعب ليبيا نفسه .

أما فيما يتعلق بنوع الحكومة التى ينبغى إقامتها فى ليبيا فتقرير ذلك من حق الشعب

الليبي ، ولقد تجلّت ارادته في مناهضة الاستعمار الأجنبي وأهليته لحكم بلاده في مواصلة النضال طوال عشرين عاما في ظل أنواع مختلفة من الإدارات الوطنية على الرغم من القوى التدميرية الساحقة التي واجهتها تلك الإدارات ، فقد استطاع الليبيون أن يعتمدوا على أنفسهم في أسوأ الظروف خلال نضالهم الذي إستغرق عشرين عاما معتمدين قبل كل شئ على مواردهم المادية والمعنوية .

ولا ينكر أحد دور شعب ليبيا في الحاق الهزيمة بالنظام الفاشي ، الأمر الذي سيجعل لهذا الشعب الحق الكامل في مطالبة تلك الدول التي تقوم الآن بوضع معاهدة الصلح مع إيطاليا بأن يذكروا أن الشعب الليبي كان شريكهم في الحرب وأنه ساهم في النصر منذ أول لحظة بدأت فيها ، ليس فقط بجيش قوامه الوف العرب بل بوسائل أخرى يعرفها جيدا القواد البريطانيون والأمريكيون .

وأن الجامعة العربية ليهما أن ترى العدالة قد تحققت لليبيا الشقيقة وهي تؤيدها في الحصول على حقها في تقرير مصيرها كما تعارض من ناحية المبدأ في إعادة فرض استعمار أجنبي على شعب ما عن طريق الضغط أو القوة .

وتعتقد الجامعة العربية أن واجبها لا يقتصر على مساندة فريق من الأمة العربية لتحقيق حريته ، ولكنها كمؤسسة تقوم أصلا للحفاظ على السلام في العالم العربي توقن أن أى قرار يتخذ ضد رغبة الشعب الليبي الذي تؤيده الشعوب العربية الشقيقة سيكون على وجه التحقيق عاملا خطيرا في إثارة الاضطراب والفوضى ، بل في اشعال الحرب .

ولهذا يناشدكم الأمين العام للجامعة العربية باسم الجامعة وباسم الشعب الليبي أن يكون حكمكم في هذه القضية صادرا عن بعد نظر وأن يكون نزيها وأن تتيحوا للشعب الليبي فرصة التمتع بحقه في الاستقلال واختيار نوع الحكم الذي يتفق مع مصالحه ورغباته .

عبد الرحمن عزام

الأمين العام للجامعة العربية



## قررنا توزيع السلاح استعدادا للحرب

أخذت معالم المؤامرة على ليبيا تتكشف بوضوح ..  
وفشلت جميع محاولات لاقناع الدول الكبرى بتغيير موقفها ..  
وكانت محاولة جديدة عندما أرسلت في يوم ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٦ برقية أخرى باسم  
الجامعة العربية إلى مجلس وزراء الدول الكبرى وكان منعقدا في لندن ..  
لقد اعربت فيها عن تمسك الشعب الليبي برفض أى نوع من الوصاية أو الانتداب  
على بلاده ..

ولم أتلق أى رد على هذه البرقية ..

ولا أريد أن أقول إن اليأس أخذ يتسرب إلى نفسى فى مواجهة مؤامرة الدول الكبرى  
علق ليبيا، ولذلك أخذ تفكيرى يتجه إلى الإعداد لمواجهة تنفيذ هذه المؤامرة بالثورة  
المسلحة .

وكنت على يقين من أن شعب ليبيا لن يتردد فى حمل السلاح مرة أخرى ليقاتل من  
أجل تحقيق إستقلال بلاده والإبقاء على وحدتها ..

وانتهزت فرصة عقد اجتماع الملوك والرؤساء العرب فى انشاص فى يومى ٢٨ و ٢٩  
مايو سنة ١٩٤٦ لعرض تفاصيل تطورات المشكلة الليبية أمامهم فى هذا الاجتماع ..  
ودارت مشاورات بين الملوك والرؤساء العرب حول تطورات القضية ، وقد أسعدنى أن  
تضمن البيان التاريخى الذى أذيع بعد المؤتمر فقرة عن ليبيا تقول :

« ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة وفزان ووجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق  
على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعى وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن  
مصر والبلاد العربية وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية شؤون العرب  
ومصالحهم أن تهيب لهذا الاستقلال . وأن تتمهد فى بادى الأمر بالرعاية اللازمة لظهور  
حكومة عربية فى تلك البلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض بمسئولياتها داخليا  
وخارجيا كمضو من أعضاء جامعة الدول العربية . »



كان هذا هو قرار الرؤساء والملوك العرب في مؤتمر انشاص ، ومرت عدة أيام ثم جاءت بعض التقارير التي توحى بأن خلافا قد نشب بين وزراء خارجية الدول الكبرى حول القضية الليبية ..

ولم انتظر وبادرت بالإتصال مرة أخرى وأنا في أشد حالات اليأس بالمسؤولين في عواصم الدول الكبرى ..

وجاءني الرد من لندن .. وكان يقول أن الحكومة البريطانية قد اقترحت على مجلس وكلاء خارجية الدول الكبرى وكان منعقدا في باريس ايفاد لجنة تحقيق إلى ليبيا للوقوف على رأى الشعب الليبي حول مستقبل بلاده ..

ومع هذا الرد إنتهزت فرصة إنعقاد مجلس الجامعة العربية في بلودان بسوريا في شهر يونيو سنة ١٩٤٦ وعرضت على ممثلى الدول العربية اقتراحا بالإبراق فوراً إلى وزراء خارجية الدول الكبرى للمطالبة باشتراك الأمانة العامة للجامعة العربية في أعمال هذه اللجنة ..

ووافق مجلس الجامعة على مشروع برقية كنت قد أعدتها للإبراق بها إلى وزراء خارجية الدول الكبرى وهذا نصها :

« علم مجلس الجامعة العربية المنعقد الآن في بلودان بسوريا باقتراح الحكومة البريطانية بارسال وفد من الدول الأربع الكبرى لتبين رغبات أهل طرابلس وبرقة وفزان وقد كلفني المجلس أن أحيطكم علما بأن كل تحقيق في هذا الشأن يهم الجامعة العربية التي تعتبر ليبيا شعبا من الشعوب العربية كما يقضى ميثاقها أن تنظر في شئونه ومصالحه ولذلك فهى تحرص على أن تشارك في الهيئة التي أشار اليها الاقتراح البريطانى وتود إذا ما اتفق على هذا الاقتراح أن تدعى للاشتراك في هذه الهيئة على أن تحاط علما بالاجراءات والمواعيد .

عبد الرحمن عزام

وفجأة انهالت البرقيات والشكاوى على الأمانة العامة للجامعة العربية من الأحزاب الطرابلسية .. كانت تشكو من تزايد هجرة الايطاليين إلى ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية فأدرکت ما كانت تهدف اليه ايطاليا ..

كانت تريد أن تضع الدول الكبرى امام الأمر الواقع عندما تصل لجنة التحقيق

الدولية إلى ليبيا فتجد ان إيطاليا قد عادت بنفوذها إلى اراضى ليبيا في صورة هذا العدد الهائل من المهاجرين الذين اخذوا في التوافد بمختلف الطرق والأساليب على ليبيا .

ولم انتظر وبادرت باسم الأمانة العامة للجامعة العربية بارسال مذكرة إلى السفير البريطاني في القاهرة اطلب اليه ان يلفت نظر حكومته إلى خطورة هذه الهجرة الإيطالية المنتظمة التي تقوم بها الحكومة الإيطالية ، وطلبت اليه ان تتخذ الحكومة البريطانية الاجراءات الحاسمة لوقف هذه الهجرة تجنبا لما يترتب على استمرارها من نتائج سيئة على تطورات الموقف .

وجاء الرد بعد عدة ايام ، وكان يتضمن وعدا من الحكومة البريطانية بإتخاذ جميع الوسائل الممكنة لوقف هذه الهجرة الإيطالية .

وأذكر ما حدث أثناء أحد اجتماعات اللجنة السياسية عندما تقدمت الحكومة العراقية بتوصية تطلب فيها إلى الدول العربية ان تضع شرطا لاستئناف علاقاتها السياسية مع إيطاليا . هو أن تعترف الحكومة الإيطالية باستقلال ليبيا .

اثارت هذه التوصية مناقشة أعضاء اللجنة السياسية . .

وكان في رأى بعض الفقهاء من رجال القانون الدولي . . ان هذه التوصية ليست في محلها استنادا إلى أنه لا يجوز لإيطاليا من وجهة نظر القانون الدولي الاعتراف باستقلال ليبيا بعد أن تنازلت عن مستعمراتها السابقة نتيجة هزيمتها في الحرب العالمية الثانية . .

ولم تقتنع الحكومة العراقية بهذا الاعتراض ، وبادرت بالتقدم إلى مجلس الجامعة في دورة انعقاده العادية التي انعقدت في يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٦ بمذكرة تقول فيها :

« ان اعتراض اللجنة السياسية على توصيات العراق بأن تقرن الدول العربية استئناف علاقاتها السياسية مع إيطاليا بطلب الاعتراف باستقلال ليبيا مستندة إلى أنه لا يجوز لها دوليا الاعتراف باستقلال ليبيا لأنها تنازلت عن مستعمراتها ، هو اعتراض شكلي وغير مبنى على الواقع ، إذ ان إيطاليا إلى الآن لم توقع على معاهدة الصلح كما أنها لا تزال تطالب وبصورة غير رسمية أن تكون لها الوصاية على ليبيا وهي تعمل لذلك في السر والجهري في دعاية طويلة وعريضة بل انها - على ما جاء في الأنباء الأخيرة - تسعى منذ الآن لأن يكون لرعاياها من أفراد الجالية الإيطالية في ليبيا حقوق ممتازة بالنسبة للسكان المدنيين وهي تبني هذه المطالب على حقوق تدعى شرعيتها » . .

وبالإضافة إلى هذا فقد لوحظ أخيرا أن ثمة مناورة تريد بها السلطات الإيطالية تدعيم مركزها في طرابلس بأن تدفع إليها جموع المهاجرين الإيطاليين سرا وعلنا ، ولم تقابل هذه الهجرة غير المشروعة من السلطات البريطانية بما يجب من حزم واجب ضمانا لمصالح العرب .

ولو فرضنا ان إيطاليا رفضت توقيع معاهدة الصلح - والدعاية الإيطالية وصحفتها تطالب بهذا - فإذا يكون موقف الدول العربية بعد أن تكون هذه الفرصة قد افلنت منها ؟ ..

ان على الدول العربية أن تشترط في استئناف علاقاتها مع إيطاليا أن تكف الحكومة الإيطالية عن المطالبة بالعودة إلى ليبيا على أية صورة وأن تؤيد مطالب عرب ليبيا بهيئاتهم وزعمائهم وان تساند موقف الدول العربية من أجل تحقيق استقلال هذا القطر وسيادته .

ومع تقديرنا لأهمية الاعتراض الشكلي الذي أثير في اللجنة السياسية فإننا نود أن نؤكد ان هذه هي الفرصة السانحة الوحيدة التي ينبغى للدول العربية مجتمعمة ان تنتهزها لاستخلاص حق طالما جاهد من أجله عرب طرابلس الأحرار ، وخاصة ان الدوائر الرسمية وغير الرسمية الإيطالية تحس بأن استئناف علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع الدول العربية من الأسس اللازمة لنهوضها من كبوتها ..

ولقد كان لما أذيع من عزم الجامعة على اتخاذ القرار المذكور أثر عاجل وعميق في الأوساط الإيطالية الموجودة الآن في القاهرة مما يدل على اهتمامهم الشديد بهذا الموضوع وحرصهم من أن يصدر المجلس هذا القرار ..



كان المغفور له تحسين العسكري « بك » وزير العراق المفوض في القاهرة في تلك الأيام يرأس وفد بلاده في اجتماعاته في مجلس الجامعة العربية ولا أعرف ما الذي حدث بالضبط عندما فوجئت به يثور في أثناء اجتماعات المجلس وهو يعلن إصرار بلاده على أن يتخذ المجلس قرارا جديدا بشأن التوصية العراقية ..

ولما كانت العراق هي الدولة العربية الوحيدة التي أعلنت الحرب ضد إيطاليا أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد اخذت في تهدئة ثورته وأنا أقول له :

- ان هذه التوصية تخص العراق وحدها وبالتالي فإن على العراق أن تعمل على تنفيذها ..

ورد على المغفور له تحسين العسكري بك قائلا :

- ان العراق لن توافق على إعادة علاقاتها الدبلوماسية مع إيطاليا إلا إذا أعلنت الحكومة الإيطالية مسبقا اعترافها باستقلال ليبيا .. ولكن المهم أن يصدر قرار من مجلس الجامعة يؤيدها في موقفها ..

وأدركت ما كنت تجرى وراءه الحكومة العراقية ..

كانت تعرف خفايا المؤامرة على شعب ليبيا ، ولقد أرادت من مجلس الجامعة العربية أن يتخذ هذا القرار حتى تجد مبررا لموقفها تجاه الحكومة الانجليزية ..

وابتسمت ثم قررت مساعدة العراق على اتخاذ الموقف الذي تريده مادام هذا الموقف في صالح قضية شعب ليبيا ..

وكان أن أصدر مجلس الجامعة العربية بعد مناقشة المذكرة العراقية قرارا يقضى بضرورة النص على اعتراف إيطاليا باستقلال ليبيا عند عقد الصلح بينها وبين العراق باعتبارها الدولة العربية الوحيدة التي أعلنت الحرب على إيطاليا ..

أما فيما يتعلق باستئناف الدول العربية لعلاقاتها مع إيطاليا فقد تقرر أن تبذل هذه الدول جهودا دبلوماسية للحصول على وعد صريح من الحكومة الإيطالية ليس فقط بالتخلي عن ليبيا ولكن بمساعدة عرب ليبيا في تحقيق مطالبهم القومية في الوحدة والاستقلال ..

\*\*\*

وقعت إيطاليا اتفاقية الصلح في ١٠ فبراير سنة ١٩٤٧ .. وبمقتضى هذه الاتفاقية تنازلت عن مستعمراتها السابقة بما فيها ليبيا .. وفي ذلك الوقت تلقيت رسالة موجهة باسمي باعتباري أمينا عاما للجامعة العربية من الملك السابق ادريس السنوسي وكانت تقول بالحرף الواحد :

( يا صاحب السعادة . كما تعلمون عن جهاد الشعب الليبي منذ وطئت أقدام إيطاليا أرض الوطن ، أى في الفترة من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٣٣ ، وما قاساه هذا الشعب

العربي الباسل من محن وشدائد وغير ذلك لنيل استقلاله وللمحافظة على كيانه كأمة عربية ناهضة . . وقد أعقب ذلك سكون صوري إلى سنة ١٩٤٠ عندما هب الشعب الليبي من جديد جيشا وشعبا يناضل في هذا السبيل لمناصرة الحلفاء وقدم من المساعدات الفعلية ما كان لها أحسن الاثر. وقد ضحى في سبيل هذه الغاية بكل مرتخص وغال، وقاسى من المتاعب والاهوال في الارواح والاموال ما لم يقاسه شعب صغير مثله . وهذه هى طبرق وبنغازى وكثير من المدن الليبية أثر ملموس وشاهد حى لمن اراد التاكد من صحة ذلك . وبعد جلاء الايطاليين عن ليبيا في سنة ١٩٤٣ حلت الادارة العسكرية البريطانية محلهم ، لتحكم البلاد حكما عسكريا إلى الآن ، ولما طالبتها بانصافنا بتسليم إدارة البلاد لنا ولاهلها والاعتراف باستقلال بلادنا وحريتها وهو ما حاربنا وضحينا في سبيلها ، كان جوابها بأن هذا الموضوع لا يمكنها البت فيه بمفردها وانما في بحر سنة من توقيع إيطاليا على معاهدة الصلح وإرسال لجنة دولية لزيارة المستعمرات الإيطالية السابقة والاستماع إلى آراء الشعب . . والآن ، وقد وقعت إيطاليا على معاهدة الصلح وتنازلت عن مستعمراتها ومن بينها ليبيا في يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٤٧ ، وبادرت بكتابة هذا لسعادتكم راجيا عرض قضية ليبيا على مجلس الجامعة المنعقد في القاهرة الآن في دورته السادسة لاتخاذ قرار حاسم لمساعدة ليبيا مادياً وأديباً ، كما سبق أن قرر ذلك مؤتمر انشاص سنة ١٩٤٦ من حضرات أصحاب الجلالة والسمو والفخامة ملوك وأمراء ورؤساء الدول العربية لتتمكن البلاد من شرح قضيتها في مؤتمر وزراء خارجية الدول الأربع العظمى المنعقد الآن بموسكو ، وأمام اللجنة الدولية المراد ارسالها إلى ليبيا ، وإلى كل جهة يمكن الاستفادة منها لصالح ليبيا ) . .

محمد إدريس السنوسى

كانت رسالة هامة من الملك السابق إدريس السنوسى ، وقد قت بعرض الرسالة على مجلس الجامعة العربية اثناء دورة انعقاده واجتماعاته التى عقدت في شهر مارس سنة ١٩٤٣ كما عرضت على المجلس بعض الرسائل الأخرى التى تلقيتها من هيئة تحرير ليبيا . . وبعد أن تمت مناقشة ما جاء في هذه الرسائل اتخذ المجلس قراراً تاريخياً وكان يتضمن ثلاث فقرات تقول حرفياً :

( أ ) يصر المجلس على قراره السابق الخاص بوحدة هذه البلاد واستقلالها .

( ب ) ينوط بالامانة العامة بذل المساعى لاشراك الجامعة العربية أو بعض الدول

العربية في كل تحقيق أو استفتاء يجري في البلاد وتحديد وضعها السياسى .

(ج) يكلف الامانة العامة بمراقبة حالة البلاد من ناحية خطر الجاعة الذى يهددها حتى اذا ما تخرجت الظروف اتصلت الامانة العامة بالدول العربية بقصد اجراء ما يلزم في هذا الشأن .

\*\*\*

بادرت بالاتصال مرة أخرى بالمسؤولين في حكومات الدول الكبرى لاقناعهم باشتراك الجامعة العربية في لجنة التحقيق الدولية التى تقرر ابفادها إلى ليبيا .

وكم كنت أتمنى أن أجد مناصرة لوجهة نظرى من جانب المسؤولين الأمريكين والانجليز بالذات ، إلا اننى وجدت اعتذارات متنوعة ، وإدعاء بأن اشتراك الجامعة العربية قد يفتح الباب أمام مطالبة دول أخرى بتمثيلها في اللجنة . .

وكان على أن أتحرك بسرعة . . وساعدنى على ذلك صلابة موقف المسؤولين في الحكومة المصرية وموافقتهم على اتخاذ كل الاجراءات الضرورية للمحافظة على حق شعب ليبيا في الوحدة والاستقلال . .

ولا أذيع سرا اذا قلت أن مصر أبدت استعدادها في تلك الأيام لتنظيم حركة للمقاومة المسلحة داخل الأراضى الليبية لمساعدة شعب ليبيا في مواجهة المؤامرات التى كانت الدول الكبرى تدبرها ضدها .

وفي دورة اجتماعات مجلس الجامعة العربية التى عقدت في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ كان فى رأى مصر أن الموقف فى ليبيا لم يعد يحتمل المهادلات السياسية .

وكان أن تقدمت مصر باقتراحات واضحة حول رأيها فى الحل العسكرى لقضية ليبيا . .

وكان هذا الحل من وجهة نظر مصر هو أن تساند دول الجامعة العربية حركة المقاومة المسلحة داخل ليبيا بكل ما تحتاج اليه من امكانيات مادية وعسكرية . .

وعرف المجاهدون الليبيون باتجاه مصر فتأهبوا لحمل السلاح مرة أخرى . .

ودارت أثناء اجتماعات اللجنة السياسية مناقشات طويلة حول اقتراحات مصر الواضحة والقوية . . ثم تقرر تحت ضغط من العراق والاردن تعديلها . .

وكان قرار اللجنة السياسية بشأن اقتراحات مصر بعد التعديل بالحرف الواحد :

( لما كان حق ليبيا في وحدتها واستقلالها حقاً طبيعياً ثابتاً بمحكم التاريخ وبما أهدرت من دماء غزيرة في سبيل الذود عن وحدتها واستقلالها ، وبمناسبة قرب البت في مصير المستعمرات الإيطالية فان المجلس إذ يرقب المسألة الليبية بقلق زائد يؤكد مرة أخرى ما قرره عن وحدة البلاد الليبية ( برقة وطرابلس وفزان ) كما يؤكد أن استقلالها هو الهدف الأول الذي يجب أن تنشده البلاد العربية وتسعى إليه بكافة الوسائل الممكنة .

ويرى المجلس ان كل تسوية في تحقيق هذه الأهداف العادلة أو حرمان ليبيا من استقلالها بتجزئتها أو وضعها تحت وصاية أجنبية هو عمل يتنافى قطعاً مع العدالة والحق .

لهذه الأسباب يوصى المجلس الحكومات العربية باتخاذ العدة من الآن لصون استقلال ليبيا ووحدتها وتقديم مذكرات إلى الدول الأربع المثلة في اللجنة والقيام بمسمى دبلوماسي لدى هذه الدول للاشتراك في المفاوضات الجارية حول المسألة الليبية وللدفاع عن وجهة النظر العربية في هذه القضية الحيوية للبلاد العربية . لما لها من علاقات بليبيا القائمة على أواصر القربى والجوار والثقافة والتاريخ ووحدة المصالح .

ويناشد المجلس الشعوب العربية قاطبة أن تأخذ الالفة من الآن لمساعدة ليبيا والدفاع عن حقوقها بكل ما أوتيت من وسائل فعالة ، حتى يتيسر للشعب الليبي الكريم أن يصون حقوقه ويحقق استقلاله وحرية الكاملة ) . .

\* \* \*

تنفيذا لهذا القرار وجهت باسم الامانة العامة للجامعة العربية مذكرة جديدة إلى وزراء خارجية الدول الكبرى عن طريق وزارة الخارجية المصرية يقول نصها :

( حضرة صاحب السعادة ، بناء على قرار صدر بالاجماع من مجلس جامعة الدول العربية في اجتماعه ببيروت في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ، أشرف بأن ألفت النظر إلى النقاط الآتية راجياً التفضل بإبلاغ هذه المذكرة في أقرب وقت إلى حضرة صاحب السعادة وزير خارجية بلادكم :

١- ليبيا بلاد عربية ، مساحتها حوالي مليون كيلو متر مربع ، وأقسامها الرئيسية هي برقة وطرابلس وفزان . وعدد سكانها وفق احصاء سنة ١٩٣٨ قرابة المليون من الانفس ، منهم ثلاثون ألف إسرائيل وفد أغلبهم إلى هذه البلاد منذ قرون على أثر اضطهادات

دنيّة ، ومنهم ٤٥ ألف إيطالي دخلت غالييتهم هذه البلاد بعد سنة ١٩١٢ أما الباقون - وهم الغالبية - فهم عرب مسلمون وقد بعضهم إلى هذه البلاد واستقروا فيها في القرن السابع عندما فتحها العرب ، وقد البعض الآخر في سنة ١٠٥٠ وغالبية هؤلاء ينتمون إلى أصل واحد هو قبيلة بني سليم .

بقي بعض أهل ليبيا الذين ينتمون بأصلهم إلى البربر ، وهؤلاء خالطوا العرب وتزوجوا فيما بينهم حتى صح القول بأن أهل ليبيا جميعا شعب واحد تجمع بين أفراده أوثق الروابط : فلغتهم جميعا هي اللغة العربية التي لا توجد لغة أخرى تزاوجها ودينهم هو الاسلام الذي لا يقوم إلى جانبه دين آخر . وعاداتهم هي عادات العرب .. ومن ثم كانت ثقافتهم متائلة أو كالمثالثة ..

٢- وتجمع أهل ليبيا بالإضافة إلى ذلك عوامل اقتصادية لا انفكاك لها : فبرقة تزود أهل طرابلس بالصوف والسمن والعسل وأحيانا بالقمح والشعير والحيوانات . بينما تزود طرابلس أهل برقة وأهل فزان بالزيت والمنسوجات الصوفية والآلات الزراعية وفي نفس الوقت تمد فزان برقة وطرابلس بتمرها .. وبمعنى آخر لا غنى لأى من هذه الأقسام الثلاثة في حياته الاقتصادية عن منتجات القسمين الآخرين ، بل ان كلا منها يعتمد في حياته الغذائية - بل في ذات وجوده - على ما يمدّه به أهل القسمين الآخرين ، ولا أدل على ذلك من ان تمر فزان قد انقذ في سنوات الجفاف حيث تقل الحبوب مئات الألوف من أهل ليبيا من المجاعة ..

٣- أن ليبيا بأقسامها الثلاثة وحدة لا تقبل التجزئة لأن مثل هذه التجزئة يمكن أن تكون سببا في فناء سكان كل قسم من أقسامها الثلاثة بدرجة مروعة وهذه الحقيقة هي وليدة عوامل اجتماعية واقتصادية ملحّة كانت دائما بارزة للليان وكانت دائما مرعية على مدى التاريخ في هذه البلاد مما اضطر معه الطليان عندما أغاروا على هذه البلاد في سنة ١٩١١ إلى الإبقاء على وحدتها الادارية . وهم لم يلبجأوا إلى تجزئتها إلى ولايتي برقة وطرابلس إلا تحت ضغط عوامل عسكرية مؤقتة .. وقد اضطروا بعد ذلك إلى انشاء حكومة موحدة يعتمد سلطانها على وحدة البلاد كلها ويشرف عليها حاكم عام مقره مدينة طرابلس .

ولذلك فان المطلب الأول للشعب هو الإبقاء على وحدة البلاد بأقسامها الثلاثة من حدود مصر شرقا إلى حدود تونس والجزائر غربا .



٤- ان الشعب الليبي وهو يطالب بالابقاء على وحدة بلاده يطالب كذلك وبكل قوة بتمتعها بالاستقلال وبتحريرها من الاستعمار والاستغلال أيا كانت صورته ..

والاستقلال ليس غريبا على أهل هذه البلاد على ما قد يبدو لأول وهلة أو كما يتصور البعض ، فند الفتح الاسلامى فى منتصف القرن السابع للميلاد وأهل هذه البلاد يتمتعون فعلا بالحرية الواسعة التى يسمح بها الاسلام فى تنظيم شئونهم الداخلية ..

كما عاشت ليبيا أيضاً منذ انضمامها إلى الدولة العثمانية وهى تتمتع بكيان سياسى مستقل ، فقد كان نظام الخلافة الذى كان يربط بين البلاد العربية والدولة العثمانية لا يتعرض لمنهج الحكم وأساليب الإدارة فى أى بلد من البلاد العربية ، بل كان على العكس من ذلك يبق على تلك المناهج والأساليب ويمدها بما يحقق لها أسباب النمو والرقى مادامت تهدف إلى رفاهية السكان وإقامة العدل بينهم . وكان أن قامت فى طرابلس الغرب ، منذ انضمامها إلى الدول العثمانية ، مجالس وطنية كانت تتولى الاشراف على إدارة هذه البلاد . وكما أن ابناء هذه البلاد هم الذين كانوا يتولون شئون القبائل والعشائر ، وكان منهم المديرون ورؤساء البلديات فى المدن الكبرى .

وعندما نجحت الحركة الدستورية فى الدولة العثمانية فى أوائل هذا القرن وبالضبط فى سنة ١٩٠٨ أصبح لليبيين ممثلون فى البرلمان العثمانى .

وهكذا تمتع أهل ليبيا بالاستقلال الذاتى ومارسوا القيام بوظائفهم وتكاليفه فترة طويلة من الزمن . وقد نزل هذا النظام مغزلة خاصة فى نفوسهم واطمأنت اليه قلوبهم لأنه لم يخرج بهم عن مألوف عاداتهم وتقاليدهم الموروثة ، ذلك أنهم - وهم فى غالبيتهم من قبائل عربية بدوية - مطبوعون بالفطرة على الاستقلال والتحرر من كل قيد .

ولذلك قاوم أهل ليبيا اعتداء الطليان على بلادهم فى سنة ١٩١١ أشد المقاومة وقد استمروا على مقاومتهم طوال الثلاثين سنة الماضية إلى أن ساعدتهم جيوش الحلفاء أخيراً فى سنة ١٩٤٣ على التخلص من الحكم الإيطالى البغيض ..

ولما كان تاريخ جهاد الليبين فى الذود عن بلادهم واستشهادهم فى سبيلها وكذلك تاريخ فظائع الاستعمار الطليانى والوسائل الوحشية التى اصطنعها لاختضاع البلاد واذلالها معروف ومنشور ، لذلك نكتفى بأن نقرر ان تلك الوسائل الوحشية قد ولدت فى نفوس الليبين جميعا شعوراً شديدا بالكراهية نحو الطليان . الأمر الذى يجعل مجرد التفكير فى إعادة أى شبر من أرض البلاد إلى إيطاليا من أتس الحلول وأبعدها عن الصواب ، بل

ابعدا أيضا عن الممكن تنفيذه فعلا لأن أهالي ليبيا سيقاومون مثل هذا الحل جميعا بقوة السلاح.

٥- وإذا كان الليبيون قد قاوموا اغارة الطليان على بلادهم ووقفوا في وجهه كل ما انزلوه بهم من صنوف العذاب في غير هواة ولا مهادنة ، فذلك لأنهم أهل كرامة وأهل استقلال ، وقد طبعت على ذلك نفوسهم منذ أجيال . وكان أن استشهد وهاجر منهم من لم يستطع ان يقيم على الضيم ، ولا يهيم ان يخفض تعداد سكان البلاد نتيجة لهذين العاملين في الثلاثين سنة الماضية من مليونين إلى قرابة المليون من الانفس .

٦- وقد ظل المجاهدون الليبيون يعملون في البلاد العربية ، وخاصة في مصر على تحرير بلادهم من قبضة الطليان ، وعندما دخلت إيطاليا الحرب في يونيو سنة ١٩٤٠ بادروا بالعمل وكان أن اتصل فريق منهم بالمفوضية الفرنسية بالقاهرة لمساعدتهم في السفر إلى الجزائر حيث قاموا بالاتصال بالجنرال فوكس واتفقوا معه على تجهيز حملة من الليبيين الموجودين في الجزائر وتونس لمحاربة الطليان في ليبيا غير أن استسلام فرنسا قضى على تنفيذ هذا المشروع .

أما الفريق الثاني ، وكان يعمل تحت رئاسة السيد محمد إدريس السنوسي ، فقد قام بإنشاء الجيش الليبي الذي اشترك مع الحلفاء في معارك الحرب ضد إيطاليا .. وقد بلغ عدد أفراد هذا الجيش ١٤ ألف جندي و ١٢٠ ضابطا ليبيا ، وقد خاض هذا الجيش تحت قيادة الكولونيل براملي الانجليزي جميع المعارك التي دارت في الصحراء الغربية إلى جانب جيوش الحلفاء . وكانت مهمته على وجه الخصوص العمل خلف خطوط الأعداء وقد قدم من المساعدات ما كان له الفضل المعروف في هزيمة جيوش روميل .

ولعل أبرز دليل على ذلك هو شهادة ضابط بريطاني كان يعمل مع عرب برقة خلف خطوط العدو واسمه الميجور بننكوف فقد أذاع حديثا من محطة لندن يوم ٣١ مايو سنة ١٩٤٧ قال فيه :

- انني لا أتعدى على الحقيقة حين أقول إن عرب برقة كانوا معبرا لنصر الحلفاء في هذه الحرب وأن جميع أفراد الجيش البريطاني الثامن مدينون بحياتهم لعرب برقة .

وأكد هذه الحقيقة وزير خارجية بريطانيا في الخطاب الذي ألقاه أخيرا بمناسبة ذكرى معركة العلمين ..

ولهذه الاعتبارات مجتمعة يتمسك أهل ليبيا بحق بلادهم في التحرر والاستقلال خاصة لأن أهليتهم في إدارة شؤونهم بأنفسهم ثابتة لهم منذ قرون وقرون ، فضلا عن أن من بينهم من يشغل في البلاد العربية الشقيقة وفي تركيا أعلى الوظائف السياسية والادارية والعلمية وهؤلاء كثيرون ، وهم جميعا ينظرون إلى اليوم الذي تستعيد فيه بلادهم استقلالها ليعودوا إليها وليخدموها بما توافر لهم من علم وخبرة .

٧- مما تقدم يتبين بوضوح أن أهل هذا البلاد يستأهلون الاستقلال . ولا ينقص من حقهم ما قد يبدو من فقر بلادهم إلى الموارد الطبيعية وعدم اخذهم بوسائل التقدم الصناعي . . ولا شك أن العبرة في استحقاق شعب لممارسة الاستقلال إنما هي بتقدمه الادبي وبتراثه الماضى وما يكون قد خلع عليه من الاعتزاز بالحرية والمحرص عليها ومن فهم لمعنى التعاون ، والتضحية في سبيل الغير مما يؤهله للتحرر من الاستغلال الأجنبي .

٨- يعتمد أهل ليبيا في طلب وحدة بلادهم واستقلالها على حق كل شعب في اختيار وتقرير مصيره . وهم يستندون إلى أن ليبيا قد استعادت وضعها السياسى قبل الغزو الإيطالى مع تنازل إيطاليا بمقتضى معاهدة الصلح الموقعة في باريس في ١٠ فبراير سنة ١٩٤٧ عن كل ما كانت تدعيه من حقوق في بلادهم ، ولما كانت الدولة العثمانية قد تنازلت من قبل هي الأخرى عن كل حق لها بمعاهدتي لوازن الموقعتين في ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ و ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٣ ، فان ليبيا تكون بذلك قد تحررت من كل سيطرة أجنبية واستعادت حقها الأصيل في الحرية والاستقلال ، ويستند الليبيون كذلك إلى جهادهم الطويل المرير ضد الحكم الفاشى وإلى ما قدموه لقضية الحلفاء في الحرب الاخيرة من المساعدات التي كانت بحق معبر النصر لهم جميعا .

٩- لذلك يرى مجلس جامعة الدول العربية أن كل تسوية في وحدة هذه البلاد واستقلالها يعتبر عملا ظلما يتنافى مع الحق والعدل ، ويعتبر كذلك وضع هذه البلاد كلها أو بعضها تحت أية وصاية أجنبية ، وكل عمل يتنافى مع الحق والعدل هو عمل من شأنه أن يثير الاضطرابات ويدفع إلى العمل للتخلص منه بكل الوسائل .

وأنى لأحرص على أن أؤكد لسعاتكم أن الحكومات العربية لن تقف مكتوفة الايدي أمام أى ظلم يقع على عرب ليبيا وانها لن تتراخى في القيام بواجبها في هذا الشأن .

عبد الرحمن عزام

الامين العام لجامعة الدول العربية

وهكذا لم أترك مناسبة واحدة دون أن ألفت انظار الدول الكبرى إلى الأخطار التي  
يمكن أن تواجه تنفيذ مشروعاتها لتقسيم ليبيا أو فرض الوصاية أو الانتداب عليها . .  
كان هذا واضحا وصریحا في كل ما أرسلته إليها من مذكرات أو برقيات باسم الامانة  
العامة لجامعة الدول العربية

وكان اقتناعی بأن ما لا نستطيع أن نحصل عليه بالأساليب الدبلوماسية ، يمكن أن  
نحصل عليه بالثورة المسلحة والحرب . .

ولم يكن في وسعی ببنا كنت أستعد للمعركة الفاصلة أن اهدد وانذر وأنا ألوح لهم في  
نفس الوقت بأغصان الزيتون تأكيدا لرغبتی في حل القضية بالأساليب السلمية !

\* \* \*



## فشلت محاولات لاقناع الدول الكبرى بالموافقة على اشراك الجامعة العربية في لجنة التحقيق ..

فشلت محاولات لاقناع الدول الكبرى بالموافقة على اشراك الجامعة العربية في لجنة التحقيق ..

ولم يكن أمامي الا أن أعمل على توحيد كلمة الشعب الليبي حتى يصبح رأيا واحدا في مواجهة اللجنة التي قررت الدول الكبرى ايفادها إلى ليبيا للتعرف على آراء الشعب الليبي ..

كنت أريد توحيد الصفوف وجمع الكلمة وتنسيق الجهود ، وأهم ما في ذلك تهيئة الرأي العام الليبي لاستقبال لجنة التحقيق برأى موحد في طلب الاستقلال والوحدة .. وكان أن اتصلت بجميع الأحزاب والهيئات السياسية في ليبيا ..

واقضى الأمر استدعاء بعض زعماء البلاد إلى القاهرة حيث عملت جاهدا على تقريب وجهات النظر فيما بينهم ، وقد استطعت أثناء اجتماعاتي مع هؤلاء الزعماء الليبيين ازالة الكثير من أسباب الخلافات بينهم .

قلت لهم يجب أن تواجهوا لجنة التحقيق الدولية برأى واحد ..

ولضمان تحقيق هذا الهدف عملت في شهر مارس سنة ١٩٤٨ على تشكيل هيئة تحرير ليبيا من ممثلين عن جميع الأحزاب السياسية والهيئات الليبية .. وكان ان تم تكوينها من بشير بك السعداوى واحمد بك السومحلى وجواد بك ذكرى والطاهر بك المريض ومنصور بك قدارة ، ومحمود بك المنتصر ..

كانوا جميعا من المجاهدين الذين عرفوا بدورهم في معركة كفاح شعب ليبيا ضد الاستعمارين الانجليزى والإيطالى ..

وكان الهدف من تشكيل الهيئة كما جاء في البيان الذى اذاعته إثر إعلانها .. السعى لاستقلال ليبيا بمحدودها الطبيعية أى من الحدود المصرية إلى الحدود التونسية والجزائرية وإلى الصحراء الكبرى جنوبا ، والتعاون مع الجامعة العربية والتفاهم في كل ما يحقق هذا

الاستقلال وصيانته وفي كل ما يؤمن رفاهية الشعب الليبي وتقدمه ، وكذلك السعى بكافة الطرق المشروعة داخليا لتنوير الرأى العام وتوحيد الصفوف وتوجيه الجهود الوطنية وإجتناى كل دواعى الجدل والشقاق والخلاف على نظام الحكم وطرائقه على أن يبيح كل ذلك ممثلو الشعب بعد الاستقلال للمصالح العام والمحافظة على وحدة الكلمة أثناء الكفاح للحرية ، وخارجيا بالدعوة فى مختلف الاوساط العالمية من أجل ضمان تأييد الرأى العام العربى والاسلامى والعالمى وذلك بنشر دعوة الليبيين بين كافة شعوب العالم وفى مختلف الميادين الدولية . .

ومع اعلان تشكيل هيئة تحرير ليبيا وجهت رسالة إلى شعب ليبيا من اذاعة القاهرة وكان نصها :

.. من عبد الرحمن عزام باشا إلى الشعب الليبي وهيئاته السياسية .. ان قضيتكم ولا ريب من القضايا العربية التى نوليا اهتماما منذ ثلاثين سنة ونرجو لها النجاح .. وأن شعبكم العربى فى مقدمة الشعوب التى ناضلت وضحت بكثير من خير أبنائها فى سبيل الحرية والاستقلال .

وان هذا الظرف لمن انسب الأوقات لكى تجنوا ثمار أعمالكم وتظفروا بموقفكم فقد أزال الله عنكم كابوس الظلم والاستعمار وهيا لكم فرصة التحرر من الاستعمار ، فاغتنموها .. وهأنذا أعلن ان اخوانكم الطرابلسيين قد شكلوا هيئة وطنية فى القاهرة اشترك فيها حضرات السادة :

بشير السعداوى بك ، أحمد السويحلى بك ، محمود بك المنتصر ، الطاهر بك المريض ، منصور بك قدارة ، جواد بك ذكرى .

وسينضم اليها من رجال طرابلس فى الأقطار الشقيقة بعض المجاهدين القدماء وقد اتخذت لنفسها اسم ( هيئة تحرير ليبيا ) واعتقد أن رجالها من خير أبناء البلاد البررة وأن هدفهم هو استقلال البلاد والعمل على نيل حقوقها كاملة غير منقوصة ..

وإنى أرى أن وجود هذه الهيئة مما يساعدا على معرفة رغبات الشعب الليبي ويسهل مهمتنا فى خدمته ويمكن من توضيح آمال الشعب فى البلاد العربية والأجنبية ..

وإنى لأهيب بجميع الهيئات السياسية على اختلاف ألوانها فى ليبيا أن تتكاتف فى الداخل والخارج حتى تستطيع الهيئة أن تودى عملها على خير وجه وأكمل نظام .. كما

أناشد هذه الأحزاب المتعددة في ليبيا أن تهادن وأن تكف عن أى قول أو فعل يحرك الشقاق بينهم وأن يتجهوا بكامل جهودهم نحو الاتحاد لانقاذ البلاد في الدور العصيب الذى تمر به الآن ..

\*\*\*

بدأنا العمل في توحيد كلمة شعب ليبيا في مواجهة لجنة التحقيق الدولية وكان أن التفت الشعب الليبي حول هيئة تحرير ليبيا ..

ولعبت هذه الهيئة وغيرها من منظمات الشعب الليبي دوراً هاماً في مواجهة لجنة التحقيق الدولية ..

وكان أن سارت الأمور في طرابلس الغرب وفق رغبات الأهالى الوطنيين .. أما في برقة فقد تنازعت الموقف بعض التيارات العربية من النفوذ الشخصى والمؤامرات الأجنبية ، وان كانت نتيجة التصويت أمام لجنة التحقيق قد جاءت على أحسن وجه ، مما أكد إجماع الشعب الليبي على الوحدة والاستقلال ..

ولكن نتيجة هذا الاستفتاء لم تكن كل شئ ..

كانت المؤامرة الدولية على شعب ليبيا لا تزال مستمرة ..

واستطعت أن أعرف من اتصالاتى التى لم تتوقف لحظة واحدة مع المسؤولين في حكومات الدول الكبرى أن هناك اصرارا على ابقاء ليبيا تحت النفوذ الأجنبى .

وأرادت بريطانيا أن تفرض الأمر الواقع فعقدت مع إيطاليا الاتفاقية التى عرفت باسم اتفاقية ( بيغن - سفورزا ) ..

كانت اتفاقية تعترف فيها بريطانيا بالمصالح الإيطالية في إقليم طرابلس الغرب ، وفي نفس الوقت يعترف الإيطاليون بمصالح بريطانيا في إقليم برقة ..

وتكشفت مع هذه الاتفاقية بعض أبعاد المؤامرة التى كانت الدول الكبرى تحيكها ضد ليبيا ، وكانت تهدف إلى تقسيم الأراضى الليبية بحيث يظل إقليم برقة تحت سيطرة الانجليز بينما يبقى إقليم فزان تحت سيطرة فرنسا وأن تعود إيطاليا للسيطرة على إقليم طرابلس الغرب .



وقد ارادت بريطانيا باتفاقها مع إيطاليا ان تضمن مشاركة الإيطاليين . في تنفيذ هذه المؤامرة الدولية ..

واعترف بأنني كنت قبل عقد هذه الاتفاقية قد قمت بعدة اتصالات مع المسؤولين في الحكومة الإيطالية والفاشيكان ..

كنت أريد من إيطاليا ان تؤيد حقوق شعب ليبيا في الوحدة والاستقلال وكان في تصوري أن في وسعي أن أكسب الرأي العام الإيطالي إلى جانب الحق العربي .. وكان أن نظمت حملة اعلامية داخل إيطاليا لكسب الرأي العام الإيطالي إلى جانب وجهة نظرنا العربية ..

وكنت في نفس الوقت أهدف للاستفادة من نفوذ إيطاليا في بعض بلاد أمريكا اللاتينية، وفي دول أوروبا الكاثوليكية عند مناقشة قضية ليبيا في الأمم المتحدة ..  
واشترك معي في هذه الاتصالات بعض الليبيين الذين كانت تربطهم بالإيطاليين والفاشيكان علاقات طيبة ..

وتطورت هذه الاتصالات لتتحول إلى مباحثات شبه رسمية مع بعض المسؤولين في الحكومة الإيطالية بواسطة بعض الإيطاليين من رجال الأعمال الذين كانت الحكومة الإيطالية توفدهم إلى القاهرة للاتصال بي، وأحياناً بواسطة ممثل إيطاليا في القاهرة ..

وكان بعض الزعماء الليبيين على علم بهذه الاتصالات التي كادت تصل إلى نتيجة حاسمة تعترف فيها إيطاليا باستقلال ليبيا ووحدتها مقابل ان يحصل الإيطاليون المقيمون في منطقة طرابلس على حقوق مساوية لحقوق العرب وأن تسوى المشاكل التي ترتبت على نزع ملكية بعض الأراضي والممتلكات العربية بواسطة الإيطاليين أيام حكم الفاشست لإيطاليا بالوسائل الودية ..

المهم .. كادت هذه المساعي تؤدي إلى النتيجة التي كنت أهدف إليها ..

ولكن فجأة توقفت جميع الاتصالات من جانب الإيطاليين ..

وأدرت السبب، فقد كانت مطامع إيطاليا في استرداد منطقة طرابلس تزايد مع ما أظهره البريطانيون والفرنسيون وبعض دول الكتلة الغربية من ميل لاحتضان إيطاليا والعمل على إرضائها بحجة مقاومة تغلغل النفوذ الشيوعي فيها بعد إنهاء الحرب العالمية الثانية ..

\*\*\*

أخذت مخاوفى تتزايد مع النعمة الجديدة التى أخذت الدول الكبرى ترددها حول رغبتها فى تحقيق مطامع إيطاليا فى استرداد منطقة طرابلس ، خوفاً من الشيوعية فى بلادها . .  
وخرجت من لندن وباريس فى تلك الأيام تصريحات رسمية تقول أن الحكومتين البريطانية والفرنسية لا تمانعان فى وضع إقليم طرابلس تحت الوصاية الإيطالية . .  
وقام الكونت سفورزا وزير الخارجية الإيطالية بزيارة لندن حيث دارت بينه وبين الانجليز مباحثات انتهت بعقد الاتفاق الذى اشتهر باسم اتفاقية ( بيغن - سفورزا ) . .  
وكان على أن أتخذ الاجراءات الضرورية لمواجهة الموقف . .  
ولا أريد أن أقول انى كنت قد وضعت خطة كاملة لهيئة الشعب الليبى لمقاومة تنفيذ الدول الكبرى لمؤامرة تقسيم ليبيا . .

كنت أعرف الشعب الليبى ، وكنت على استعداد لأن أضع استقالتي تحت تصرف دول الجامعة العربية لأعود مرة أخرى إلى الصحراء للقتال إلى جانب المجاهدين . .  
ولكن فجأة تحركت الحكومة الأمريكية بعد أن تأكد لها أن فرض الوصاية الإيطالية على إقليم طرابلس لا يمكن أن يتم دون أن تنشب الثورة فى الأراضى الليبية ، وكان أن أرسلت إلى على لسان السفير الأمريكى فى القاهرة تقول لى . . إن حكومة أمريكا تميل إلى تأييد وجهة النظر العربية . وأنها على استعداد لتأييد حقوق شعب ليبيا فى الوحدة والاستقلال . .

ولم أنتظر ، وبدأت أتحرك لاحباط اتفاق بيغن - سفورزا . .

وعندما عقدت الجمعية العمومية للأمم المتحدة اجتماعها لمناقشة قضية ليبيا قت بالاتفاق مع وزارة الخارجية المصرية بإيفاد وفد من ممثل الشعب الليبى ، وهيئة تحرير ليبيا إلى الأمم المتحدة . .

ولعب هذا الوفد الذى دفعته القاهرة جميع نفقاته دوراً هاماً فى الاتصالات مع الوفود المختلفة . .

وكانت المفاجأة عندما تكثرت دول العالم ضد هذا الاتفاق . .

وتحطمت أحلام إيطاليا مع رفض الجمعية العمومية للأمم المتحدة أن تعود إيطاليا إلى إقليم طرابلس .

وهنا يؤسفنى أن أقرر أن الدول الكبرى عملت على إثارة البلبلة فى نفوس بعض الزعماء الليبيين ..

وكانت النتيجة أن فقد بعض الليبيين ثقتهم فى تحقيق حقوق بلادهم الوطنية فى الوحدة والاستقلال ..

وكان أن ارتفعت بعض الأصوات الليبية تطالب بأن يقتصر جهاد الشعب الليبى على منع عودة النفوذ الايطالى إلى الأراضى الليبية بكل الوسائل .

وتورط بعض هؤلاء الزعماء الليبيين فى التفاهم مع المسؤولين الانجليز على بعض صور الحكم التى لا تخرج عن الحماية الأجنبية ..

وكان هؤلاء الزعماء الليبيون هم الذين طالبوا بالابقاء على النفوذ البريطانى .

\* \* \*

لم ييأس الايطاليون عقب رفض الأمم المتحدة إعادة نفوذهم إلى الأراضى الليبية .. وكان أن عملوا على استئناف اتصالاتهم معى سواء بصفى الشخصية ، أو بصفى أميناً عاماً للجامعة العربية ..

وكانت بداية التفاهم بينى وبين الايطاليين حديثاً نشرته لى جريدة التيمو ( الزمان ) الايطالية بتاريخ ١٠ يونيو سنة ١٩٤٩ تحت عنوان «دولة عربية يشترك فيها الايطاليون» ...

وتحت هذا العنوان كتبت الجريدة الايطالية تقول بالعناوين الضخمة :

- الأمين العام للجامعة العربية يؤكد ضرورة وحدة الأراضى الليبية ..
- التفاهم لا يزال ممكناً بشرط أن يقوم على أساس اتفاق صادق ..

وأذكر أن المراسل هذه الجريدة فى القاهرة وكان اسمه ( اميرتو سبالا تزانى ) ، كان قد اتصل بى ، وسأل إن كان فى وسعه أن يحصل منى على حديث صحفى لجريدته عن تطورات الموقف فى ليبيا ..

ورجبت بالصحن الايطالى فقد كنت أعرف أهمية جريدته ، كما كانت فرصة لاثارة انتباه الرأى العام الايطالى إلى الحقوق المشروعة لشعب ليبيا فى الوحدة والاستقلال ..

وجاء الصحن الايطالى لأدلى له بعدة تصريحات وكانت هى بداية التفاهم بيننا وبين إيطاليا . .

وهذا نص الحديث لأهميته :

س - هل يمكن لسعادتكم أن تدلوا لنا برأيكم فى الحوادث التى تتعلق بليبيا ؟ . .

ج - إن رفض هيئة الأمم المتحدة مشروع « ييفن - سفورزا » يعتبر نصراً للعرب وهو يبرهن على أن الدول الصغيرة لم تعد تخضع لارادة الدول الكبيرة . . ألم تشتعل نار الحرب للدفاع عن مبادئ الحرية . ولقد كان بين الحريات التى نادى بها الحلفاء وأكدها ميثاق الأمم المتحدة حق تقرير المصير الذى يظهر أنه نسي نهائياً . لماذا ؟ هل يقولوا للشعب الليبى أنت ليس لك الحق فى أن تكون حراً وأنه يجب أن يفرض عليك حكم أجنبى لا ترغب فيه ؟ . . وفى رأى أن هذا المنطق يعنى نقصاً فى الصراحة وأنه يرمى إلى إخفاء بعض المصالح ولكن الغاية لا تبرر الوساطة لأن حماية هذه المصالح يمكن تأمينها بطرق أخرى ا

س - هل تعتقد سعادتكم أن التفاهم بين الايطاليين والعرب لا يزال ممكناً ؟

ج - نعم ، بشرط أن يكون ثمة اتفاق صادق مخلص وأنا لست فى حاجة إلى أن أكرر أن العالم العربى يشعر بعطف نحو الايطاليين الذين هم مثلنا من سكان البحر المتوسط . .

وأن التفاهم بين العرب والايطاليين سيؤدى حتماً إلى مصالح متبادلة .

واستطردت أقول له :

- هل فكرتم فيما يمكن أن يعود على بلادكم نتيجة لمثل هذا التفاهم ؟ إن مجموعة الشعوب الاسلاميه كبيرة وأنتم أمة فى حاجة لتصدير منتجاتها فضلاً عن تصدير الأيدى العاملة ، وقد قدرنا دوماً مواقف الشعب الايطالى وقد سبق أن قلت ذلك فى الحديث الذى نشرته ( التجمو ) فى يوم ٢٥ أكتوبر فى العام الماضى .

س - هل فى استطاعتكم أن تؤكدوا أنكم لا تزالون عند رأيكم الذى سبق أن صرحتم به فى الحديث المذكور ؟

ج - أعتقد أن هذا فى استطاعتى ، ولكن لاحظوا جيداً أن العرب لن يستمروا فى مد أيديهم على الدوام وأنهم مصممون على الكفاح بجميع قواتهم لتحقيق استقلالهم ووحدة

بلادهم .. ويكنى أن أذكركم بما كان من غاريالدى الذى يعتبر بطلاً من أبطال حربية الشعوب ..

وأنكم قد كافتهم من أجل وحدة بلادكم واستقلالها .. وكان لكم ضحايا لذلك يجب عليكم أن تفهموا أمانى الليبيين وأن تعضدوها فإن فعلتم هذا علا مركز الايطاليين .. وعليكم أن تذكروا أن العرب لا ينسون فهم شعب فخور بماضيه ومتأكد من مستقبله فإذا تخلت إيطاليا عن كل أفكارها الاستعمارية أصبحت بطلاً للحرية فى العالم وعلت سمعتها ونفوذها كثيراً ..

\* \* \*

مرت بعد ذلك عدة أيام ، ثم نشرت نفس الجريدة الايطالية حديثاً للكونت سفورزا وزير الخارجية الايطالية برد فيه على حديثى .. وكان يبدو كمن يريد أن يقول لى فيه .. أنت فتحت الباب للتفاهم .. وأنا هنا على استعداد لمناقشة الموقف معكم ..

وقد نشرت الجريدة الايطالية الحديث بعنوان ( المصالح الايطالية فى طرابلس شديدة الانبأط بالمصالح العربية ) ..

وكان هناك عنوان آخر يقول :

- لا توجد عوائق من جهة إيطاليا فى سبيل وحدة ليبيا ..

وهذا هو نص الحديث للكونت سفورزا لأهميته :

س - ما هو أثر الحديث الذى أدلى به عزام باشا إلى جريدتنا يا معالى الوزير؟

ج - حسن . ويظهر أن آراء هذه الشخصية البارزة فى الجامعة العربية التى قابلتموها تنفق مع الآراء التى وردت فى تصريح الحكومة الايطالية فى أول يوليو وهى تطابق آراء واتجاهات لم تكن حديثة العهد فى إيطاليا ولا فى أوساط المستشرقين ، ولا فى الدوائر الحكومية .. ونحن مستعدون للتفاهم مع العرب على أوسع مدى فى سبيل انشاء دولة يمكن أن يتعاون فيها العرب والايطاليون فى ليبيا تعاوناً كاملاً .. وأظن أن هذا ما حاول عزام باشا أن يقوله فى حديثه ..

س - وكيف تفسرون اتفاقكم مع بيهن؟

ج - بخصوص هذا الاتفاق يجب تمييز المبادئ الجوهرية التى أوحست إلينا به وكذلك

تطبيق هذه المبادئ بصورة علمية فإن جوهر الاتفاق يرجع إلى اعتراف بريطانيا برجحان المصالح الإيطالية في طرابلس في الوقت الذي اعترفنا فيه برجحان مصالح بريطانيا في برقة وإن كان نوع مصالحهم يختلف تماماً عن نوع مصالحنا . . أما بخصوص كيفية هذه الاعترافات المتبادلة سواء بغرض الوصاية أو بعقد اتفاقات مباشرة مع الحكومة المحلية وغيرها ، فن المفهوم أن هذا لا يتوقف على رغبات أو إرادة إيطاليا وانجلترا فحسب بل يتوقف على جملة عوامل وظروف مثل رغبات الشعوب والحالة المحلية وقرارات هيئة الأمم المتحدة ورأى الجامعة العربية . .

س - وما هي في رأيكم المصالح الإيطالية في طرابلس ؟

ج - إن هذه المصالح ليست إيطالية فقط ولكنها شديدة الارتباط بحياة طرابلس ، فهناك قبل كل شيء مصالح العمال الإيطاليين الذين كانوا جزءاً رئيسياً في كيان البلد الاقتصادي كما توجد في طرابلس مجموعات من أصل إيطالي وقد أصبحت هذه المجموعات جزءاً مقيماً وحيياً من شعب البلاد . . وهناك أيضاً الروابط الاقتصادية التي تأسست بحالة متينة جداً وخاصة في الصناعة والزراعة ، وهذه الروابط الاقتصادية نشأت وترعرعت بوجود المنشآت الإيطالية التي أدخلتها إيطاليا وأحببتها ، وهناك أيضاً الجوار الجغرافي للبلدين ورغبة إيطاليا في قيام دولة صديقة على الضفة المقابلة لها على البحر المتوسط تكون حالتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كعامل استقرار في هذا البحر .

س - تحدث عزام باشا عن مسألة وحدة ليبيا فأريكم في هذا الموضوع ؟

ج - لم تكن إيطاليا أبداً وبأى طريقة ضد وحدة ليبيا . .

ومضى الكونت سفورزا يقول :

- ما هي مصالح إيطاليا الحقيقية والدائمة في ليبيا . . إنها في رأيي أن تكون الشعوب المقابلة لها على البحر المتوسط في حالة رخاء وسعادة وهناك وأن تكون علاقاتنا معاً وثيقة ومثمرة ، كما أن الانقسامات والتقسيم لا يمكن أن يساعد على تحقيق الثروة أو السعادة . . ومن جهة أخرى فإن وجود حكومة سنوسية في برقة يعطى هذا القطر طابعاً سياسياً خاصاً وهو ما لم يقابل قبولاً حسناً في الأقطار الأخرى لغاية الآن . .

واختتم الكونت سفورزا حديثه قائلاً :

- على سكان ليبيا أن يقدروا أولاً هذه الظروف بعد أن يتفهموا تماماً الحالية الدولية وطبيعة ثرواتهم المحلية أما فيما يتعلق بإيطاليا فهنا تكن الطريقة التي سوف تتحقق بها علاقتنا الجديدة مع الشعوب صاحبة الشأن في طرابلس فإن الحل لا يجد من ناحيتنا أى عائق اقتصادى أو سياسى بين أقاليم ليبيا .

\*\*\*

كان هذا الحديث الذى نشرته الجريدة الإيطالية للكونت سفورزا كافياً لاستئناف مباحثاتي مع وزير إيطاليا المفوض بالقاهرة ..

وكنت من جانبي أنقل تفاصيل هذه المباحثات أولاً بأول إلى الزعماء الليبيين وإلى وزراء الخارجية العرب ..

ودامت هذه الاتصالات عدة أشهر . حتى كان صيف ١٩٤٩ عندما عرضت على إيطاليا اقتراحاً لتأييده فى الأمم المتحدة عند مناقشة قضية ليبيا ..

وكان اقتراحاً من الحكومة الإيطالية يقضى بالموافقة على قيام حكومة مستقلة فى إقليم طرابلس الغرب ..

وهذا هو نص الاقتراح كما تقول الوثائق الرسمية :

١ - توصى الجمعية العمومية للأمم المتحدة بضرورة تهيئة الظروف لمنطقة طرابلس الغرب لتصبح بأسرع ما يمكن دولة مستقلة وتحقيقاً لذلك يجب فى مدة ستة أشهر إجراء انتخابات جمعية وطنية لتختار نوع الحكومة التى تمثل البلاد على أن تشرف على انتخابات هذه الجمعية لجنة دولية مكونة من ممثل الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا ومصر وإيطاليا ومن مندوبين يمثلان سكان طرابلس وتقوم هذه اللجنة بوضع النظم التشريعية التى تسير عليها الانتخابات وفى أثناء فترة الانتقال يعهد مؤقتاً بإدارة البلاد لسلطات الاحتلال حتى يتسنى إنشاء حكومة وطنية فيها .

٢ - تدعو الجمعية العامة للأمم المتحدة حكومة إيطاليا وحكومة طرابلس لعقد معاهدة بينها لتدعيم العلاقات وتصفية المصالح المشتركة الخاصة برعايا إيطاليا المقيمين فى الأراضى العربية ..

كان هذا هو الاقتراح الإيطالى كما قام الإيطاليون بصياغته .. وقد بادرت بأعداد

مذكرة عن تفاصيل مباحثات مع وزير إيطاليا المفوض في القاهرة ثم قت بابلاغها إلى وزراء خارجية الدول العرب ..

كانت مذكرة تاريخية فقد كشفت عن التحول في سياسة إيطاليا ويقول نصها :

منذ زمن طويل حاولت حكومة إيطاليا بطرق متعددة الاتصال بالحكومة المصرية والأمانة العامة والأحزاب والزعماء الطرابلسيين للتفاهم على أساس يرضى مطالب العرب ويحقق لإيطاليا مقاماً ممتازاً في طرابلس الغرب كوصية أو ما يشبه ذلك .

ولم تصل هذه المحاولات رغم استمرارها لمدة تزيد على سنتين إلى نتيجة حاسمة نظراً لتردد الطليان وأمالهم التي وضعوها في بريطانيا وأمريكا فكانوا يتراجعون عن تأييد الاستقلال التام الناجز لطرابلس كلما بانت لهم آمال في العسكر الغربي تؤيد أمالهم الاستعمارية فلما اتفق بيفن وسفورزا على مشروعها الذي كان أساسه تقسيم البلاد الليبية بين الدول الثلاث وقدم للأمم المتحدة في الدورة الماضية تجاهل الطليان مساعيهم مع أمانة الجامعة والأحزاب الطرابلسية وأراد الله رغم المجهودات الكبيرة التي بذلتها بريطانيا وأمريكا وأنصار إيطاليا في الأمم المتحدة من الدول اللاتينية وتخلى بعض الدول الاسلامية عن المقترحات العربية أن يفشل مشروع بيفن - سيفورزا في الأمم المتحدة فلم ينل ثلث الأصوات وكان أن هزم بصوت واحد ..

ومنذ ذلك الوقت أخذت الحكومة الإيطالية سواء بطرق مباشرة أو بطرق غير مباشرة في الاتصال بالأمانة العامة ومحاوله التفاهم على أساس يرضى العرب والأحزاب الطرابلسية .

وبعد أخذ ورد طويل وبيانات وأحاديث في صحف إيطاليا من الطرفين تقدمت الحكومة الإيطالية إلى الأمانة العامة بمشروع تعلن فيه صراحة تخلى إيطاليا عن المطالبة بأى نوع من الوصاية أو السيطرة على ليبيا ، اعتقاداً منها أن مثل هذا المشروع يمكن أن يرضى أهالي طرابلس وبالتالي يمكن أن يفتح الطريق أمام حسن تعاملهم مع الجالية الإيطالية في طرابلس في المستقبل ومعيناً على تنمية العلاقات الإيطالية الدولية والاقتصادية مع العالم العربى ..

ومع هذا المشروع بعثت إلى إيطاليا تقول .. أنها تطمع في حالة استقلال طرابلس التام الناجز أن تضع مع الحكومة الطرابلسية المستقلة اتفاقاً بشأن الطليان المقيمين في طرابلس كما تطمع في أن يكون بينها وبين طرابلس علاقات اقتصادية وثقافية ترضيها وكنت قد



أفهمت الحكومة الإيطالية دائماً سواء عن طريق الأمانة العامة أو بواسطة الأحزاب الطرابلسية أن الطلاب في طرابلس سيكونون رعايا للدولة الطرابلسية متساوين في الحقوق مع بقية أهالي البلاد...

وتلقت في نفس الوقت مذكرة رسمية من وزير إيطاليا المفوض في القاهرة يشرح فيها رأى الحكومة الإيطالية على وجه العموم ومطالبها التي ترجو عون الحكومات العربية في الأمم المتحدة على تحقيقها. وفيها تقول إنها قد رفضت يدها تماماً عن كل محاولة لمعارضة استقلال طرابلس.. كما أنها رفضت يدها أيضاً عن أى طلب خاص لها في منطقة برقة وأنها تركت الأمر للعرب يتفقون فيه كما يشاءون مع الحكومتين الانجليزية والفرنسية بالنسبة لبرقة وفزان.

أما بالنسبة لأرتيريا فإن الحكومة الإيطالية تطالب باستقلالها أو وضعها تحت وصاية الأمم المتحدة دون أن تخصص أية دولة معينة لذلك. كما تطالب بالوصاية أيضاً على الصومال..

وهكذا أصبح موقف الحكومة الإيطالية يتفق مع قرارات مجلس الجامعة بشأن ليبيا ولم يعد هناك ما يحول بين العرب والتعاون معها على الأسس الواردة في هذه المذكرة بالنسبة لهذا القطر العربي الشقيق..

أما بالنسبة لأرتيريا والصومال فلم يسبق لمجلس الجامعة أن قرر في شأنها شيئاً وقد تركت اللجنة السياسية في أحد اجتماعاتها السابقة الأمر لمدوبي الحكومات العربية في الأمم المتحدة للتصرف بشأنها حسب الظروف.

وقد وردت شكاوى عديدة ومذكرات من مسلمي ارتيريا الذين يكونون الأكثرية يطالبون فيها بوحدة بلادهم واستقلالها..

ويبدو أن بعض المسيحيين قد اتفقوا مع المسلمين في أرتيريا بشأن مطالبهم.. أما بالنسبة للصومال فلا تزال رغبات الأهالي فيه غير واضحة.

وعلى كل حال فقد ذكرت للوزير الإيطالي عندما قام بتقديم مذكرته أن العرب تجنّبوا دائماً أن يؤيدوا أى وصاية لأية دولة في أى مكان لما قاسوه من أضرار الانتداب السابقة.. وقلت له إنه يحسن بإيطاليا أن تتقدم بمشروع فيه ضمانات لمستقبل الصوماليين واستقلالهم حتى يمكن البحث في حالة امتناع العرب عن التصويت ضد الوصاية..

هذا وقد علمت أن الحكومتين البريطانية والأمريكية تبحثان عن حل اساسه استقلال ليبيا كلها، وأن هذا الحل محاط بكثير من الغموض والاشتراطات التي تجعل مثل هذا الاستقلال احتمالاً في مستقبل بعيد .

وكان رأيي أنه إلى أن تتضح وجهة نظر بريطانيا وأمريكا، فإن الموقف بالنسبة لطرابلس الغرب قد تطور على الأقل تطوراً محدوداً، وأنه قد أصبح ممكناً الحصول على قرار بتأييد استقلالها التام الناجز في الأمم المتحدة أما أحزاب طرابلس وزعمائها فكان رأيها يتفق على الاستقلال على أن تحدد العلاقة بين أطرافها الثلاثة في نظام ما . . وإن كان قد ظهر بين هذه الأحزاب والزعماء خلاف شديد حول الوسائل وحول الأشخاص وهو ما حاولت الأمانة العامة دائماً علاجه لإقامة جبهة متحدة بين هذه الأحزاب وهؤلاء الزعماء مما ساعد في المرة الماضية أثناء الاجتماع بالأمم المتحدة على إرسال وفد طرابلسي يرضى عنه الجميع وبتوافقهم جميعاً . .

وستحاول الامانة العامة هذه المرة كذلك فإذا لم يتيسر فيحسن أن يكتبني بندوقي الدول العربية للتعبير عن وجهة النظر المتفق عليها أمام الأمم المتحدة .

\* \* \*

تغيرت الأوضاع التي قاسى منها العرب كثيراً على أثر الفشل الذريع لاتفاق ( بيفن - سفورزا ) وكان أن انقسمت جبهة الدول الغربية مما فتح الطريق أمامنا لكسب أصوات أمريكا اللاتينية وبعض الدول الكاثوليكية وغيرها في الأمم المتحدة وأصبح واضحاً قبل اجتماع الجمعية العامة أن العرب قد ملكوا ناصية الموقف حول قضية ليبيا ولذلك ترددت طويلاً وخصوصاً بعد أن ظهرت الانقسامات في صفوف الأحزاب الليبية في إرسال وفود تمثل هذه الأحزاب من طرابلس وبرقة . .

لقد أخذوا فجأة في تبادل الاتهامات وقد تخوفت كثيراً من أن تؤدي الانقسامات في صفوفهم إلى الأضرار بكل ما حققناه من مكاسب .

كان موعد مناقشة قضية ليبيا في الأمم المتحدة يقترب بسرعة . .

وكنت على ثقة من أن التفاهم الذي تم مع الحكومة الإيطالية يمكن أن يمهّد السبيل لتفاهم أكبر مع ممثل دول أمريكا الجنوبية والوسطى . .

وكانت كتلة البلاد الشرقية تؤيدنا، كما كانت أصوات الدول الاسلامية تقف معنا . .

ولم أكن أريد من الليبيين في تلك الفترة بالذات إلا أن يملكوا أعصابهم وأن يتمتعوا عن الخلافات وأن يعتصموا بالاتحاد والصبر .

ولكن الأحزاب الطرابلسية المختلفة صممت على أن تبعث بعثة وفود إلى الأمم المتحدة .

وقد حاولت من جانبي منع هذه الوفود على اختلافها من السفر، ولكنني وجدت صعوبة واصراراً من جانبها على إيفاد ممثلين إلى الأمم المتحدة ولم يكن في وسعي بعد أن بأت محاولاتٍ بالفشل إلا أن أقترح على مختلف الزعماء والأحزاب الطرابلسية أن يعمل مندوب مصر واسطة للتوفيق بين مختلف وفودها، وكلفت السيد عبد المنعم مصطفى الوزير المفوض في وزارة الخارجية المصرية وكنت قد انتدبته لرئاسة الإدارة السياسية بالجامعة العربية بالسفر إلى الأمم المتحدة ليعمل مستشاراً لهذه الوفود واتفقت مع الزعماء الطرابلسيين على أن يعملوا تبعاً لنصائحه .

ولحسن الحظ عمل الممثلون الليبيون في وفودهم المتعددة عن برقة وطرابلس بنصائحي فاجتنبوا ما من شأنه تفجير الخلافات في ساحة الأمم المتحدة وكان أن تحقق لنا النصر في مواجهة مؤامرات الدول الكبرى التي ظلت تعمل جاهدة على تغيير القدر الذي أراد الله وهو نصر الحق الذي بذل فيه أهل ليبيا دماءهم الذكية عشرات السنين، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يكافئ الأحياء من أبناء الشهداء وأخوانهم بالنصر المبين عندما قررت الأمم المتحدة بأغلبية كبيرة حق ليبيا في استقلالها ووحدها وتقرير مصيرها وإقامة الحكم الذي تريده لنفسها بحض ارادتها .

وكان القرار التاريخي الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ بشأن مصير ليبيا ويقول بالنص الواحد :

طبقاً للفقرة الثالثة من الملحق ١١ من معاهدة الصلح مع إيطاليا المبرمة في عام ١٩٤٧ وهي التي وافقت الدول المختصة بمقتضاها على قبول توصيات الجمعية العمومية للأمم المتحدة بشأن التصرف في المستعمرات الإيطالية السابقة واتخاذ التدابير لسريان مفعولها . وبعد الاطلاع على ما جاء في تقرير لجنة التحقيق الرباعية وبعد سماع أقوال وآراء ممثلي الهيئات التي تمثل مختلف الأقسام الهامة في الأقاليم المشار إليها ومراعاة لرغبات سكان تلك الأقاليم ولصالح الأمن والسلام ووجهات نظر الحكومات المختصة والنصوص الخاصة

بهذا الموضوع في الميثاق، توصى الجمعية العامة للأمم المتحدة بما يلي :

فيما يختص بليبيا :

١ - أن تصبح ليبيا التي تشمل برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة وذات سيادة .  
٢ - أن يسرى هذا الاستقلال في أقرب فرصة ، وعلى أن يكون ذلك في تاريخ لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٢ .

٣ - أن يوضع دستور ليبيا بما فيه شكل نظام الحكم والحكومة بواسطة ممثل السكان في برقة وطرابلس وفزان الذين يجتمعون ويتشاورون في هيئة جمعية وطنية .

٤ - لأجل مساعدة أهالي ليبيا في وضع الدستور وتأسيس حكومة مستقلة يوفد إلى ليبيا مندوب من قبل هيئة الأمم المتحدة تعينه الجمعية العامة وله مجلس يساعده ويرشده .

٥ - يقدم مندوب هيئة الأمم المتحدة بالتشاور مع المجلس تقريراً سنوياً وغيره من التقارير الأخرى التي يرى أهميتها إلى السكرتير العام . . ويضاف إلى هذه التقارير مذكرة أو وثيقة يرى مندوب هيئة الأمم أو أى عضو من أعضاء المجلس رفعها إلى هيئة الأمم .

٦ - يتكون المجلس من عشرة أعضاء هم :

( أ ) ممثل تعينه حكومة كل من البلاد الآتية : مصر - فرنسا - إيطاليا - باكستان - المملكة المتحدة - الولايات المتحدة .

( ب ) ممثل واحد من كل من الأقسام الثلاثة في ليبيا وممثل واحد من الأقليات في ليبيا .

٧ - يعين مندوب هيئة الأمم المتحدة الأعضاء المذكورين في الفقرة ( ب ) بعد التشاور مع السلطات الإدارية وممثل الحكومات المذكورة في الفقرة السادسة ومع الشخصيات البارزة وممثل الأحزاب السياسية والهيئات في المناطق المختصة .

٨ - يستشير المندوب أثناء تأدية وظائفه أعضاء مجلسه ويسترشد بهم وله أن يستشير بآراء أعضاء بذاتهم بالنسبة للمناطق أو الموضوعات المختلفة .

٩ - لمندوب هيئة الأمم المتحدة أن يقدم إلى الجمعية العامة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي وللسكرتير العام اقتراحات عن التدابير التي يمكن أن تتخذها الأمم المتحدة

أثناء فترة الانتقال بخصوص المسائل الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا . .

١٠ - تقوم الدول القائمة بالإدارة بالتعاون مع المندوب بما يلي :

( أ ) تشريع حالاً في اتخاذ الخطوات اللازمة لنقل الحكم إلى حكومة دستورية مستقلة .

( ب ) أن تقوم بإدارة البلاد بفرض المساعدة في إقامة وحدة ليبيا واستقلالها والتعاون في تكوين الإدارات الحكومية وتنسيق جهودها لهذه الغاية .

( ج ) تقديم تقرير سنوي إلى الجمعية العمومية عن الخطوات التي اتخذت بشأن تنفيذ هذه التوصيات .

١١ - تقبل ليبيا بمجرد تكوينها كدولة مستقلة عضواً في هيئة الأمم المتحدة طبقاً للمادة الرابعة من الميثاق .

وهكذا ضرب الشعب الليبي للعالم مثلاً في المثابرة على المكاره والشهامة والاستبسال وقد كرمه الله باجتماع رأى الدول التي عاونته والتي صادفته على الاعتراف بحقه في حريته وتقرير مصيره وفق مشيئته .

ومع صدور توصيات الجمعية العامة للأمم المتحدة وجهت نداء إلى الشعب الليبي من محطة الاذاعة المصرية وكان يقول :

إخواني أبناء ليبيا الأعزاء

منذ أيام صدر قرار الأمم المتحدة باستقلال ليبيا بأجزائها الثلاثة برقة وطرابلس وفزان . بوصفها دولة ذات سيادة في مدى لا يتجاوز أول يناير سنة ١٩٥٢ فتواردت البرقيات على الأمانة العامة والرسائل والوفود من مختلف الهيئات والأحزاب والشخصيات من جميع أنحاء ليبيا ، ومن الليبيين في الخارج للتهنئة والثناء على الجهود التي قامت به الدول العربية وجامعتها في سبيل تحقيق استقلال البلاد وطلبت منى أن أبلغ الشكر الفياض إلى الملوك العرب ورؤسائهم وحكوماتهم .

ويسرفني أن أنهى إليكم بأني قمت مقتبطاً بهذه المهمة السارة .

والآن أشعر بأن من واجبي أن أزف إليكم يا أبناء الشعب الليبي المجاهد الشكر الجزيل والتهاني الخالصة على ما منحكم الله جزاء سعيكم وجهاد شهدائكم وأحيائكم الشاق الطويل ضد قوات هائلة غاشمة عشرات السنين .

وفي غمرة هذه الأفراح الشاملة أشعر بواجب آخر وهو أن أصارحكم بأن الجهاد لم ينته بعد وإن كان قد تغير لونه .

فاليوم يبدأ الجهاد الأكبر في سبيل إقامة الدولة اللبينة على دعائم متينة ثابتة الأركان وحكم وطني غايته الأولى سعادة المجموع ورفاهيته حتى تنال الدولة الجديدة احترام شعوب العالم وتقديرها .

ومعرفتي الطويلة بوطنية الشعب الليبي الأبي تجعلني واثقاً كل الثقة بأنه سوف يبرهن للعالم على جدارته بتحقيق ما يرضه فيه من آمال .

وفقكم الله وجعل منكم دولة عزيزة الجانب وسنداً للدول العربية جميعاً .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الرحمن عزام

القاهرة في :

١٢ صفر سنة ١٣٦٩

١٢ ديسمبر ١٩٤٩



## أجبروني على الاستقالة ثم جاءوا يطالبون مني النصيحة !

إن الصراع من أجل تحقيق وحدة ليبيا واستقلالها كان مديراً ..

ولكن الصراع حول قضية فلسطين كان أشد مرارة ..

ويحتمل كثيراً أن بعض الخلافات قد وقعت بيني وبين الملك السابق محمد إدريس السنوسي بعد أن تحقق للشعب الليبي بقرار الأمم المتحدة وحدته واستقلاله ..

ولكن الخلافات التي تكشفت بين الزعماء العرب أثناء معركة نضالنا من أجل قضية فلسطين كانت تعبيراً عن حالة التفكك التي كانت تعاني منها أمتنا العربية في تلك الأيام ..

كانت غالبية بلادنا تئن وترزح تحت نير الاحتلال الأجنبي ..

وكان من بين ملوك وزعماء العرب من لا هم لهم سوى إرضاء السادة البيض من المستعمرين الأجانب ..

وكانت بعض العواصم العربية تدار من لندن، ومن باريس، ومن واشنطن ..

ويحتمل كثيراً أن يكون الملك السابق محمد إدريس السنوسي قد تصور أنني أطعم في التربع على عرش ليبيا .. ولكنني أقولها للحقيقة والتاريخ أنني لم أفكر في يوم من الأيام في أن أصبح ملكاً على ليبيا ..

ولم يكن يهمني إلا أن أعمل على توحيد كلمة العرب حول شيء واحد هو الجامعة العربية التي ولدت على يدي، وكنت أول أمين عام لها منذ نشأتها ..

وكان في تصوري أن كلمة العرب يمكن أن تلتف حول جامعة الدول العربية ..

كان هذا فكري عندما اختارني مجلس الجامعة العربية بالاجماع لكي أعمل أميناً عاماً

لها ..



ولذلك عملت على أن يكون جهاز أمانتها العامة جهازاً ثورياً ..  
وكان أن تخيرت بنفسى أول مجموعة من موظفيها من بين المجاهدين الذين عرفوا  
بدورهم في الكفاح ضد قوى الاستعمار ..  
ولكن سرعان ما كانت المواجهة بين مصالح أمتنا العربية ، ومصالح هذه القوى  
الاستعمارية ..  
ولا أريد أن أقول إن الجامعة العربية انتصرت في قضية ليبيا وفشلت في قضية  
فلسطين ..

\* \* \*

كانت مهمتى صعبة للغاية ، ومع ذلك استطعت بالصبر وبالكياسة على مدى سبع  
سنوات كاملة في عملي أميناً عاماً للجامعة العربية أن أتغلب على الكثير من الصعوبات  
التي كانت تهدد وحدة كلمة الدول العربية ..  
وكانت لى طريقي دائماً في محاولة التقريب بين وجهات النظر ..

وكانت أخطر أخطر مشكلة تهدد قضايانا العربية هي مواقف البطولة الزائفة التي  
حاول بعض الزعماء العرب أن يفرضوها على الأمة العربية ، فقد كان بعضهم عندما  
يختلف رأيه مع الأغلبية ، يخرج من اجتماعات اللجنة السياسية ليفضي إلى الصحفيين  
بتفاصيل المناقشات السرية ..

وكثيراً ما كانت هذه التفاصيل تضر أكثر مما تفيد ، فقد كانت تكشف عما كنا نتفق  
عليه من خطط سياسية في مواجهة المؤامرات الاستعمارية التي كانت تهدد مصالح أمتنا  
العربية ..

وأذكر عندما كان المرحوم محمود فهمى النقراشى رئيساً للحكومة المصرية ، أن أعدت  
الحكومة الأمريكية مشروعاً للوصاية على منطقة القدس ..  
وقررت عرضه على الجمعية العمومية للأمم المتحدة كمبادرة من جانبها لحل قضية  
فلسطين ..

وأرادت الحكومة الأمريكية أن تتعرف على رأى الحكومات العربية بشأن هذا المشروع  
قبل أن تعلن عنه ، وكان أن طلب السفير الأمريكى في تلك الأيام مستر الكسندر كيرك

مقابلة رئيس الحكومة المصرية ، ثم سلمه نص المشروع الأمريكي لتقوم مصر بعرضه على الجامعة العربية ..

وفي اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية دارت مناقشة المشروع لتوافق عليه الأردن والعراق ، أما بقية الدول العربية فقد رفضته بالاجماع ..

وتقرر أن تقوم الحكومة المصرية بإبلاغ السفير الأمريكي بقرار اللجنة السياسية .. وكانت مفاجأة في صباح اليوم التالي عندما خرجت إحدى الصحف المصرية وقد نشرت بعنوانين ضخمة في صفحتها الأولى نص المشروع الأمريكي ..

وكانت أزمة دبلوماسية عنيفة عندما قامت السفارة الأمريكية بالاحتجاج لدى وزارة الخارجية المصرية على تسرب نص المشروع الأمريكي إلى الصحف ..

وكان موقفاً غريباً عندما استهل نوري السعيد وكان رئيساً لوفد العراق الاجتماع التالي للجنة السياسية لمهاجمتي ، وهو يقول إن المشروع الأمريكي .. قد تسرب إلى الصحافة عن طريق أحد موظفي الأمانة العامة للجامعة ..

وابتسمت وأنا أقول أمام اللجنة السياسية :

- للأسف الشديد لم يتسرب المشروع الأمريكي من أحد موظفي الأمانة العامة ولكن أحد رؤساء الوفود من المحاضرين معنا في هذا الاجتماع قد قام بتسليمه بنفسه إلى الصحفي الذي قام بنشره .. وقد طلب رئيس الوفد العربي إلى هذا الصحفي أن ينشر بعض تفاصيل المناقشات التي دارت في اجتماع اللجنة السياسية ، ولكن الصحفي اكتفى بنشر نص المشروع ، ولم يشر بكلمة واحدة إلى هذه التفاصيل ..

كنت على يقين مما قلته ، وقد أثار اتهامي هزة عنيفة داخل قاعة اجتماعات اللجنة السياسية ..

ولم يتالك المرحوم رياض الصلح نفسه ، وكان رئيساً لوفد لبنان ، ف ضرب مائدة الاجتماع بقبضة يده .. ثم ارتفع صوته وهو يقول :

- ان هذا الاتهام خطير .. ولذلك يجب ان نعرف من هو رئيس الوفد المتهم ..

قلت بسرعة : انه واحد منكم ..

وأخذ رؤساء الوفود يتلفتون بعضهم إلى بعض ..  
وفجأة استقرت كل العيون في اتجاه المرحوم فوزى الملقى ، وكان يرأس وفد الأردن ..  
ولم يتالك الرجل نفسه ، فأطرق برأسه ، وهو يقول :  
- مش أنا .. مش أنا ..

وحاول نوري السعيد أن يدافع عن رئيس وفد الأردن ، محاولا القاء الاتهام على  
المرحوم الأمير سيف الاسلام عبد الله رئيس وفد اليمن في تلك الأيام ..  
قال إن أحد أعضاء الوفد العراقي قد شاهد الأمير اليمنى مع الصحفي الذي قام بنشر  
نص المشروع الأمريكى ..  
واضطر الأمير اليمنى لأن يقسم على مصحف كان في جيبه انه لم يبيع بكلمة واحدة عن  
المشروع الأمريكى الى هذا الصحفي أو لغيره من الصحفيين ..  
وكانت أزمة انتهت بأن طلب نوري السعيد شطب كل ما جاء من اتهامات لرئيس وفد  
الأردن في محضر اجتماع اللجنة السياسية !

\* \* \*

تصور نوري السعيد أن في وسعه أن يجعل من الجامعة العربية أداة يجرعها في خدمة  
مصالح قوى الاستعمار الأجنبي في بلادنا العربية ، ولكنني استطعت أن أقف لكل تحركاته  
بالمرصا ..

كنت أريدها جامعة عربية لكل أمة العرب ..

وكانت الأردن تساند نوري السعيد في سياسته ..

لم اهتم ما دامت بقية الدول العربية الاعضاء في الجامعة العربية تؤمن معي بأهمية  
توحيد كلمة الدول العربية في مواجهة مؤامرات الدول الاستعمارية ..

وحاول نوري السعيد أكثر من مرة أن يجرعني ، وأن يدفعني إلى الاستقالة ، ولكنني لم  
أكن اهتم كثيرا لمناوراته ..

وحدث عندما تأزم الموقف في فلسطين على أثر اعلان الهدنة الأولى أثناء حرب عام

١٩٤٨ أن حاول نوري السعيد أن يلقى بتبعة تطورات الموقف على الأمانة العامة ..  
وكنت أعرف بتفاصيل ما حدث عندما أمر جلوب باشا قواته بالانسحاب من اللد  
والرملة وتسليمها إلى الإسرائيليين ..

كما كنت أعرف بتفاصيل قصة ( ماكو أوامر ) التي أخذ الجنود والضباط العراقيون  
يرددونها عندما طلب إلى القوات العراقية التي جاءت للاشتراك في الحرب .. التحرك  
لفتح جبهة جديدة في قلب الأراضي الفلسطينية ..

كانت مدينتا تل أبيب وناتانيا على شاطئ البحر المتوسط على مرمى مدافع هذه  
القوات العراقية ، ومع ذلك لم تصدر لها أية تعليقات بالتحرك ..

وفي اجتماع اللجنة السياسية الذي هاجمني فيه نوري السعيد بعنف ، لم أقالك نفسى من  
الغضب فاتهمته بالتآمر على قضية فلسطين ، وتنفيذ مخططات الانجليز والصهيونية  
العالمية ..

وحاول نوري السعيد أن يدافع عن نفسه ، ولكننى صرخت في وجهه وأنا قول له :  
- اسكت يا نورى .. والا خرجت من هنا لأعلن أمام الجماهير العربية حقيقة  
مؤامرتك على شعب فلسطين ..  
وسكت نوري السعيد ولم يتكلم ..

\*\*\*

ومرت الأيام لينتقم نوري السعيد لنفسه بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ..  
لقد بعث إلى القاهرة يقول .. إن عبد الرحمن عزام يقف حجر عثرة في سبيل التفاهم  
بين القاهرة وبغداد ..

وارسلت القاهرة إلى نوري السعيد تسأله عما يعنى ..  
وجاء الرد من بغداد :

- اخرجوا عبد الرحمن عزام من الجامعة العربية ..  
وللأسف الشديد تصور أعضاء مجلس الثورة في القاهرة أنني أقف عقبة في سبيل  
التفاهم بين القاهرة وبغداد ..

وكنت قد عرفت بتفاصيل رسالة نوري السعيد من الصديق أحمد أبو الفتح عندما كان رئيسا لتحرير جريدة المصرى ..

أرسل إلى أحمد فهمي ومعه زميله الصحفي على جمال الذين ليقترحا على الاستقالة من مناصبي كأمين للجامعة العربية ..

وكانت رسالة الصديق أحمد أبو الفتح كما نقلت إلى حرفيا :

- إن أعضاء مجلس قيادة الثورة مجموعة من الضباط الشبان ممن يجهلون جهادك الطويل من أجل تحقيق الوحدة العربية ، ونصيحتي لك أن تبادر بالاستقالة من منصب الأمين العام للجامعة العربية خشية أن يسوء أحدهم التصرف معك ..

كانت نصيحة مخلصه من صديق أحترمه .. وكنت أعرف صلته الوطيدة في تلك الأيام بغالبية أعضاء مجلس قيادة الثورة ..

ولم يكن في وسعي الآن أفكر في هذه الرسالة مليا ..

وفي نفس اليوم ، اتصل بي المرحوم رشاد مهنا ، وكان عضوا في مجلس قيادة الثورة ليقول لي : ان مجلس الثورة ظل لمدة ست ساعات كاملة يناقش علاقات مصر مع مختلف الدول العربية ، وانه يرى ضرورة استقالتي من مناصبي كأمين للجامعة العربية ..

ولم أتمالك نفسي من الدهشة عندما سمعت رسالة رشاد مهنا ولذلك بادرت أقول له :

- ولكني لست موظفا عند مصر حتى يطلب إلى مجلس قيادة الثورة باسم مصر الاستقالة ، وعليك أن تعرف ان مجلس الجامعة العربية قد اختارني أمينا عاما بالاجماع واننى في هذا المنصب أعمل لحساب كل الدول العربية الأعضاء في الجامعة

وكان رده :

- ولكنك مصرى أولا .. وأنا مكلف بإبلاغك بقرار مجلس الثورة ..

قلت له :

- إذا ما قررت الاستقالة ، فإننى سأبعث بها إلى مجلس الجامعة !

\*\*\*

وفي مساء نفس اليوم اتصل بي المرحوم صلاح سالم وكان هو الآخر عضواً في مجلس قيادة الثورة، وطلب زيارتي في منزلي بالعجوزة .

قال لي .. إنه يحمل إلى رسالة هامة من زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة ..

قلت له وأنا أرحب به : أنا أعرف الرسالة ..

وسكت صلاح سالم ولم يقل شيئاً ..

جاء الرجل ليطلب إلى هو الآخر الاستقالة من مناصبي كأمين للجامعة العربية ..

كان يتكلم بعصبية ، وهو ينقل إلى نفس رسالة زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة ..

قال نفس الكلام الذي سمعته في التليفون من رشاد مهنا ..

ولم تعجبني الطريقة التي كان ينقل إلى بها رسالة زملائه .. كان يعتمد ان يظهر أمامي وكأنه يصدر إلى أمراً بالاستقالة ، وأن على أن ابادر بتنفيذ تعليماته فوراً ..

وقالكت نفس وأنا أقول له في هدوء :

- سأفكر في الموضوع ..

وقفز صلاح سالم في مكانه وهو يصيح :

- احنا قلنا تستقيل .. يعني تستقيل !

وابتسمت ، ثم أخذت أهدىء من روعه ، وأنا أرحب به ضيفاً في بيتي ..

وكانت مبهرجية سخيفة .. عندما أخرج الرجل مسدسه من جرابه ثم وضعه فوق الطاولة التي كانت أمامه ..

وابتسمت وأنا أقول له :

- ابعد هذا المسدس .. انه لن يرهبنى .. ويجب ان تعرف اننى في منصب الأمين العام للجامعة العربية لست موظفاً عند مضر وحدها ، ولكننى أعمل لحساب جميع الدول العربية الاعضاء في الجامعة العربية .. وفي حالة موافقتى على الاستقالة فأنى سأتقدم بها إلى مجلس الجامعة العربية .. تماماً كما قلت لزميله رشاد مهنا في التليفون ..

ولم يعجب كلامى المرحوم صلاح سالم ، فأخذ يعبث بأصابعه في زناد المسدس الذي كان يضعه أمامه على الطاولة ، ثم التفت ناحيتى ، وهو يقول بنفس العجرفة والهنجوية :

كان يضعه أمامه على الطاولة ، ثم التفت ناحيتي ، وهو يقول بنفس العجرفة والعنجهية :  
- لن اغادر المكان حتى تكتب استقالتك ..

قلت له : انت زى ابني .. وأنت هنا فى بيتك على الرحب والسعة ..  
وأدرك صلاح سالم أن تهديدى بالسدس لن يفيد فأخذ القلق يراوده .. وتزايد قلقه  
عندما قلت له :

- هل تظن أن رجلا رأى الموت بعينيه عدة مرات عندما خرج مجاهدا فى سبيل  
عرويته وبلده يمكن ان يخاف من مثل هذا السدس ..  
وابتسم صلاح سالم لأول مرة وهو يقول لى :

- يا باشا .. أننا نعرف تاريخك الوطنى الطويل .. ولكنه قرار مجلس قيادة الثورة .  
قلت له :

- اطمن .. سأحقق لك غرضك ، ولكن على طريقي وبأسلوبى الخاص ..  
وهنا فقط هدأت أعصابه ثم استأذن فى ان يتكلم فى التلفزيون ..  
واتهت المسرحية السخيفة مع هذا الحديث التلفزيونى ..  
لقد تكلم مع أحدهم لمدة دقائق ثم عاد ليستأذنى فى الانصراف ..

وانتظرت حتى غادر صلاح سالم بيتى ثم بادرت بانتراع ورقة بيضاء من كراسية أحد  
أولادى ، وكانت على طاولة إلى جوارى فى حجرة الصالون ثم كتبت عليها استقالتي كانت  
من عدة أسطر ، وكانت موجهة إلى مجلس الجامعة العربية ، وليست إلى مجلس قيادة  
الثورة ..

وأذكر أننى قت بالاتصال بالصدىق أحمد أبو الفتح وطلبت اليه ان يبعث إلى يمن يتسلم  
استقالتي ..

وجاءنى أحمد فهمى وعلى جمال الدين مرة أخرى لأمد اليها يدى بالاستقالة وأنا أقول  
لها :

- هذه هى الاستقالة حتى ترتاح أعصابهم .. ونصيحتى ان ترسلوها عن طريق وزارة

المحارجية المصرية إلى مجلس الجامعة العربية للموافقة عليها حتى تصبح الاستقالة قانونية ..

وفي صباح اليوم التالي اتصل بي صلاح سالم في التليفون بعد أن وصلت استقالتي إلى مجلس قيادة الثورة ليقول لي :

- ما تزعش يا باشا .. ده كان اجراء ضرورى ..

وكان ردى عليه مرة أخرى :

- أنتم زى أولادى !

\* \* \*

أرسلت استقالتي إلى الصديق أحمد أبو الفتح .. وكان نصها بالحرف الواحد :

حضرة رئيس مجلس جامعة الدول العربية

منذ انتخبت لأمانة الجامعة العربية باجماع دولها لأول مرة في مارس سنة ١٩٤٥ جدد انتخابي منذ ذلك الحين بالاجماع ثلاث مرات ، وقد حدثت في هذه السنين العصبية أحداث جسام كافحنا فيها أعداء كبارا من المستعمرين والصهيونيين ، وكلما ثقل على حمل الامانة وأردت الخلاص من المسئولية الملقاة على ، منعنى صوت ضميرى من الهرب مما أنا فيه .. والآن وقد شعرت بأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخلىنى من حمل هذه الامانة فانى أرجوكم أن تعرضوا على المجلس استقالتي من منصبى مع تصميمى على عدم العدول عنها ..

وانى متأكد ان الله العلى القدير الذى رعى هذه الجامعة فى أحلك الأيام وأشد العواصف سيرعاها دائما ، وأن امتنا قد أخذت طريقها إلى الحرية الكاملة والعزة التى يريدنا الله لها والمساواة التى هى لب ديننا ، وأن الأمور ستسير فى مصر العزيزة ، وفى الأقطار العربية نحو الوحدة والتعاون بعونه تعالى .

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام ..

عبد الرحمن عزام

تحريرا فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ..



كانت استقالة مختصرة ومركزة ، وقد ضمنتها كل ما كنت أريد أن اعبر به عما كان يجيش في نفسي من مشاعر في تلك اللحظة ..

واذكر انه ما كادت تصل استقالتي إلى الصديق أحمد أبو الفتح في مكتبه بجريدة المصرى ، حتى قام بارسالها إلى مجلس قيادة الثورة المصرى ..

وفي نفس الليلة اتصل بي في التليفون ليهنئنى على موفقى ، وهو يقول لى :

- حسنا فعلت يا « باشا » .. وفى اعتقادى انك الآن قد ارحت أعصابى واسترحت ..

ثم طلب إلى أملهى فى التليفون تصريحاً لنشره فى جريدة المصرى تعليقا على استقالتي ..

واتهزت الفرصة لأعبر عن حقيقة مشاعرى عندما كتبت الاستقالة ..

وكان أن أمليت عليه تصريحاً نشرته جريدة المصرى فى صباح اليوم التالى .. وفيه

قلت بالحرف الواحد :

- اننى أنفى لبلادى وللعروبة جمعاء نهضة مباركة وعهدا مجيدا ، ولقد كان نجح حركة الجيش المباركة طفرة كبرى نحو المستقبل الباهر الذى يرجوه كل مصرى لبلاده . وسأكون دائما تحت تصرف بلادى أعاونها ما أستطيع وأجعل ملكا لها خبرتى الطويلة فى الشئون العربية والدولية ..

وإلى جانب استقالتي نشرت جريدة المصرى خبرا صغيرا يقول ان التفكير يدور حول ترشيح الدكتور محمد صلاح الدين أو السيد عبد الخالق حسونة لمنصب الأمين العام فى مكانى ..

وابتسمت عندما قرأت هذا الخبر ، والتفت ناحية عصام ابنى ، وكان يجلس إلى جوارى ، وقلت له :

- عبد الخالق حسونة يحتمل .. أما الدكتور محمد صلاح الدين فلا أظن أنهم يرشحونه !

وصدق حدسى بعد عدة أيام عندما نشرت جريدة المصرى خبرا آخر تقول فيه .. إنها عرفت من مصادر وثيقة الصلة بمجلس قيادة الثورة أن ترشيح الدكتور محمد صلاح الدين ليس واردا ، وأن أحدا من المسؤولين فى مجلس قيادة الثورة لم يتطرق تفكيره إلى ترشيحه ..

وكما فهمت بعد ذلك .. أثار خبر ترشيح الدكتور محمد صلاح الدين أزمة عنيفة بين مجلس قيادة الثورة وجريدة المصرى ..

واضطر الصديق أحمد أبو الفتح إلى أن ينتشر هذا التكذيب على غير رغبته .. !

\*\*\*

أثارت استقالتي عاصفة عنيفة عند عرضها على مجلس الجامعة العربية ..

وقف المرحوم الشيخ يوسف ياسين رئيس وفد المملكة العربية السعودية في الاجتماع موقفا صلبا معلنا معارضته لحكومته في قبول الاستقالة ..

وكان مما قاله بالحرف الواحد :

- في رأيي .. وفي رأى حكومتى أن قبول استقالة عبد الرحمن عزام من منصب الأمين العام للجامعة العربية يعتبر بمثابة لطمة قاسية لكيان الجامعة العربية كله ..

وعرف المرحوم الملك فيصل وكان وزير الخارجية السعودية بما حدث فقام بنفسه باتصالات واسعة النطاق للحيلولة دون موافقة مجلس الجامعة على هذه الاستقالة .

وكان ان تقدم الشيخ يوسف ياسين بإقتراح باسم حكومته بطلب تأجيل البت في هذه الاستقالة لمدة أسبوعين حتى يتسنى إقناعى بسحبها ..

ولما عرفت بهذا الإقتراح إتصلت بنفسى بالشيخ ياسين وطلبت اليه سحب الإقتراح .. قلت له .. إننى قد اتخذت قرارى ولا يمكن أن أرجع فيه ..

وعرف المرحوم الملك فيصل بذلك ، فقام بنفسه بالاتصال بى بالتليفون من جدة ..

قال لى .. ان انسحابى من الجامعة العربية يهددها بالخطر والإنهيار ..

وشرحت موقفى للمرحوم الملك فيصل وجهة نظرى وأنا أؤكد له إصرارى على موقفى ..

\*\*\*

لم يفتنع المرحوم الملك فيصل ، وبادر بالحضور بنفسه إلى القاهرة على أول طائرة ..

وفى القاهرة قام بزيارتى فى بيتى عدة مرات محاولا إقناعى بالعدول عن موقفى ..

كما قام باتصالات مكثفة مع اللواء محمد نجيب وزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة ..  
وكما فهمت وقعت أزمة أثناء هذه الاتصالات ، استقل المرحوم الملك فيصل على أثرها  
سيارته ، ثم سافر إلى الإسكندرية ..

وعرفت بما حدث ، فبادرت بالاتصال بالمرحوم الملك فيصل في التليفون ..  
كان متأثرا للغاية ، وقد طلب إليه أن بصرف النظر عن هذا الموضوع .  
قلت له :

- لا أريد أن تكون استقالتي سببا في تعكير صفو العلاقات الطيبة بين مصر  
والسعودية ..

وعرف اللواء محمد نجيب بما حدث . فاستقل طائرة خاصة حملته إلى الإسكندرية وقام  
بالاعتذار للمرحوم الملك فيصل ..  
وهدأت الأزمة ..

ومع عرض إستقالتي على مجلس الجامعة العربية حاول نجيب الراوى سفير العراق  
في القاهرة في تلك الأيام ، وكان يرأس وفد بلاده في اجتماعات مجلس الجامعة العربية  
ان يظهر بدور الحمل الوديع حتى يبرىء ذمة بلاده من دورها وراء هذه الاستقالة  
التي كتبها تحت تهديد السلاح ، وكان أن تقدم باقتراح إلى مجلس الجامعة العربية  
يطلب فيه صرف مكافأة مالية لى تقديرا كما قال للخدمات التي أدتها للجامعة  
العربية والعروبة ..

ووافق مجلس الجامعة على قبول استقالتي مع صرف مرتب شهر واحد لى كمكافأة بناء  
على اقتراح مندوب العراق .

وكانت هذه المكافأة على ما أذكر عبارة عن ٢٥٠٠ جنيه ..

وقد بادرت بمجرد أن تلقيت من الامانة العامة للجامعة العربية شيكا قت بتحويل هذا  
الشيك إلى اللجنة العليا لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين !..

\*\*\*

لم يتالك المرحوم الشيخ يوسف ياسين نفسه عندما تمت موافقة مجلس الجامعة العربية

على قبول استقالتي ، وكان أن قال أمام أعضاء المجلس :

انه ليوم حزين في تاريخ أمة العرب الذي تمت فيه الموافقة على هذه الاستقالة ..  
وكرر الرجل الصديق رحمه الله نفس هذا الكلام في تصريح أدلى به الى الصحفيين  
عند انصرافه من أجتاع مجلس الجامعة العربية ..  
أراد أن يوضح رأى حكومته في هذه الاستقالة .. الا ان تصريح الرجل لم ينشر  
بتعليقات من الرقابة على الصحف !

والشئ الذي لايعرفه الكثيرون .. أن نجيب الراوى مندوب العراق الذي كان  
متحمسا لقرار مجلس الجامعة العربية بقبول استقالتي ، لم يكن يحمل أية تعليقات من  
حكومته باقتراح صرف تلك المكافأة التي قرر مجلس الجامعة دفعها لي بمناسبة استقالتي ..  
وأنه اضطر للتقدم بهذا الاقتراح تحت ضغط أحد الصحفيين الشبان من تلاميذي ..

وكان هذا الصحفي الشاب - كما عرفت فيما بعد - قد ذهب الى بيت السفير العراقي  
الملحق ببني السفارة العراقية بالزمالك ، وهو يحمل معه نسخة من المحضر السرى لاجتاع  
مجلس الجامعة العربية الذي اهتمت فيه نوري السعيد بخيانة قضية فلسطين ..

وقال الصحفي الشاب للسفير العراقي .. انه سيقوم بنشر محضر هذا الاجتاع في احدى  
الصحف أو المجلات خارج مصر ازاء اصرار العراق على استقالة عبد الرحمن عزام ..

ورد السفير العراقي بنجبت :

- ولكنها مصر التي طلبت الى عزام الاستقالة !

وكانت مناقشة حادة .. انتهت بالاتفاق بين الصحفي الشاب والسفير العراقي على أن  
يتم خروجي من الجامعة العربية معززا مكرما ..

وان تطلب العراق صرف مكافأة لي تقديرا لخدماتي للجامعة العربية والعروبة وكان ان  
تقدم نجيب الراوى باقتراحه دون أن يستأذن حكومته في بغداد وأنا نفسي لم أعرف بهذه  
القصة ، الا منذ سنوات قليلة وبعد استقالتي من الجامعة العربية ..

وقد تصرف الصحفي الشاب بدافع من مشاعره نحوي ، ولو كنت اعرف بما توجهت اليه  
نيته لمنعته .. !

ومرت عدة أشهر قبل أن تنكشف المناورة التي لعبها نوري السعيد لإبصادي عن الامانة العامة للجامعة العربية ..

وكنت قد اعتكفت بعد استقالتي في الشقة التي اعيش فيها وتظل على النيل بالعجوزة ..

كنت أريد أن اقضى فترة بعيدا عن مشاكل السياسة العربية ..

وعرضت على المملكة العربية السعودية في تلك الأيام أن اعمل وسيطا في النزاع حول البريمي ..

ولكن فجأة .. ادركت مصر الخطأ الذي وقعت فيه عندما طلبت الى الاستقالة من منصب الامين العام للجامعة العربية ..

وكان أن قرر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر زيارتي في بيتي .. ومهد محمد حسين هيكل بنفسه لهذه الزيارة ..

اتصل بي بواسطة احد زملائي الصحفيين ليعرض على رغبته في زيارتي ..

وفي بادئ الأمر لم أكن مرحبا بهذه الزيارة ، فقد كان هيكل يساجمني في الكثير من مقالاته ، وكان هو الذي اطلق على اسم .. ابو الكلام عزام ..

ولكني عدت فرحبت بزيارته لي ..

وكانت مفاجأة ، عندما لم يحضر هيكل وحده ..

لقد جاء بصحبة الرئيس السابق جمال عبد الناصر وزكريا محيي الدين .. وأذكر أن الساعة كانت العاشرة مساء في أحد الأيام في أواخر سنة ١٩٥٤ ..

ولا أخفى ان هذه الزيارة اثارت ارتباكى وخاصة عندما شاهدت الرئيس جمال عبد الناصر ، وهو يدخل الى بيتي بقامته الفارعة الطول ..

ولكن سرعان ما تماثلت نفسي .. فاخذت أرحب بضيوفى .. وجلس جمال عبد الناصر على أحد مقاعد الصالون في بيتي وهو يقول :

كنا مارين من هنا .. وقلنا نطلع نتعشى معاك ..

وأسرعت الى أهل بيتي أسألهم عما اذا كان عندهم عشاء للضيوف ، فلما لاحظت الإرتباك في عيونهم طلبت إلى أبنى عمر تدبير ما يحتاج اليه العشاء من عند الحاقق .. وتناول الضيوف العشاء معي ، ثم استمرت السهرة حتى الساعة الرابعة صباحا .. وكان الحديث طويلا ، كما كانت هناك مناقشات استطعت من خلالها أن ادرك ما كان يهدف اليه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ..

كانت زيارة للاستشارة .. وكانت كما قال لي بنفسه بالحرف الواحد :  
- احنا ضباط .. ولما قفنا بالثورة كانت خبرتنا بالشئون العربية محدودة ..  
وفي تلك الليلة ظللت أتكلم على مدى أكثر من ست ساعات ..  
وكان الرئيس جمال عبد الناصر يسأل ، وانا أجيب ..  
كان يريد ان يعرف كل شيء عن خفايا السياسة العربية ..  
وكنت واضحا وصریحا في آرائي ..  
ولا أظنني قد بخلت على ضيوفي بأية نصيحة ..  
وعندما تأهب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر للانصراف ، التفت هيكل ناحيتي ، وهو يقول ..:

- أرجو يا باشا أن تقبل إعتذاري إن كنت قد تحاملت عليك فيما كتبتك عنك ..  
وابتسمت ولم أقل شيئا ..

وتكررت بعد ذلك زيارات الرئيس جمال عبد الناصر لي في بيتي ..  
وفي كل مرة كان يقضى معي الساعات وهو يسأل .. وأنا أتكلم ..

وأذكر أنه قاطعني مرة ليقول لي :

- أنا عاوزك تعود إلى مكانك في الجامعة العربية ..

قلت له :

- آسف .. لا أستطيع الآن ..

قال عبد الناصر :

- بكرة تروح مكتبك في الجامعة ، ومصر ستقوم بكل الاتصالات لإعادة إنتخابك أمينا للجامعة ..

قلت له :

- أفضل أن ابقى بعيدا عن الجامعة . والبركة فيكم .. وسأبقى دائما على استعداد لتقديم أية مشورة اليكم ..

وحاول هيكلا اقتاعى بالموافقة على عودتى الى الجامعة ..

ولكننى اعتذرت ، وفضلت أن ابقى فى الظل بعيدا عن المتاعب !

\*\*\*

لم ايجل على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بنصيحة واحدة ..

وكنت على إستعداد دائما أن أضع نفسى وخبرتى فى خدمة بلادى ، والوحدة العربية التى أؤمن بها ..

وفى تصورى .. أن الرئيس الراحل قد تأثر من آرائى ..

ولا أريد أن أقول إننى إستطعت بالتركيز فى أحاديثى معه عن دور مصر القىادى فى بلادنا العربية ، أن أغرس الإيمان بكل ما أطلقت من شعارات حول القومية العربية .. !

وكنت قد سافرت فى تلك الايام إلى المملكة العربية السعودية لمباشرة مهمتى كمستشار للملك سعود . ثم الملك فيصل فى النزاع حول واحة البريمى ..

واستدعت اتصالاتى أن أطيروا إلى نيويورك حيث أمضيت عدة أشهر فى إجتماعات متواصلة حول هذا النزاع ..

ولم تتوقف إتصالاتى مع الرئيس الراحل أثناء فترة إقامتى فى نيويورك ، فقد كلفنى بأكثر من مهمة عن طريق سفير مصر فى واشنطن ..

ولم أتردد فى كتابة التقارير إليه ..

وعندما تدهورت العلاقات بين مصر والولايات المتحدة كرد فصل لتصريحات فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية فى تلك الأيام ، لم أتردد فى القيام بإتصالات مكثفة مع الأمريكين ..

وكتبت إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تقريرا على جانب كبير من الأهمية وقد

أرسلته إليه عن طريق سفارة مصر في واشنطن ..

وفي التقرير قدمت إليه نصيحة مغلصة بألا يفتح كل الأبواب أمام التفاهم بينه وبين الولايات المتحدة ..

قلت له .. إننى عرفت من إتصالاتى مع كبار المسؤولين الأمريكيين ، ومن رجال الكونجرس الأمريكى ، أن الحكومة الأمريكية على إستعداد لإعادة النظر فى موقفها . وأنتى على إستعداد للمساهمة بإتصالاتى لتصفية الموقف بين مصر والولايات المتحدة .. ولكن عبد الناصر كان قد أخذ قراره ، وكان أن بادر بمحلمته المركزة على الولايات المتحدة ..

وبالتالى فشلت كل محاولات تصفية الموقف بين القاهرة وواشنطن !

\*\*\*

بقيت العلاقات طيبة بينى وبين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ولم تتوقف الاتصالات بينى وبينه ..

وعندما عدت إلى المملكة العربية السعودية بعد أن أتممت مهمتى فى الولايات المتحدة ، كانت من عادة السيد عبد الجواد طيارة ، وكان سفيرا مصر فى جدة ، أن يتردد على البيت الذى كنت أعيش فيه بين الآونة والأخرى ليثقل الى رسائل شفوية من عبد الناصر ..

والسفير عبد الجواد طيارة كان ضابطا فى الجيش المصرى ، وهو الذى اسندت إليه قيادة قوات المتطوعين بعد استشهاد المرحوم البطل أحمد عبد العزيز أثناء حرب فلسطين فى سنة ١٩٤٨ ..

ولكن فجأة .. غضب عبد الناصر ..

وأنا أعرف السبب .. فقد جاءنى السفير المصرى فى أحد الأيام ينقل إلى رغبة عبد الناصر فى أن أرافقه فى رحلته إلى اندونيسيا للاشتراك فى مؤتمر باندونج ..

ولم أملك نفسى من الدهشة ، ولذلك بادرت أعترذر وأنا أقول له :



- أنا أعمل الآن مستشارا للملك سعود . . ولا أظن اننى أستطيع المشاركة في مؤتمر باندونج . .

قال لى :

- إن الرئيس عبد الناصر يريدك أن تكون مستشارا إلى جانبه . . ولا يهم أن تكون في الوفد الرسمى . .

قلت له :

- لا أظن اننى أستطيع ذلك . .

كان إعتذارى صريحا وواضحا . .

وقد حاول السفير المصرى إقناعى بالسفر إلى إندونيسيا مع الرئيس الراحل ، ولكننى لم أوافق . .

وكما فهمت كان إعتذارى هو السبب في غضب عبد الناصر فقد تبادل الى خاطره أننى أرفض أن استمر في التعاون معه . .

وكانت بداية المتاعب بينى وبينه . .

والحقيقة التى لا يعرفها كثيرون هى اننى كنت قد لعبت دورا هاما في أثناء عملى أميناً عاما للجامعة العربية في مساندة حركة شعب أندونيسيا في معركته ضد الهولنديين لتحقيق إستقلال بلاده . .

وكنت أعرف أن لى منزلة خاصة في نفوس شعب أندونيسيا . .

وفي نفس الوقت كان المرحوم الرئيس أحمد سوكارنو قد أرسل لى أكثر من دعوة لزيارة بلاده ومع واحدة من هذه الدعوات التى حملها إلى أحد السياسيين الاندونيسيين قال لى صراحة . . أن شعب أندونيسيا يسعده كثيرا أن أقوم بزيارة بلاده حتى يتسنى له الاحتفال بى أحد أبطال معركة كفاحه من أجل الاستقلال ، وليعبر لى عن إمتنانه للعرض الذى قت به عندما كنت أميناً عاما للجامعة العربية في مساندة حركته الوطنية ضد الاستعمار الهولندى . .

ولذلك خشيت في حالة مرافقتى للرئيس الراحل عبد الناصر في رحلته إلى باندونج أن تضيق في زحمة إحتفالات الشعب الاندونيسى بى لتكريمى ، المحفاوة به . .

وبمعنى آخر.. أن أسرق منه الكاميرا..

ولم يكن في وسعي الا أن أعتذر عن عدم السفر إلى أندونيسيا..!

\*\*\*

غضب جمال عبد الناصر..

ولم أنتظر.. وقررت البقاء في المملكة العربية السعودية حيث عملت مستشارا للملك سعود ثم للملك فيصل..

واضطرت أن أعيش بعيدا عن بلدي أكثر من ١٥ سنة..

وكانت أول مرة أعود فيها إلى مصر بعد ثورة ١٥ مايو.. ووفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر..

رحمه الله.. ورحمنا معه!

\*\*\*

( انتهى الجزء الأول من المذكرات السياسية لأول أمين عام للجامعة العربية

عبد الرحمن عزام )

## فهرس

٧	..... حديث كله ذكريات ( بقلم عبد المنعم الصاوى وزير الثقافة والإعلام )
١١	..... قصة هذه المذكرات
١٧	..... قالوا عن عبد الرحمن عزام بعد وفاته
١٩	..... كان يحلم بدولة عربية واحدة ( بقلم مصطفى أمين )
٢١	..... عزام .. وجيل المسئولية ( بقلم حافظ محمود )
٢٥	..... كان خلاصة جيل وتاريخ ( بقلم محمد فهمى عبد اللطيف )
٢٧	..... أخى عبد الرحمن ( بقلم د . عبد العزيز عزام )
٢٩	..... حوادث لها تاريخ ربطت بين عزام وكفاح شعب ليبيا
٣٩	..... الفصل الأول - بدأت حياتى تلميذاً فى مدرسة الحزب الوطنى
٥٥	..... الفصل الثانى - اتهمونى بمحاولة اغتيال الخديو عباس
٦٥	..... الفصل الثالث - رشحت الملك فؤاد لعرش ألبانيا
٧٥	..... الفصل الرابع - أعلنت بريطانيا الحماية على مصر فأعلنت أنا الحماية عليها !
٨٣	..... الفصل الخامس - بداية المغامرة فى ليبيا
٩٥	..... الفصل السادس - نجوت مرة أخرى من الموت
١٠٣	..... الفصل السابع - منعت القائد التركى من الانتحار !
١١١	..... الفصل الثامن - عشنا عدة أشهر عند الشاطيء ننتظر الفواصات الألمانية
١٢١	..... الفصل التاسع - أخذ السنوسى الذهب والأسلحة وتركنا نموت من الجوع
١٢٩	..... الفصل العاشر - مباحثات سرية بين إدريس السنوسى والإنجليز
١٣٧	..... الفصل الحادى عشر - محطة لاسلكى ألمانية فى جوف الصحراء !
١٤٩	..... الفصل الثانى عشر - واندلعت الثورة فى طرابلس الغرب
١٥٩	..... الفصل الثالث عشر - رجل الصحراء - لا يعرف المشى على الخشب الباركيه
١٦٧	..... الفصل الرابع عشر - نبوءة عراف يهودى منعتنى من الزواج فى تركيا
١٧٥	..... الفصل الخامس عشر - قاعدة لاستقبال الفواصات عند سيدى عبد الرازق
١٨٣	..... الفصل السادس عشر - عطفت على السنوسى فتخرج موقف !

١٩٣	.....	الفصل السابع عشر - اقترحت مواجهة هزيمة تركيا بإعلان الجمهورية في طرابلس
٢٠١	.....	الفصل الثامن عشر - انتهت الحرب .. فحاول الأمير التركي الحرب في آخر غواصة
٢٠٩	.....	الفصل التاسع عشر - عرضت عرش طرابلس على الأمير العثماني ولكنه لم يوافق على أن يصبح ملكا !
٢١٧	.....	الفصل العشرون - وأعلنت إيطاليا الحرب على الجمهورية
٢٢٩	.....	الفصل الحادي والعشرون - ودخلنا إلى مدينة طرابلس
٢٣٧	.....	الفصل الثاني والعشرون - وزع الإيطاليون الذهب فأثاروا الفتنة بين القبائل
٢٤٧	.....	الفصل الثالث والعشرون - أراد شيخ القبيلة تكريمي فزوجني ابنته
٢٥١	.....	الفصل الرابع والعشرون - أنقذت مصر من ويلات الحرب العالمية الثانية
٢٥٩	.....	الفصل الخامس والعشرون - خرجت فكرة الجامعة العربية من لندن ولكن !
٢٧٣	.....	الفصل السادس والعشرون - واجهت مع الدول العربية مؤامرة تقسيم ليبيا
٢٨٥	.....	الفصل السابع والعشرون - قررنا توزيع السلاح استعدادا للحرب
٢٩٩	.....	الفصل الثامن والعشرون - فشلت محاولاتهم لتقسيم ليبيا
٣١٧	.....	الفصل التاسع والعشرون - أجبروني على الاستقالة ثم جاءوا يطلبون مني النصيحة
٣٤١	.....	حياة عزام في صور
٣٣٨	.....	الفهرس

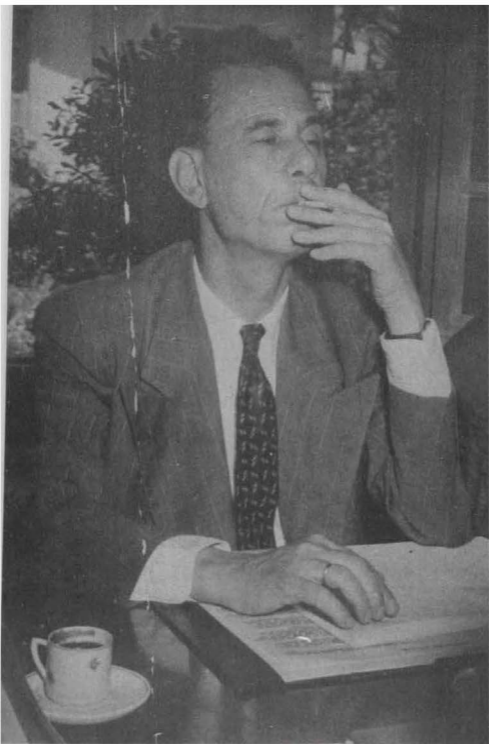
رقم الإيداع ١٩٧٧/٣٢٩٢

الترقيم الدولي ٥ - ٢٨ - ٧٠٤٩ - ٩٧٧ - ISBN

مطابع الأهرام التجارية

## حياة عزام في صور-

---



مجاهد في سبيل  
الله والعروبة:

■ عاش المرحوم عبد الرحمن عزام مجاهداً في سبيل الله والعروبة . وكان إيمانه قوياً بالقومية العربية . وكانت له فلسفته وطريقته في حل المشاكل العربية . . وكان من رآيه العمل على وحدة الشعب العربي أولاً . . . . . وبعدها يمكن أن تتحقق وحدة الأرض والدول . .



في سنة ١٩٤٦ بعد تعيينه  
 أمينا عاما للجامعة  
 العربية :



■ كان المرحوم مصطفى التماس  
 باننا برشح الدكتور محمد صلاح  
 الدين ليكون أول أمين عام  
 للجامعة العربية بعد إنشائها .  
 ولكن وزارة التماس استقلت  
 ليثوى المرحوم أحمد ماهر « باننا »  
 رئاسة الوزارة . وكان هو الذي  
 رشحه ليكون أول أمين عام  
 للجامعة . . والصورة في سنة  
 ١٩٤٦ في مكتبه بالأمانة العامة  
 للجامعة في قصر البستان الذي  
 كان مقراً لها قبل انتقالها إلى  
 مبناها الحالي . .

■ إنه فلاح ، وأبوه أيضا فلاح من قرية الشويك في غرب النيل بمحافظة الجيزة ، وكان يرعد دائما ، إنها  
 الأرض الطيبة التي علمتني الحياة ، ومنها تلقيت أول درس في الوطنية ا



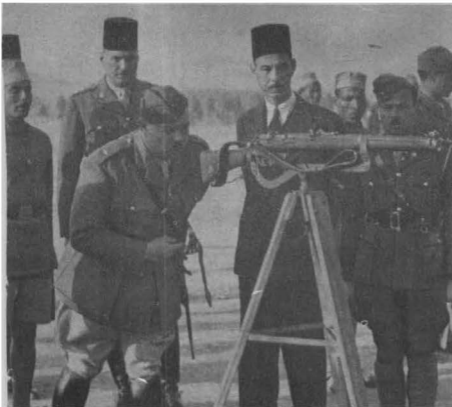
## كانت هوايته ركوب الخيل:

■ تعلم ركوب الخيل في طفولته بقرية الشوبك القري، وعندما ذهب إلى ليبيا في تسبانه ليقاتل ضد الاستعماريين الإنجليزي والإيطالي، كان يركب الخيل. وبعد أن عاد إلى مصر كان يقضى أوقات فراغه في ممارسة هواية ركوب الخيل..



■ رشحه سعد زغلول في سنة ١٩٢٤ في الانتخابات لعضوية مجلس النواب وفاز عبد الرحمن عزام ليصبح أحسن نائب في البرلمان، وعندما سافر سعد زغلول إلى لندن اصطحبه معه ليعمل سكرتيراً لوفد المفاوضات مع الإنجليز..





## الجيش المرابط لتدريب الشعب عسكرياً :

■ كان هو صاحب فكرة إنشاء الجيش المرابط عندما كان وزيراً في حكومة علي ماهر، وكان مشروعه يقسوم على استغلال مصسكات هذا الجيش في محسور الأسية، وأهم ما في ذلك استغلال ظروف الحرب العالمية الثانية في تسليح الشعب المصري بأسلحة بريطانية..

■ صورة تاريخية لأول لقاء بين المرحوم الملك عبد العزيز بن سعود وفاروق، وكان المرحوم عبد الرحمن عزام هو الذي عمل ترتيبات ذلك اللقاء لإزالة الجفرة التي كانت تسيطر على العلاقات بين القاهرة والرياض في تلك الأيام..



■ لعب المرحوم عبد الرحمن عزام دوراً كبيراً في إزالة الجبهة التي كانت تسيطر على العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية، وفي إقناع العاهل السعودي الكبير بالموافقة على انضمام بلاده إلى الجامعة العربية.. وهذه الصورة التاريخية للعاهل السعودي الكبير المرحوم الملك عبد العزيز بن سعود أثناء زيارته لمصر، ويظهر ورائه المرحوم عبد الرحمن عزام..

مع العاهل السعودي  
المرحوم الملك عبد العزيز  
أثناء زيارته لمصر..





▲ عندما ذهب متطوعاً ليحارب  
في الصحراء لم يكن يأكل  
إلا التمر، وأصبحت هذه عادته  
عندما كان يذهب للاستجمام في  
مزرعته في أبو قير أن يتسلق  
التخيل ليجمع البلح بنفسه .

■ عندما كان أميناً عاماً للجامعة العربية كان  
يكتب المذكرات السياسية ويراجعها بنفسه . .



■ في مكتبه بين الأمانة العامة القديم في شارع البستان تراجع لخصوص ميندي  
الجامعة العربية الذي اشترك في صياغة كلماته باعتباره خطورة على طريق الوحدة  
العربية .



في يوم توقيع  
برتوكول الاسكندرية :

■ المرحوم الملك الراحل  
فيصل ، وكان وزيرا لخارجية  
المملكة العربية السعودية يتبادل  
التبتهة مع المرحوم مصطفى  
الحساس « باشا » وكان رئيسا  
لوزراء مصر وال مرحوم  
عبد الرحمن عزام في الحفل الذي  
أقامه الحساس « باشا » تكريما  
للوفود العربية في تلك المناسبة ..

■ هدد المرحوم عبد الرحمن عزام  
بالاستقالة لأن اللورد كيلرن  
السفير البريطاني قال عنه إن له  
ميولا نازية .. وكانت أزمة  
انتهت باعتذار السفير  
البريطاني ..



■ شهدت سنة ١٩٤٨ اجتماعات تاريخية لمجلس الجامعة العربية، والصورة للمرحوم  
عبد الرحمن عزام وهو يلقى بيان الأمين العام عن دخول قوات المتطوعين التابعة للجامعة  
العربية إلى فلسطين تحت قيادة الشهيد أحمد عبد العزيز..

تقرير الأمين العام  
أمام مجلس الجامعة العربية:



معسكرات للكثافة  
 في كل الدول العربية

■ كان إيمانه قويا بالشباب العربي - ومن مشروعاته التي تنبأها باسم الجامعة العربية إنشاء معسكرات للكثافة في كل الدول العربية مع تشجيع تبادل الزيارات بين فرق الكثافة العربية والصورة له وهو يتوسط إحدى فرق الكثافة العربية أثناء زيارتها للأمانة العامة .



مشادات بين عزام

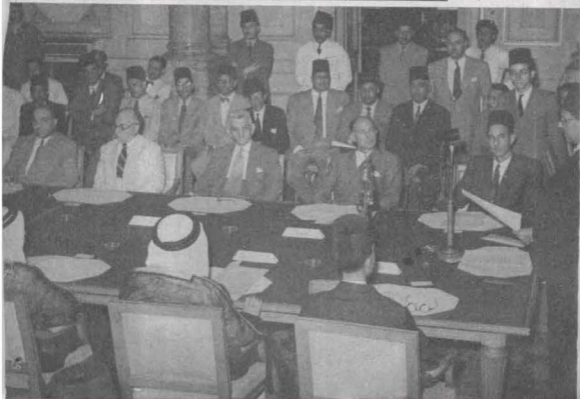
ونورى السعيد  
 ■ شهدت اجتماعات اللجنة السياسية مشادات عنيفة بين المرحوم عبد الرحمن عزام ونورى السعيد ، وفي إحدى المحادثات قال عزام لنورى : أسكت يا نورى وإلا خرجت من هنا لأصارع الجماهير بمقليقة خياناتك . . وسكت نورى ولم يتكلم .  
 داخل اللجنة السياسية :



## خطة لإنقاذ الأمير عبد الكريم الخطاطي :

■ وكان هو الذي وضع بنفسه  
خطة إنزال الأمير عبد الكريم  
الخطاطي في ميناء بورسعيد عندما  
عرف أن الفرنسيين سينزلونه على  
باخرة من المتق إلى فرنسا..  
والصورة له مع الأمير الخطاطي  
بعد أن تمت عملية إنقاذه..

■ صورة تاريخية للرحوم  
حمود فهمي القسراشي «بانسا»  
وكان رئيساً للوزراء، وهو يلق  
بها الحكومة المصرية في أول  
اجتماع لمجلس الجامعة العربية بعد  
إعلان إنشائها، ويظهر إلى  
جسواره عبد الرحمن عزام بعد  
انتخابه أميناً عاماً..



القدس عربية

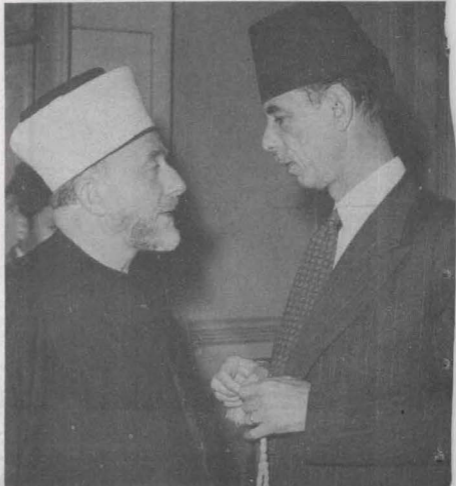
والتدويل مرفوضاً

شهدت دورة مجلس الجامعة العربية في شهر مارس سنة ١٩٤٨ مناقشات عامة حول قضية فلسطين .. وفي هذه الدورة رفضت اللجنة السياسية المشروع الأمريكي لتدويل القدس وكان القرار: أن القدس عربية وستبقى عربية .. والصورة للمرحوم الملك فيصل، وكان وزيراً لخارجية السعودية وإلى جواره عبد الرحمن عزام في جلسة افتتاح دورة مجلس الجامعة ..



أزمة لمنع محاكمة  
مفتي فلسطين  
كمجرم حرب:

■ أثار المرصوم عبد الرحمن عزام أزمة عندما طالبت دول الحلفاء بمحاكمة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين كمجرم حرب .. وفجأة وصل الحاج أمين الحسيني إلى القاهرة، والصورة له مع عبد الرحمن عزام في أول لقاء لها بعد وصول المفتي إلى القاهرة ..





مع صديق عمره  
الدكتور فوزى :



■ تربط المرصوم عبدالرحمن عزام بالدكتور محمود فوزى علاقة صداقة وطيدة منذ كان الدكتور فوزى مندوباً لـ مصر في الأمم المتحدة، وكان يقول دائماً إن الدكتور فوزى هو واحد من أصدقائه .. والصورة لها في أحد صالونات الأمم المتحدة وما يتبادلان الرأي حول تطورات قضية فلسطين في مجلس الأمن ..

■ كانت أسعد لحظاته عندما كان يلتق بالصحفيين، وكان مؤمناً بالصرامة المتناهية في مناقشة القضايا العربية، والصورة له في أحد مؤتمراته الصحفية سنة ١٩٤٨، ويجلس إلى يمينه مباحثرة جميل عارف ..



مع شريكة  
كفاحه

---



■ المرحوم عبد الرحمن عزام مع  
السيدة الفاضلة التي تساركته  
كفاحه أثناء إحدى رحلاته إلى  
الأمم المتحدة ..

■ أنارت استقالة المرحوم عبد الرحمن عزام من منصبه كأمين عام للجامعة العربية أزمة حادة . . والصورة للمرحوم الملك فيصل ، وكان وزيراً لخارجية السعودية وإلى جواره عبد الرحمن عزام في حفل عشاء أقامه على ماهر أول رئيس وزراء مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو بالأسكندرية تكريماً للمرحوم الملك فيصل ، ودعا إليه اللواء محمد نجيب . .

### أنارت استقالته أزمة:



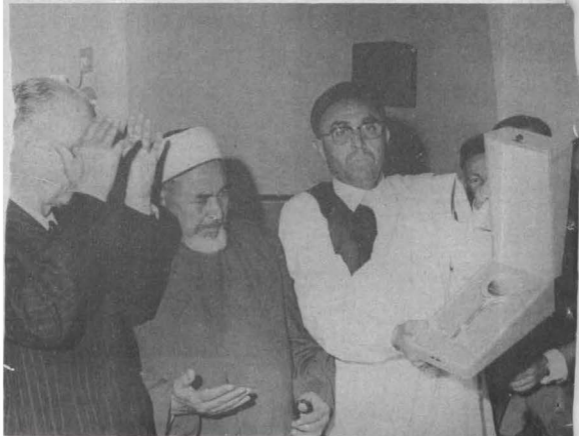
### الصورة الأخيرة في أرض المعارك:

■ كانت له أمنية . . وهي أن يزور منطقة المعارك التي خاضها في شبابه ضد الاستعاريين الإنجليز والإيطالي في ليبيا ، وتحققت أمنته قبل وفاته بمدينة أنسهر . . وفي مدينة طرابلس أهدوا إليه مفتاح المدينة . . والتفطت له هذه الصورة ، وهو يخطب في جماهير الشعب الليبي التي طرقت للترحيب به ، ولم يكن يعرف أنها ستكون آخر صورة له قبل وفاته . .

■ ومرت عدة أسابيع . ثم ذهب جمال عبد الناصر بنفسه إلى بيت عزام لاستشارته في بعض القضايا العربية . ولإقناعه بالعودة إلى الجامعة العربية . ولكن عزام أصر على موقفه . . وتكررت بعد ذلك زيارات عبد الناصر لعزام في بيته . .



■ المرحوم الشيخ يوسف شاهين مندوب السعودية في اجتماعات مجلس الجامعة مع المرحوم عبد الرحمن عزام وهو يحاول إقناعه بالعودة عن استقالته . . ولكن عزام كان قد اتخذ قراره !





## في ذمة الله مع الخالدين:

ومات الرجل الذي عاش حياته مكالفا في سبيل الله والعروبة لتكليه أمته العربية .. وكانت وفاته في أحد مستشفيات مدينة « كان » في جنوب فرنسا في يوم ٧ يونيو سنة ١٩٧٦ . وقد نقل جثته إلى القاهرة على طائرة سعودية خاصة ليجري تشييعه من مسجد مبي الجامعة العربية بهدان التحرير .. ودفن الفقيه في المسجد الذي بناه تشييعه المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام في حلوان .. رحمه الله ، وأسكنه فسيح جناته مع الخالدين ..

